المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد 28 تشرين الثاني نوفمبر 2023

رئيس التحرير
الاستاذ الدكتور
ابراهيم سعيد البيضاني

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن
الاتحاد الدولي للمؤرخين
مركز استشاري لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

ISSN:2707-8183

https://int-historians.org/magazine-ijhss

International jounral of historical and social studies

No: 28 November 2023

محتويات العدد 28

ت	اسم المؤلف	عنوان البحث	الصفحة
1	المحتويات	المحتويات	1
2	اللجنة العلمية والاستشارية	اللجنة العلمية والاستشارية	2
3	تعليمات وشروط النشر	تعليمات وشروط النشر	3
4	أ.د حسن علي سبتي الفتلاوي كلية الاداب/جامعة بغداد	أثر الازمة السورية في العلاقات الروسية- التركية	9
5	الدكتور العربي إسماعيل. جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.	سياسة الاستعمار الفرنسي ونضال الجزائريين، مئوية الاحتلال- أنموذجا-.	31
6	أ.م.د.علي جودة صبيح المالكي جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي	سياسة ايران الخارجية تجاه العراق بعد عام 2003 واثارها المستقبلية في المنطقة	57
7	د. الأمين عثمان شعيب جامعة دنقلا – السودان	عادات وتقاليد الدفن بجبانة الكرو الملكية	79
8	م.د.غفران مُحَمَّد صيهود الشبلي جامعة الكوفة	التنظيمات الارهابية في الشرق الاوسط ،دراسة تاريخية في اساليبها واستراتيجياتها / داعش انموذجا"	101
9	م. أيسر علي جواد جامعة الكوفة – كلية العلوم السياسية	الأزمة الأوكرانية بين الأسباب والانعكاسات	133
10	م. رغد فلاح عبد الخزرجي جامعة الكوفة- كلية العلوم السياسية	تأثيرات الفكر الديني المتطرف الديني على مستقبل البيئة العربية ،دراسة تاريخية سياسية	151
11	م.م احسان محسن عطية الحفيري كلية العلوم السياسية/ جامعة الكوفة	تأثير الازمة الاوكرانية الروسية على الساحة الدولية	169
12	م.م.تغريد سامي ابراهيم الزبيدي المديرية العامة لتربية محافظة ديالى	الامن القومي وتأثيرات القوة الالكترونية-دراسة تاريخية سياسية	181
13	م.م. فاطمة فرحان زغير الطليباوي جامعة بغداد كلية العلوم السياسية	انعكاسات مشكلة الهجرة في العراق بعد عام 2003 على النظام السياسيدراسة تاريخية سياسية	201

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير

الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير

الدكتور عثمان برهومي تاريخ تونس

مديرة التحرير

الدكتورة وفاء سمير نعيم اجتماع مصر

الهيئة العلمية

- الاستاذ الدكتور ناهدة حسين علي الاسدي تاريخ العراق
- الاستاذ الدكتورة جنان عبدالجليل هموندي تاريخ العراق
- الاستاذ الدكتور محمد سالم الطراونة تاريخ جامعة السلطان قابوس
- الاستاذ الدكتور حاجي دوران اجتماع تركيا
- الاستاذ الدكتور علي علام تاريخ جامعة سيدي محمد بن عبدالله المغرب
- الدكتور لحسن أوري تاريخ جامعة سيدي محمد بن عبدالله المغرب
- الدكتور بدر العلوي تاريخ جامعة السلطان قابوس

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية
السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاجتماعية البحوث العلمية المكتوبة وفقا للمعايير العلمية في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخ كعلم يتناول النشاطات الانسانية كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة، وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه سليمه واسلوب واضح.

سياسات النشر

تسعى المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاجتماعية الى استيعاب روافد كل الافكار والثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي هيئة التحرير الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية الواردة للمجلة، ووفقا لاعتبارات علمية و فنية تراها هيئه التحرير.

وتقوم هيئه التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار تنسيق النص في عمودين مع مراعاة توافق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين، اذ تجري عملية التحكيم السري للابحاث المقدمة وفقا لاستمارة خاصة بذلك.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، فضلا عن سلامه المنهج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحها.

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحرير بإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد اللازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قرار بشأن كل بحث مقدم من قبل النشر بحيث يتم اختصار الوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشر تقوم الدورية بأخطار الباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشر في مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متوافقا مع عنوانه.

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات واقتباس الافكار وعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه ولا يقل عن 12 صفحة حجم A4 ،مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع .

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوز عنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخر درجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صور شخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع .

ملخص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوز عشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكر عنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك.

خاتمة البحث تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث .

الهوامش

يجب ادراج الهوامش بطريقة الكترونية في اسفل كل صفحة في شكل ارقام متسلسله لكل صفحة، ووفقا لدليل شيكاغو.

حجم ونوع الحروف

تعتمد المجلة الدولية للدراسات التاريخية حرف Sakkal Majalla حجم 20 غامض للعنوان الرئيسي وحجم 18غامض للعنوان الفرعي وحجم 16 غامض للمتن وحجم 14 عادي للهوامش.

عروض الكتب

- تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.
- يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعدة ويشتمل على اضافه علميه جديده.

- يعرض الكتاب ملخصا وافيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميز واوجه القصور وابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .
- الا تزيد عدد الصفحات العرض عن 8 صفحات.

عروض الاطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.
- ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.
- ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادواته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ولا تزيد عدد صفحات عرض الاطروحة او الرسالة عن 8 صفحات.

تقارير اللقاءات التعليمية

- ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية والاجتماعية والانسانية.
- يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل اليها اللقاء.
- لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه وورد, ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم العلمية وفقا أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه او لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.

- جميع الآراء والافكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن راي أحد غيره وليس للمجلة او هيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.
- ترسل المجلة لكل صاحب بحث منشور نسخة الكترونية متكاملة للعدد الصادر.
- يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير ويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.
- يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه او ورقية لغايات غير ربحيه.
- لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها ويعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

- تصدر المجلة الدولية للدراسات التاريخية بشكل دوري فصلي، ومن الممكن ان تصدر شهريا وفقا للابحاث المقدمة والملفات العلمية.
- المجلة متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.
- ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.
- يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المواقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

رسوم النشر: 100 دولار

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@gmail.com

أثر الازمة السورية في العلاقات الروسية-التركية

أ.د حسن علي سبتي الفتلاوي
كلية الاداب/جامعة بغداد

مختصر
ادى تغير الاوضاع السياسية والاقتصادية في الساحة السورية وإرتباكها الى تصاعد التدخل الاقليمي والدولي فيها ،وكان من أهم القوى التي اهتمت بالوضع السوري تركيا التي سعت الى التغلغل في سوريا من أجل ترسيخ مصالحها فيها ومنع استغلال الجماعات التركية الانفصالية تدعيم نفوذها في سوريا لاسيما سعيها الى التمدد على حساب المكونات الاخرى للوصول الى مياه البحر المتوسط لتسهيل الاتصال بالعالم الخارجي .
بالمقابل سعت روسيا الاتحادية الى ترسيخ وجودها في سوريا ساعية الى استعادة نفوذها الدولي بعد استعادة قدراتها التنافسية في الساحة الدولية ،من هنا قدم ارتباك الوضع السوري فرصة سانحة للقوى الاقليمية والدولية في التاثير في الداخل السوري لترسيخ مصالحها او على الاقل تعديل مسارة بما يخدم تلك المصالح مستغلة تعدد القوى المتصارعة داخل الساحة السورية واختلاف ارتباطاتها الاقليمية والدولية .
سعى هذا البحث الى تسليط الضوء على استغلال تطور الاوضاع في سوريا لتحقيق مصالحها بالدعم او القمع بالتحالف او بالضد من النظام السوري وتوجهاته.

The impact of the Syrian crisis on Russian-Turkish relations

Prof. Dr. Hassan Ali Sabti Al-Fatlawi
College of Arts/University of Baghdad

Brief
The changing political and economic conditions in the Syrian arena and their confusion led to the escalation of Regional and International interference there. One of the most important forces concerned with the Syrian situation was Turkey, which sought to penetrate Syria in order to consolidate its interests there and prevent the exploitation of Kurkish Separatist groups to strengthen its influence in Syria, especially its attempt to expand over Calculating other components of access to Mediterranean waters to facilitate communication with the outside world.
On the other hand, the Russian Federation sought to consolidate its presence in Syria, seeking to restore its international influence after regaining its competitive capabilities in the international arena. Hence, the confusion of the Syrian situation provided an opportunity for regional

and international powers to influence inside Syria to consolidate their interests or at least modify their course in a way that serves those interests, taking advantage of it. The multiplicity of conflicting forces within the Syrian arena and their different regional and international connections.

This research sought to shed light on exploiting the developments of the situation in Syria to achieve its interests by By allying with the regime or opposing it, by getting closer or repressing Syrian regime and its trends ,not far away Forming anti- or loyal-alliances with Syrian regime or against it.

.

بدأت الازمة السورية نتيجة مجموعة من العوامل من أهمها سوءالاوضاع الاقتصادية لشيوع البطالة والتردي الاوضاع الاقتصادية مع إرتباك **العلاقات** الاجتماعية التي قد تكون ناتجة عن تصورات وأوهام زرعتها في اذهان الجمهور وسائل أعلام وأجهزة استخبارية لتحقيق مجموعة اهداف تخدم أهداف الدول والمنظمات التي تقف خلف تلك الحملات الدعائية والحرب النفسية والسياسية التي تهدف من بين ماتهدف الى أحداث انشقاقات اجتماعية لارباك أوضاعها وإضعافها إقتصاديا وإجتماعيا بإحداث صراعات إقتصادية وإجتماعية تحمل مسميات مفروضة من مصادر تلك الخطط ،تنطبق التوصيفات على ماحصل في سوريا وما يحيط بها منقوى طامعة ومعادية إقليمية أو دولية .

بدأت الازمة السورية بخروج تظاهرات في عدد من المحافظات السورية في عام 2011 تطالب بالحريات والحقوق السياسية وإطلاق السجناء السياسيين ،وعلى الرغم من إستجابة الحكومة لأهم تلك المطالب وفي فترات قريبة من التظاهرات وعلى مراحل متسلسلة الا أن التظاهرات لم تنته بل تصاعدت بسبب التدخل الاقليمي والدولي.

على الرغم من أن بعض المطالب تحمل بعدا واقعيا لاسيما التي تتعلق بالمطالبة بالحريات والحقوق الديمقراطية نتيجة ضعف المشاركة الساسية في النظام السياسي السوري بدءأ من سيطرة حزب البعث على الحكم في سوريا في 1963 وفرض الاحكام العرفية عام 1970 بالحركة التصحيحية التي قادها حاظ الاسد ، [1] إستمر هذا النهج مع تولي بشار الاسد الحكم عام 2000 مستندا الى بناء تنظيمي محكم لحزب البعث وتولي قيادات علوية الناصب المهمة في الدولة لاسيما في المؤسسة العسكرية .

يتضح البعد الطائفي وطابع الهيمنة البعثية والبيروقراطية على الحكم من إجراء بعض التغيرات الدستورية بتعديل المادة 83 من الدستور بتخفيض سن تولي الرئاسة في سوريا من سن 40 سنة الى 34 سنة العمر الذي كان عليه عمر بشار الاسد بعد

[1] علي مراد كاظم وحيدر محدي حمزة ، الفاعلون في الازمة الدولية المعاصرة (الازمة السورية) نموذجا ، مجلة الكلية الإسلامية /جامعة كربلاء ، العدد 45،السنة 2018 ، ص 4-5.

وفاة اخيه الاكبر باسل الاسد وهو من مواليد23 اذار /1962 وتوفي في 21 كانون الثاني/1994 .[1]

لم يراع بشار الاسد التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حصلت في المجتمع بتسيير الحياة السياسية وفق حاضنة اجتماعية قائمة عل اساس الروابط العائلية والانتماءات الطائفية ، [2]بدل مراعاة التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي حصل في سوريا لاسيما بعد نمو الطبقة الوسطى واتساع نفوذها الاجتماعي لاسيما ان نمو هذه الطبقة ساعد في تعزيز الامن القومي السوري لاسيما في جانبه الاقتصادي عر تعزيز الامن الغذائي وتنمية الحياة الاقتصادية دون مديونية وقروض خارجية أي ابتعاد هذه الطبقة عن الارتباطات الخارجية التي من الممكن ان تهدد الامن القومي السوري .

عمق الاحتجاجات في سوريا سوء الاوضاع الاقتصادية المرتبطة بالفساد الاداري ومصادرة اراضي بعض المزارعين بحجة خدمة المصلحة العامة مع تضرر الطقة الصناعية والتجارية بعد فتح الاستيراد مع ربطه بالمتنفذين والمرتبطين بالنظام السياسي .[3]

سعت بعض الاقليات الدينية وأصحاب المشاريع السياسية المدعوة إقليميا ودوليا أستغلال الفرصة لتصعيد الاضطرابات السياسية والاجتماعية للضغط على النظام السياسي للحصول على الامتيازات وتغيير النظام السياسي بما يناسب مصالحهم بحجة التخلص من سيطرة الاقلية الشيعية وتسليمها للاغلبية السنية وإطلاق الحريات وتوسيع المشاركة السياسية بدل الكبت وسيطرة عائلة الاسد وأقربائه والمقربين على النظام السياسي في سوريا .[4]

أرتبطت التطورات بسوريا بتحولات داخلية مرتبطة بالواقع الاقتصادي والاجتماعي وإستقطبت الرغبات الإقليمية الايرانية والتركية في إعادة امجاد الامبراطوريات الدينية السابقة ولو بشكل جديد وبمسوغات جديدة فتركيا سعت الى إعادة العثمنة بينما سعت إيران الى تكوين إطار سياسي يربط بين دول المنطقة المستهدفة وفقا لروابط النسيج الاجتماعي الطائفي الاثني عشري .

ساهم في تصاعد المعارضة ضد النظام في سوريا الانحياز السوري الى الجانب الايراني خلال رئاسة بشار الاسد عام 2000 على حساب العلاقة مع الخليج ومصر بعد أن كان حافظ الاسد يوازن العلاقة مع الجانبين وهو ما دفع اغلب امارات الخليج تتدخل في سوريا لتعزيز مصالحها فيها بعد إلعمل على اسقاط نظام الاسد.

إنقسم التدخل الاقليمي والدولي في الساحة السورية بين المعسكر الداعم للنظام الممثل بإيران وحزب الله وبعض الفصائل السياسية العراقية الموالية لايران ثم روسيا بعد تغير موقفها من الحياد الى دعم النظام بعد تحول مطالب المعارضة من المشاركة السياسية الى المطالب الطائفية-السلفية لامكانية تهديدها للامن

[1] -ديفيد دبليو بيش ، سقوط مملكة الاسد، ترجمة أنطوان باسيل ،شكرة المطبوعات ،شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت، ط1، 2014 ، ص 14-15.

[2] - إبتسام محمد العامري ، البعد الاقليمي في الازمة السورية ، مجلة السياسة الدولية ، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية /جامعة بغداد، العدد 7 ، سنة 2015 ، ص 122-123.

[3] - عزمي بشارة ، سوريا دروب الالام نحو الحرية ،المركز العربي للابحاث والدراسات السياسية ، قطر،2013 ،ص 62-63.

[4] - أحمد محمد محمود ودينا فتحي جمعة عبد العظيم وأخرون ، تداعيات التدخل الدولي في أقليم الشرق الاوسط على ظاهرة الارهاب (سوريا العراق ،ليبيا ن اليمن) أنموذجا ، المركز الديمقراطي العربي، ط1، برلين ،2020 ، ص 134.

القومي الروسي .فيما دعمت المعارضة كلا من المملكة العربية السعودية وقطر وتركيا بقيادة الجانب الامريكي [1].

حددت الموقف التركي من تطور الاضطرابات السورية مجموعة من العوامل من بينها ألحدود الطويلة بين الجانبين والتي تصل الى 877كم ويقع على جانبيها مجاميع أكرد أغلبها مسلحة وأن أي اضطراب في سوريا ممكن أن ينتقل الى تركيا ،فضلا عن إعتماد رفاهية تركيا على التعامل التجاري والاستثماري بأغلبه من الدول المتخلفة ومنها الوطن العربي بتعزيزها بتحقيق التواصل مع المخططات الغربية بقيادة الجانب الامريكي

تميز الموقف القطري بنوع من الازدواجية والتعقد ،إذ جمعت بتحالفاتها الاضداد في المنطقة وفي السياسات والتوجهات الاستراتيجية ،فبعد أنشقاقها عن المنظومةالخليجة تحالفت مع كل من أيران وحزب الله وحماس مع إسرائيل وبين هذه المجموعة والحركات السلفية المسلحة ومنها داعش والاخوان داخل الساحة السورية وهو ماعقد المشهد وأربك أوضاع سوريا الامنية .

ساعد في إنجاح المخطط القطري وجود جالية سورية عددها 18474 مقيما عام 2013 من مجموع المقيمين فيها والبالغ عددهم 1363116[2]،وقد زادت قطر دعمها للقوى المعارضة للنظام بعد رفض الاخير جهود الوساطة القطرية المتضمنة تقديم النظام تنازلات سياسية من بينها تخلي بشار الاسد عن السلطة .[3]إذ قدمت قطر والسعودية مبلغ الف دولار لكل شخص سلفي ومعارض مسلح للنظام السوري .[4]

ساهم داعش بدور كبير في تصاعد الازمة في سوريا بعد الدور الكبير الذي قامت به في العراق في إثارة الاضطرابات الامنية والسياسية والاجتماعية والعراق .

بدأ التنظيمات السلفية عملها التنظيمي في العراق بعد الاحتلال الامريكي بشكل عشوائي في البداية ثم إنتظمت على شكل جماعات من أبرزها جماعة التوحيدوالجهاد عام 2004 على يد أبو مصعب الزرقاوي الذي بدأ عملياته بحجة محاربة القوات الامريكية لكن الواقع يؤشر أنه وجه جهده للقيام بعمليات منظمة لاثارة الارتباك الطائفي في العراق مستغلا الانفلات الامني والارتباك السياسي ، وقد بايع الزرقاوي تنظيم القاعدة مالبث أن قام بعملياته دون تنسيق مع القاعدة تغير أسمه عام 2010 الى تنظيم الدولة في العراق ثم تصاعد دوره في سوريا عام 2011 بعد تصاعد حركة المعارضة ضد النظام السوري ث إتخاذها طابعا مسلحا ساهم فيه الحركات السلفية بدور كبير في إرباك الاوضاع في سوريا وصولا الى إعلان تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام عام 2013 ،في الوقت الذي تم رصد 76 تنظيما إرهابيا من بينها 32 تنظيماً عربياً صرفاً[5]، بدعم

---

[1] - جواد الحمد ومُحَمَّد العدينات واخرون ، الازمة السورية إستراتيجية الخروج ،مركزدراسات الشرق الاوسط ، عمان /الاردن ،العدد1، 2019 ، ص 3.

[22] - سارة جبار كريم الغزالي ، الدور الاقليمي لقطر في الشرق الاوسط دراسة في الجغرافية السياسية ، رسالة ماجستير ،كلية التربية للعلوم الأنسانية /جامعة المثنى ، 2016 ، ص 82.

[3] - المصدر نفسه ، ص 112.

[4] - إيهاء عدنان الرقماني ، الجيل الجديد من الحروب الامبريالية الجهادية (داعش والنصرة) ،أنموذجا ،مجلة حمورابي ،مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية ، بغداد ،العدد 8 ، 2013 ، ص 96 .

[5] - عزب صفاء ،تبعات الربيع العربي ، ميليشات مسلحة وفوضى ودمار ،الشرق الاوسط ، جريدة العرب الدولية ، 2014/6/3 ،

وتخطيط إقليمي ودولي لتخريب الانظمة العربية القائمة وإثارة الصراع بين مكوناتها وبين دولها .[1]

ساهمت دول الخليج في دعم الحركات المسلحة فقد سندت قطر كل الحركات السلفية المسلحة العاملة داخل الساحة السورية بما فيها الاخوان وداعش ،بينما دعمت السعودية فصائيل سياسية محددة .[2]

قام داعش بفرض سيطرته على مجموعة من المحافظات والمدن السورية المهمة بدءاً من عام 2013 منها الرقة وحلب وريف اللاذقية و وريف دمشق مع أجزاء مهمة من دمشق دير الزور وحمص وحماة والحسكة وأدلب ،وهي مساحات مهمة حيوية في سوريا ،وبمرور الوقت إستطاعت القوات السورية إستعادة الجزء الاغلب من تلك المناطق ، .[3] بدعم روسي – إيراني والفصائل الشيعية المسلحة .

إرتبط الموقف التركي من التحولات السياسية بالمنطقة العربية سيما الحدودية بمتغيرين الاول تمثل بسيطرة حزب العدالة والتنمية الذي ربط بين الانتماء الاسلامي وتبني المثل والقواعد الديمقراطية وتعزيزها بمساعي تطبيقها في الواقع العملي عبر سياسة تصفير المشاكل من خلال [4]:-

1. تنشيط التنسيق الامني ورفض سياسة المحاور التي من الممكن أن تستنزف المنطقة إقتصاديا واجتماعيا عبر إثارة الاحتراب .
2. إستخدام الحوار لحل الازمات السياسية التي من الممكن أن تحدث في المنطقة .
3. العمل على الحفاظ على الوحدة الاقليمية للدول عبر تشجيع لغة التعايش الثقافي .
4. السعي الى تنشيط الدور التركي خارج حدودهاالاقليمية
5. إستخدام العامل الاقتصادي لمعالجة الخلافات بين دول المنطقة و للحصول على المنافع الاقتصادية .

وإذا كان النقاط الثلاث الاولى قد طرحت منذ وقت مبكر من بعض السياسيين الرئيس وودرو

على الرابط: https://aawsat.com/home/article/109511)

[1] - عبد المجيد وحيد ، دور القوى الدولية الكبرى في تنامي الارهاب ، السياسة الدولية أعداد متعدد لعام 2016 على الروابط:

التالي ربط ا ال:

- 85%D9%86http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/3/12/7612/%D9%%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%81%D8-%AA%D8%AA%D8%A7%D8%AD%D9%8A%D8%A9/%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%89

- %D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A8%D8%B1%D9%8A-%D9%86%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%AA%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8.aspx

[2] - عبد الخالق عبد الله ، إنعكاسات الربيع العربي على دول مجلس التعاون الخليجي ، سلسلة دراسات المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ،بيروت ، 2014 ، ص

[3] علا علاء النحاس ،مصدر سابق ، ص 138-139 .

[4] - **.Abir M.A. al- Ghandour, Dialectical Alternatives to Contemporary Turkish Political Orientation: A Forward-Looking Study, Middle East Studies, Turkish, 2011,p-p361-394.**

ويلسن خلال الحرب العالمية الاولى ورئيس الحكومة البريطانية الاسبق لويد جورج ،بينما سعى ساسة تركيا عبر النقطة الرابعة الى تحقيق مصالح تركيا عبر أستغلال تفوقها الاقتصادي مقارنة بدول المنطقة العربية وإرتباط أوضاعها السياسية وغياب التنسيق والتكامل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بين دولها .

مثل الجانب الاخر من القضية إمكانية تغير توجهات السياسة الخارجية التركية من التحالف الاستراتيجي مع الجانب الامريكي وإمتداداته الاقليمية لاسيما إسرائيل الى إمكانية التحالف مع الجانبين الروسي-الصيني –الهندي بما يمثل تغيرا جوهريا في تحالفات المنطقة وتأثيراتها على توازن القوة ،وأمكانية تكوين تحالفات إقليمية مضادة للجانب الامريكي بعد ظهور مؤشرات إمكانية حصول تقارب تركي-إيراني يقطع على القوى الموالية للجانب الامريكي طرق الهيمنة الغربية و الاسرائيلية على المنطقة.

ظهرت مؤشرات ذلك بعد التعاون الاقتصادي التركي الايراني ممثلا بتزايد الاستثمارات التركية في حقل بارس الغاي جنوب ايران والتي وصلت الى 3.5 مليار دولار ، مقترن بعقد مؤتمر أطنبول الاقتصادي في 2تشرين الثاني /2008 الذي وجهت فيه تركيا النقد الى الجانب الامريكي بالسعي لعزل كل من سوريا وإيران .[1]

زار بعدها رج طيب اردوغان العاصمة السورية في 30 تموز/2009 وأبدى استعداد بلاده لاسستئنافدور الوساطة بين سوريا وإسرائيل لو رغب البلدن بذلك مع تصريح وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو بان المساعي جارية لوضع اسس متينة للعلاقات السورية –التركية عبر تأسيس مجلس التعاون الاستراتيجي بإيجاد أطار لتبادل اللقاءات والحوارات بين الجانبين ،[2] هذا التقدم الايجابي للعلاقات بين الجانبين أكده وليد المعلم وزير الخارجية السوري في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والامنية وعدّه نموذجا يحتذى به في المنطقة .[3]

تدرج الموقف التركي من الازمة السورية على مجموعة مراحل بدأت الاولى بتقديم النصح للنظام السوري بالاستجابة للمطالب الشعبية بالحصول على الحقوق والحريات السياسية ،[4] عبر توسيع مجالات المشاركة السياسية ، بينما تمثلت المرحلة الثانية بمناصرة الحركات السياسية المعارضة ودعمها سياسيا وإعلاميا وعسكريا وصولا الى قطع العلاقات من الجانب التركي مع سوريا في أيار/2012 مع السعي الى إثارة

---

[1] - Abdullah Karakoç, "Turkey's relations with Iran and The United States: a shift in alignment?", Master of arts in security studies, The Naval Post Graduate School, March 2009, in: edoc.nps.edu/npspubs/scholarly/theses/2009/09Mar_karakoc.pdf

Banu Eligür, Are Former Enemies Becoming Allies? Turkey's Changing Relations with Syria, Iran, and Israel Since the 2003 Iraqi war . Middle east brief No. 9. August 2006,p17..

[2] - شفيعة حداد ، واقع التحالف الاستراتيجي الامريكي –التركي بعد الاحتلال الامريكي للعراق ، أطروحة دكتوراه ، جامعة باتنة ،كلية الحقوق والعلم السياسية ، 2012 ، ص 233.

[3] - Banu Eligür ,Op<cit,P.19.

[4] أرون جبجي و قادر أوستن ، سياسة تركيا إزاء الازمة السورية ، مجلة رؤية تركية ، العدد 3 ، /2012 ،موجودة على الرابط:

/http://rouyaturkiyyah.com

المنظمات الدولية ضد النظام السوري مع فتح الحدود التركية أمام المعارضة والهاربين من العمليات العسكرية ومنها إبلاغ المبعوث الاممي والعربي لحل لمشكلة السورية باستخدام النظام القو ضد المعارضين مقابل أتهام بشار الاسد لتركيا بالسماح بدخول الاف الارهابيين الى سوريا من الاراضي التركية في 13 أيلول – سبتمبر /2012 ، [1] .

جاء هذا اتطور بالموقف التركي نتيجة إدراك نظري السياسة الخارجية التركية لاسيما وزير الذي أدرك حجم الصعوبات التي من الممكن التي تواجه الموقف التركي تجاه سوريا لاسيما بعد تعقد المشهد السوري وتعدد الاطراف الدولية والاقليمية التي تدخلت فيه واحتمال سيطرة بعضها على الوضع فيها . [2]

عول تركيا في هذه المرحلة على الدور الذي ممكن أن يقوم به حل الناتو في سوريا كما حصل مع إسقاط نظام القذافي وقبله مع أوربا الشرقية ،مع التعويل على هذا الحلف لحماية تركيا من التهديدات التي قد يتعرض لها امنها القومي عبر الدور الذي يقوم به الحلف بريا وجويا ينهي فراغ السلطة في سوريا ليس في سوريا فقط بل في كل المنطقة العربية وتساهم فيه تركيا بدور بارز لتعزيز مكانتها في المنطقة [3] .

قامت تركيا بالتدخل العسكري الفعلي داخل سوريا بوصول الدبابات التركية الى مدينة جرابلس في 24 أب/ 2016 ، بحجة دعم الفصائل المسلحة السورية ودفعها لمقاومة داعش بينما كان السبب الحقيقي هو أهمية هذ المنطقة للمصالح التركية لاسيما بخصوص تهريب النفط أوحركة المعارضة المسلحة الكردية بقيادة البككا وإمكانية تهديدها للامن القومي التركي ،لكن عودة التوازن داخل الساحة السورية نتيجة إستطاعة الدعم الروسي والايراني وشيء ما الصيني الى تقوية النظام السوري وتمكينة من الوقوف على قدميه .

تحول الموقف التركي بعدها الى مسايرة الواقع السياسي السوري الذي مال مع المواقف الاقليمية والدولية الى الركون الى الامر الواقع والدخول في المسار الدبلوماسي للمفاوضات الجارية بين النظام السوري والمعارضة التي سعت من خلالها الى تحقيق المصالح التركية .

عملت تركيا على ترتيب الاوضاع بما يخدم مصالحها عبر تنسيق المواقف مع المجلس الوطني السوري مع المجلس الوطني الكردي لتكوين مضادة قادرة على ردع تطلعات حزب العمال الكردستاني وفرعه السوري حزب الاتحاد الديمقراطي في استغلال الفرصة لفرض نفوذه السياسي والعسكري في المنطقة مستغلا الفراغ السياسي والامني الحاصل في سوريا لاسيما مع قيام وحدات حماية الشعب السوري

[1] - علا علاء الدين النحاس ،التدخل في الازمة السورية مجموعة مؤلفين ،تداعيات التدخل الدولي في إقليم الشرق الاوسط على ظاهرة الارهاب ، الركزي الديمقراطي العربي ،برلين ، 2020 ،ص 113.

[2] - عماد يوسف قدورة ، مسألة التغير في السياسة الخارجية التركية ،والمراجعات والاتجاهات ،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ،قطر ،2015، ص 19.

[3] -Ahmet Davutoglu , “**Transformation of NATO and Turkey’s Position,**” (Perceptions, vol،17 Spring 2012), p, 14.

مدعومة من الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعام مسعود برزاني بالعمل على السيطرة على مناطق واسعة في المنطقة لتحقيق حلمها الانفصالي .

عملت تركيا عى منع تنفيذ مشروع الانفصال بمنع الفصائل الكردية من الوصول الى غرب الفرات ،دون ان تنسى تركيا الخسائر التي من الممكن أن تتعرض لها في حال تورطها المنفرد ضد النظام السوري المدعوم روسيا ومن أيران والفصائل الشيعية المسلحة .

دخلت ضمن هذه المرحلة المساعي التركية لايجاد منطقة امنة منزوعة السلاح لتأمين الحدود التركية ،لكن الادارة الأمريكية وخلفائها رفض هذه المشروع الذي إعتبرته بعض القوى الدولية والاقليمية مشروعاً تركيا لاقتطاع بعض الاراضي السورية .

على الجانب المقابل تصاعد الدعم الاقليمي من بعض الدول مثل إيران وحلفائها مع تصاعد الدعم الروسي الصيني منذ 21نيسان/2013 عندما تصاعدت الهجمة السلفية ضد النظام ودخولها بعض المدن الكبيرة ،إذ دخل حزب الله والحرس الثوري الايراني وبعض الفصائل الشيعية العراقية المسلحة والتس إستطاعت قلب المعادلة لصالح النظام السوري مع دعم اعلامي إيراني بالمستشارين والاجهزة لاسيما توثيق التحركات السلفية المسلحة وجرائمها ضد الابرياء .

تصاعد الدعم المناصر للنظام السوري بالاجتماع الذي عقده وزراء دفع كل من روسيا وسوريا وإيران في طهران في حزيران/2016 ، لتدارس الطرق المثلى لدعم النظام السوري سياسيا وعسكريا وماليا ،إضعاف الهجمة السلفية المضادة له .

مكملا لما سبق لعبت إران دورا مهما في رد الهجمة السلفية المسلحة على حلب طيلة الفترة الممتدة بين تشرين الاول/2015- كانون الثاني/2017 ،نتيجة الاهمية الاستراتيجية لمدينة حلب الصناعية مع وجود دعم جوي روسي مهم لتدمير مضافات القوى المسلحة ،وهنا لم تتقاطع مع الترتيبات الاثنية والدور الاقليمي ليس الايراني بقيادته مشروع سياسي لتكوين مشروع سياسي قائم على أساس الارتباط العقائدي .

إنطلق الموقف الروسي من السعي ليس الى عدم التصادم مع القوى الاقليمية والمحلية بل إيضا لتكوين إرتباطات سياسية وعسكرية ترتبط بالجانب بتكوين شبكة من العلاقات تودها روسيا قدرة وأمكانات عسكرية ونفوذ سياسي ولتعمل تلك القوى الحليفة معها كقوى مرتبطة وتابعة وليست منافسة .

أدت شبكة الارتباطات بين القوى الدولية وتوابعها من القوى الاقليمية والمحلية لكل من روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الامريكية الى حرب بالنيابة وتتغير حسب تطورات الموقف الداخل والاقليمي تقودها توجهات القوى العظمى .

إتساقا مع تطور الوضع في سوريا وجهت القوات الامريكية –الفرنسية –البريطانية لقوات النظام السوري ضربة جوية بحجة إستخدامه الاسلحة الكيمياوية في خان شيخون في نيسان/2017 ، وتجدد ذلك العمل في نيسان/2019 ردا على نفس التهمة على مدينة الدوما بالغوطة الشرقية .لكن حقيقة الموقف سعي القوات الغربية لتدمير القوات الحكومية في قاعدة الشعيرات الجوية .[1]

[1] - زهرا إيمان ، قراءة مغايرة ، إشكالية تأمين الطاقة وحدود التنافس الروسي –الامريكي في سوريا موقع مجلة السياسية

ضربت القوات تلك مجموعة من المواقع السورية أثنين قرب مدينة حمص واحد غرب المدينة وكان مقرا لاطلاق الصواريخ ومخزن للاسلحة الكيمياوية والثاني مركز قيادة ومخزن لمعدات الاسلحة الكيمياوية والثالث مركز أبحاث في دمشق ، وقد أطلقت تلك القوات 105 صواريخ من القطعات البحرية الموجودة في البحر الاحمر والموجودة في شمال الخليج وفي شرق المتوسط ،وقد تم تجنب ضرب أي قوات روسية خشية تصاعد النزاع وتطوره بين القوى الكبرى .

جاءت تلك الضربات لاضعاف القدرات العسكرية السورية وموقفها التفاوضي في المحافل الدولية مع السعي الى إطالة أمد الحرب عبر تعطيل قدرة النظام السوري على حسم المعارك ضد المعارضة وإفشال ما تم التوصل اليه في الاجتماع الروسي –التركي-الايراني في أيار/2017 لخفض التوتر في اربع مناطق سورية الاولى تضم مناطق من درعا والقنيطرة تصل الى الحدود الاردنية ،والثانية منطقة الغوطة الشرقية لدمشق والثالثة تضم أجزاء من حمص وسط سوريا بينما تضم الرابعة محافظة أدلب شمال سوريا وقد نجح ذلك الاتفاق في تهدئة الاوضاع وعودة النازحين اليها .

سعى بعد ذلك النظام السوري الى تطهير منطقة الغوطة الشرقية من العناصر الارهابية والتي بنت توجهاتها السياسية والعقائدية على الهجوم على المناطق التي مثلت مراكز للتمركز الشيعي لاسيما الاضرحة التي تضم السيدة زينب وبعض الشخصيات المرتبطة بأهل البيت ومذهبهم العقائدي .

بدأت تلك العمليات العسكرية للنظام السوري في شباط/2018 للسيطرة على ريف دمشق وتأمين العاصمة بما فيه الغوطة ومنطقة الدوما والقضاء على القوات السلفية المسلحة فيه الممثلة بجيش الاسلام ويتراوح عدده بين 10-15 الف مقاتل وفيلق الرحمن الموالي للجيش الحر وأحرار الشام وتحرير الشام .[1]

وفي الوقت الذي إهتم فيه حلفاء النظام السوري بتعزيز قدرات النظام وسيطرته على المناطق المهمة بالنسبة للامن القومي السوري لاسيما تأمين العاصمة ،فإن تلك لعمليات لم تكن تمثل هما ستراتيجيا للقيادة التركية لمجموعة من الاسباب من أبرزها بعدها النسبي عن الحدود التركية وعدم تشكيل تلك التطورات تهديدا للامن القومي التركي مع حصول تلك العمليات على القبول الدولي العام نتيجة إتخاذ القوى المسلحة الصفة السلفية الارهابية المسلحة وإحتمال إن توسع سيطرتها ممكن أن يشكل عنصر تهديد للامن القومي للدول الكبرى والمحيط الاقليمي بما فيه التركي.

إستطاعت القوات السوري التصدي لتلك الضربات وإسقاط بعض بعض الصواريخ بإستخدام أنظمة دفاع جوي قديمة منها أنظمة S125 و BUk و S-200 السوفيتية .[2]

جاءت تلك الضربة أيضا بعد أستطاعة النظام السوري فرض إخلاء بعض المناطق المهمة لامن دمشق من القوات السلفية المسلحة وذلك في مناطق

منشور على الموقع الالكتروني : www.siyassa.org.eg/News/15634

[1] -علا علاء الدين النحاس ،مصدر سابق ، ص 129.

[2] - نفسه ،ص 130.

الغوطة الشرقية الى الدوما .[1] ويمثل ذلك الاتفاق نصرا كبيرا لقوات النظام السوري معزز بالنصر الذي حققته االقوات الحكومية في معارك حمص عام 2016 والتي وصلت الى الاتفاق في أنقرة في 4 نيسان /2019 بالاتفاق على استمرار التشاور لانهاء الازمة والوصول الى حل سلمي

مراحل الازمة السورية

إنقسم تطور الاحداث في سوريا بالصراع بين المعارضين والسلطة الى أربعة مراحل طبقا لنوعية الصراع ونوعية الخطاب السياسي المستخدم والاطراف السياسية الداخلية والاقليمية والدولية الفاعلة فيه. ، إذ يمكن تقسمها إلى أربع مراحل وكالتالي :

1. أمتدت هذه المرحلة منذ بدء التحركات الاحتجاجية في شباط وحتى حزيران /2011 وتميزت هذه المرحلة بشيوع الخطاب السلمي بالطالبة بالحقوق والحريات المختلفة وتوسيع نطاق المشاركة .

بدأ هذه المرحلة في مدينة درعا في بداية شباط/2011 والمطالبة بالحريات والاصلاح السياسي والاقتصادي وإطلاق سراح المسجونين السياسيين الذين القي القبض عليهم من عاطف نجيب ورفعت المعارضة في هذه الفترة شعارات " الله -سورية حرية وأصبحت شعارا مركزيا "14 شباط /2011 لكن المعارضة صعدت من مطالبها مما ادى بالقوات الامنية والمليشيات الموالية للنظام الى مواجهة المتظاهرين بالقوة المسلحة مما حول التظاهرات الى شعار اسقاط النظام وانتشرت الى اغلب المدن السورية في جمعة العزة يوم 25 أذار، ليبدأ بعدها الجيش السوري بعمليات قمع للناشطين إزدادت اتساعا في منتصف أذار ضد التظاهرات التي انتشرت في درعا ودوما في 25 نيسان /2011 ،وادت الى مقتل العشرات ثم في بداية ايار منه في بانياس ثم بعد ايام في حمص ثم بعد أيام في تلكلخ وفي 28 منه في الرستن وتلبيسة اوقعت حوالي مائة شخص جيب إبن خالة الرئيس بشار الاسد .[2]

دعا المسؤولون الاتراك بالتجاوب مع المعارضة من باب تقديم النصح والمشورة للحكومة السورية للوصول الى حلول وسطى مع المعارضة مما ادى الى تراجع العلاقات بين الجانبين ،كما قامت تركيا بدعمكل القرارات الدولية المعادية لسوريا .

لم تؤد الاصلاحات الحكومية الى تقارب وجهات النظر بين الجانبين مع كل الاصلاحات السياسية و الادارية ،عبر تخفيض الضرائب وتخفيض سن الخدمة العسكرية وإعفاء المحافظ لاتهامه بالفساد الاداري وإطلاق سراح المسجونين ومع إعلان الرئيس الاسد عزمه عبر مرسوم أعلنه في 14 نيسان /2011 بتشكيل حكومة جديدة وإطلاق سراح المسجونين من الذين لم يرتكبوا جرائم مع إعطاء الجنسية للمواطنين الاكراد بعد عقود من المطالبة وفي

[1] -فهمي طارق ،أكذوبة إستخدام الكيمياوي في دوما ، مجلة السياسة الدولية ، 11نيسا-أبريل /2018 على الرابط:
http://www.siyassa.org.eg/News/15633

[2] - جمال واكيم ،صراع القوى الكبرى على سوريا ، الابعاد الجيوسياسية لازمة 2011 السورية ، شركة الطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ،ط2 ، 2012، ص 204 .

21 نيسان أعلن إنهاء قانون الطوارىء الذي بدأ منذ عام 1963 وفتح باب الحوار مع المعارضة [1] .

ادت خطوات النظام السوري الاستجابة لبعض مطالب المعارضة المشروعة الى رفع المعارضة سقف مطالبها مما جعل الرئيس السوري يصفها با الازمة تمثل ثلاثة أبعاد هي (الفتنة ،والحاجة الى الاصلاح ، والحاجات اليومية) ، معطيا الفتنة التأثير الاكبر لان المعارضة تنفذ مؤامرة إقليمية ودولية ووصف المعارضين بانهم مجموعة من المجرمين والاصوليين الاسلاميين المتآمرين والمدعومين المدعومين خارجيا [2]،إذ وجه النظام السوري الاتهام الى كل من قطر والمملكة العربية السعودية والقوى المعادية بدعم الاتجاهات السلفية المسلحة رداً على موقف سوريا من العدوان الاسرائيلي والخطط الامبريالية مع إستخدام القوة المسلحة ضد القوى السياسية المعادية للنظام وإن كان إستخدام القوى والتهجير لم يحل المشكلة بل فاقمها [3].

2. مرحلة الصدام المسلح

وفي 3 حزيران اندلعت تظاهرات ضمت الالاف في ساحة العاصي في حماة وسط سوريا سقط فيها 70 قتيلا وفي محافظة أدلب في 4حزيران ثم أتسعت العمليات العسكرية في 31 تموز لتشمل مناطق مختلفة في سوريا منها حماة ودير الزور والبوكمال والحراك راح ضحيتها 150 شخصا كان منهم 100 شخص في حماة تلا ذلك محاصرة القوات الامنية لحماة ودير الزور استمر لاسابيع وفي15 حزيران إنتقلت التظاهرات الى اللاذقية وقتل فيها خلال اربعة ايام 50 شخصا واستمرت هذه المرحلة لمدة ستة أشهر حتى 18 اب /2011 .

ادى انحراف الاحتجاجات من الاصلاح السياسي الى السعي الى إثارة الفتنة الطائفية بعد شن احد مشايخ السلفية هجوما على الدروز ثم إطلاق بعض المتظاهرين شعارات مضادة للمسيحيين والعلويين وهو ما هدد باثارة فتنة طائفية ليس في سوريا بل في كل منطقة الشرق الاوسط هددت بتكوين حواضن ممكن ان تهدد امن دول العالم الكبرى ،لتؤدي تلك التطورات الى زيادة المساندة الشعبية للنظام السوري وتخلي الكثير من السوريين عن المعارضة السياسية بعد ظهور اشارات على أمكانية تهديدها للامن القومي السوري وصولا الى إمكانية تحولها الى حرب اهلية مصحوبة بالتدخل الخارجي .

أدت أعمال العنف التي تصاعدت في سوريا الى لجوء أكثر من مليوني سوري الى الاراضي التركية وقد أستخدمتهم تركيا كورقة ضغط ضد النظام السوري عبر تحشيدهم سياسيا وإعلاميا بتنظيمهم وإقامة المؤتمرات الصحية والندوات التعريفية وتقديم ملفات

[1] - كمال ديب ، أزمة سوريا إنفجار في الداخل وعودة الصراع الدولي ، دار النهار،بيروت ، 2013 ، ص 73-74.

[2] - أحمد خضير عباس ، الازمة السورية وأثرها في العلاقات الروسية –التركية (رؤية مستقبلية) ،قضايا سياسية (مجلة) ، كلية العلوم السياسية /جامعة النهرين ، العدد 61، 2020 ، ص 269.

[3] - معتز عبد القادر ، الادوار الدولية للقوى الكبرى تجاه الازمة السورية ، مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية ، العدد 10، 2015 ، ص 335 .

اللاجئين السوريين للتشهير بالنظام السوري وإثارة الرأي العام الدولي ضد النظام السوري .

لم يكن الهدف التركي من تلك الخطوات تغيير النظام السياسي السوري بما يتوافق مع المصالح التركي لاسيما بعد تصاعد الدعوات الطائفية وإمكانية تسلم الاخوان المسلمين والحركات السلفية المدعوة تركيا وخليجيا بل ايضا لفك التحالف السوري مع الهلال الشيعي الذي تقوده إيران والذي يضم معها العراق وحزب الله وسوريا .[1]

تزامن مع تلك التطورات مطالبة المندوبة الامريكية في هيأة الامم بلجنة تحقيق حول إنتهاك حقوق الانسان في سوريا وبعد عرض القرار للتصويت حصل على موافقة 33 دولة من أعضاء الجمعية العامة للامم المتحدة مقابل معارضة اربعة أعضاء ابرزهم روسيا والصين وايران مع أمتناع تسعة أعضاء عن التصويت .

ساعد في التحشيد العسكري لكلا الجانبين النظام والمعارضة ماانتجه الاحتلال الامريكي للعراق من فوضى اجتماعية وعسكرية واقتصادية وما صاحبها من قمع القوى السياسية الليبرالية والقومية وشل قدرتها على التحرك للتحشيد السياسي او العسكري من القوى المحتلة مما ساعد على هيمنة القوى الاسلامية على المشهد السياسي في العراق بعد الفراغ الذي انتجه الاحتلال وعدم قدرة القوى السياسية تشكيل مؤسسات قادرة على ضبط السلوك الاجتماعي وإدارة الملفات الاقتصادية والامنية بشكل ناجح مع الارتباكات التي صاحبت تشكيل النظام السياسي العراقي بعد عام 2003 بما أدى الى تصاعد المد الطائفي المسلح.

بعد تصاعد الصراع في سوريا انتقلت القوى الاسلامية المسلحة منها الى الساحة العراقية ، في البداية للمشاركة في الجهاد ضد القوات المحتلة ثم تحولت الى البعد الطائفي بتوجيه من المراكز السلفية بما عمق الصراعات الطائفية فيها بين القوى السلفية والقوات الموالية للنظام السوري وأغلبها حركات شيعية وقفت الى جانب النظام تحت ذريعة حماية العتبات الشيعية الموجودة في سوريا وأبرزها مرقد السيدة زينب بنت الامام علي عليه السلام بعد تهديد الحركات السلفية له بتشجيع من إيران الاسلامية لتعزيز نفوذها في المنطقة وتعرض المراقد الشيعية الى الانتهاك والتهديم.

تغير موقف الدول الكبرى لاسيما فرنسا وبريطانيا وألمانيا والاتحاد الأوروبي وكندا والولايات المتحدة الأمريكية من الادانة التي استمرت خمسة شهور و الاكتفاء بإدانة القمع والدعوة إلى الإصلاحات الى التحول الى المعاداة الفجة للنظام السوري القائم تمثل بدعوة الرئيس السوري بشار الأسد الى التنحي عن السلطة على الفور لانه فقد

[1] - إبتسام مُحَمَّد العامري ، البعد الاقليمي في الازمة السورية ،مجلة السياسة الدولية ،مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية /جامعة بغداد ، العدد 7، 2015 ، ص139.

شرعيته بالكامل ، . وفي أوائل شهر أيلول وبعد تفاقم حالات الانشقاق في الجيش السوري على مدى ثلاثة شهور اعلن عن تنظيم عسكريٍّ يُوحد هؤلاء العسكريين، وهو " لواء الضباط الأحرار"بقيادة حسين هرموش وتلاه بشهرين الإعلان عن الجيش السوري الحر بقيادة رياض الاسعد في تركيا بدعم وتمويل أمريكي-خليجي مرتبطا بطرح شعارات إعادة بناء النظام السوري بآليات ديمقراطية وتوسيع المشاركة السياسية مع دخوله عشرات المعارك مع الجيش النظامي السوري .

إفتقد الجيش الحر القيادة القادرة على قيادة الشعب الوري فضلا عن أن إرتباطه بالقوى الاقليمية والدولية المعادية أضعف من قدرتها على كسب قطاعات مهمة من الشعب السوري .[1]

تأسست بعد ذلك مجاميع مسلحة منها جيش الاسلام في دمشق بدعم سعودي في دمشق تحت ذريعة السيطرة الايرانية على سوريا وإعتماد الطرح الطائفي بدلا عن المطالبة بالحقوق السياسية وجيش النصرة بدعم قطري عام 2011 [2]، ثم تنظيم داعش عام 2013 بقيادة أبو بكر البغدادي [3]

مثل دخول الفصائل المسلحة في معارك مع الجيش النظامي السوري خطأ ستراتيجيا لمجموعة من الاسباب من أبرزها :-

أ- ميل كفة المعارك العسكرية لصالح الجيش النظامي للفارق بالقوة بين الجانبين .

ب- تحول المعارضة من الجانب السياسي الى القتال المسلح أعطى الجيش النظامي والنظام السوري شرعية تصفية المعارضة بحجة الدفاع عن النفس أو الحفاظ على الممتلكات العامة .

ج- عدم وجود دعم خارجي حاسم واضح للقوى المسلحة المعارضة مع قلة عددها ،إذ بلغت المساعدات العسكرية الامريكية عام 2015 تقريبا 384 مليون دولار شملت معدات عسكرية دون الاهتمام بحياة المعارضين الاقتصادية والاجتماعية فقامت بتدريب 180 عنصراً سورياً معارضاً وهو رقم يدلل على ان المدربين مرتبطين بالاجهزة الاستخبارية الامريكية وان كل مقاتل حصل على مليوني دولار وهو مبلغ ضخم جدا لما سمي بالجيش الحر مع تزويدهم بصواريخ تاو الفرنسية المضادة للدبابات مع صواريخ مقاومة

[1] - سهام فتحي سليمان ، الازمة السورية في ظل التوازنات الاقليمية والدولية ،رسالة ماجستير ، جامعة الازهر ،غزة ، 2015 ، ص 42.

[2] - ريز ارليخ ،داخل سوريا ، قصة الحرب الاهلية وما على العالم أن يتوقع ، ترجمة رامي طوقان ، ط1، الدار العربية للعلوم ، بيروت ،2015 ، ص 91.

[3] - حسين مصطفة أحمد ،وخضير إبراهيم سلمان ، الصراع في سوريا والقوى الاقليمية والدولية (دراسة تحليلية ومستقبلية) ،مجلة الاستاذ ،الجامعة المستنصرية ، العدد 221، 2017 ، ص 8 .

الطائرات الحساسة ودقيقة الاصابات ستينجر وهي محدودة العدد وتسلم وفق نظام الذمة رغبة من الجانب الامريكي باستهداف الطائرات الروسية لاضعاف النفوذ الروسي في سوريا والحصول على أسرار الاسلحة الروسية لاسيما الطائرات بعد إسقاطها .

ادت تلك التطورات الى مزاوجة المعارضين بين المطالبة بالاصلاحات واستخدام القوة ولو بشكل محدود صاحبها دخول بعض الضباط الكبار اليها بعد إنشقاقهم عن الجيش النظامي وتشكيل الجيش الحر وقد أستمرت هذه المرحلة الثانية لمدة تسعة أشهر .

لم تبق هذه الصدامات ضمن الاطار الداخلي السوري بل تحولت الى حرب إقليمية ودولية بالنيابة أشرت إمكانية تهديدها الامن والاستقرار الاقليمي والدولي لاسيما بعد تحولها الى ملجأ ومكان لتفريخ الخلايا الارهابية .[1]

لم يمنع دخول المفاوضات الدولية لحل الازمة السورية حصول مناوشات بين الاطراف المتصارعة على النفوذ فقد أدت محالاوت إضعاف تركيا للنظام السوري الى تشديد الحصار على الجسر الجوي اليها من روسيا والتي جاء في سياقا تفتيش طائرة قادمة من روسيا مرت بالاجواء التركية وبعد تفتيشها الى أكتشاف اسلحة على متنها وهو ماأدى الى أزمة دبلوماسية بين الجانبين الروسي والتركي تلاها أسقاط الاتراك طائرة سيخوي 20 في عام 2015 وقد أدعت تركيا أن الطائرة إخترقت الاجواء التركية بينما الحقيقة أن تركيا إمتعضت من القصف الروسي لقرى تركمانية في شمال اللاذقية وبعد تحذيرات تركية لروسيا ود طلب بوتين من اردوغان الاعتذار مما أدى الى فرض الرئيس بوتين بعض العقوبات الاقتصادية على تركيا ،[2] لاسيما على الاعمال الاستثمارية التركية في مجال البناء في روسيا وتوريد المواد الغذائية الى روسيا ، التي وصلت عام 2015 الى100 مليار دولار ، الامر الذي جعل الرئيس التركي يذعن لتلك الضغوط ويعتذر من الرئيس بوتين ومن ثم إعادة العلاقات بين الجانبين والتي جاء في سياقها توقيع خط مد أنبوب الغاز التركي عام 2016 بقيمة 12 مليار دولار.[3]

تدويل الازمة :أدى تصاعد الازمة وتحولها من صراع فكر وسياسي بين النظام وحركة الاحتجاجات الى تدويل الازمة لتداخل المصالح الاقليمية والدولية داخل سوريا وفي المحيط الاقليمي .

شهدت تلك المرحلة تصاعد الدعم الخارجي لقوات المعارضة من دول وحركات اقليمية وقوى دولية بما اعطى الصراع بين الجانبين صفة تصفية حسابات سياسية واستغلال الصراع لتعزيز النفوذ في سوريا بعد تراجع المسيرات والشعارات السلمية الوطنية مقابل سيطرة الشعارات الطائفية و رفع شعار اسقاط النظام .

إنقسمت القوى الدولية والاقليمية على طرفي النزاع فقد عارضت الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها ومنهم دول الخليج وتركيا النظام ودعمت المعارضة ،فيما

[1] - أحمد خضير عباس ، المصدر السابق ، ص 270-271 .

[2] - جلال الورغي ، الازمة الروسية –التركية ، محددات التاريخ والجغرافيا ، والتطلعات لادور جديدة ، تقارير مركز الجزيرة للدراسات ، 2015 ، ص 5-6.؛ آنا بورشيفكايا ،روسيا في الشرق الاوسط ، الدوافع –الاثار- الامال ، تقارير معهد واشنطن ، ،ترجمة معهد إدراك للدراسات والاستشارات ، 2015 ،ص 43 .

[3] - احمد خضير عباسس لرماحي ، المصدر السابق ، ص 278 .

ساندت النظام كل من روسيا الاتحادي والصين والهلال الشيعي بزعامة إيرانية ، وفي هذه المرحلة تحولت تركيا الى مثابة لتجمع المعارضين وتدريب المسلحين المدعومين من الادارة الامريكية ودول الخليج العربي مع تسهيل حصولهم على الاموال والاسلحة .[1]

كما سعت تركيا الى فك الارتباط بين سوريا ودول المشرق لاسيما العراق وأيران وحزب الله عن طريق كسب الجماعات السلفية والتي تسير بالخط التركي مقابل إضعاف الدولية السورية والحكم السوري بقيادة بشار الاسد وتوجهاته السياسية وسياساته الاقتصادية والاجتماعية مع العمل على إسقاط النظام السوري عبر دعم المعارضة سياسيا وعسكريا .[2]

أدى تصاعد الدعم الاقليمي والدولي للمعارضة السورية الى لجوء النظام السوري الى بعض الدول الصديقة وفي المقدمة منها الاتحاد الروسي لتعزيز مصالحه في سوريا وساحلها المهم في الوقت الذي اتبعت الادارة الامريكية الاساليب السلمية لتعزيز مصالحها في المنطقة، [3] بعد خسائرها الكبيرة في العراق وأفغانستان الذي فسح المجال امام الجانب الروسي لترتيب أوراقه السياسية في المنطقة لاسيما الحصول على الخدمات اللوجستية وايران التي سعت الى دعم حليفها السوري مع وجود بعض الفصائل المسلحة العراقية الموالية لايران .

افاد الدعم الدولي الروسي والصيني في حماية الجانب السوري من القرارات الدولية المضادة مع تعزيز قدراتها العسكرية والاقتصادية .[4]

جمعت المصالح الاطراف الدولية والاقليمية لدعم أو معارضة النظام السوري مع الاختلاف بالتوجهات الاستراتيجية والعقائدية .

3. المرحلة الرابعة إتسمت بتوقف الانشاقات داخل الجيش السوري وزيادة الدعم الخارجي لاسيما الروسي للنظام السوري مقابل ضعف تاثير الجيش الحر وسيطرة الحركات السلفية المسلحة على القوى المعارضة وحملها لواء معارضة النظام ليتحول الصراع الى صراع بين النظام والقوى السلفية .

انتشرت جبهة النصرة على حساب الجيش الحر مما ادى الى وضعها تحت لائحة الارهاب من الجانب الامريكي ، الأمر الذي صدم المعارضة السورية ، متزامنا مع التطورات المربكة لحالة الصراع بين النظام وقوى المعارضة ،إذ ادى عدم حسم المعركة ضد النظام الى سعي الدول الاقليمية لاسيما تركيا ودول الخليج الى تحشيد قوى مسلحة كانت على الاغلب تتبنى العقيدة السلفية .

[1] - معمر فيصل خولي ، العلاقات الروسية –التركية من أرث الماضي الى افاق المستقبل ،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ،بيروت ،2014 ، ص 70-71.

[2] - جهاد عودة ، مستقبل الشرق الاوسط والتقديرات الاستراتيجية ، المكتب العربي للمعارف القاهرة ،2017 ، ص 554-555.

[3] - خلف عبد الله مُحَمَّد جاسم ، دور الامم المتحدة في حل الازمات الدولية (سوريا ،اليمن) نموذجا، رسالة ماجستير ،كلية القانون والعلوم السياسية، 2021 ، ص 62-63.

[4] - بشار بصرو شيخ علي ،التسوية السلمية للازمة السورية في ضوء موازين القوة الإقليمية والدولية ،المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ،ط1، برلين، 2019 ، ص 33.

لم يكن الموقف الامريكي بعيدا عن موقف القوى الغربية بالبحث عن مصالحها من خلال تهديم البنى التحتية واعادة صياغة البناء العقائدي للدول العربية بما يتوافق مع تعزيز نفوذها لاسيما تهديم البنى الاقتصادية والاجتماعية القائمة على اساس التخطيط المركزي الذي حقق الاكتفاء الذاتي لسوريا ومنع عنها المديونية الخارجية .

سعت تركيا خلال هذه المرحلة الى توظيف كل القوى السياسية وذات القدرات العسكرية الى جانبها ضد النظام السوري من هنا جاء توظيف الاكراد الى جانبهم لاسقاط النظام التركي ،لكن مساعي تلك الجماعات لتحقيق أهدافها الخاصة بالعمل على بسط سيطرتهم على المنطقة الممتدة من شمال العراق الى البحر المتوسط بالسيطرة على تل ابيض ثم كوباني والتوجه نحو عين العرب أدى الى تصاعد القلق التركي من تلك التطورات لاسيما حيال مساعيهم للسيطرة على عفرين أي الوصول الى البحر المتوسط والسيطرة على انابيب النفط وهذه المناطق في أغلبها مناطق يسكنها العرب وأقليات قومية أخرى لاسيما ان حزب الاتحاد الديمقراطي وهو فرع من حزب العمال الكردستاني قاد تلك الحملة ونفذ تلك السياسة [1]، وإن كانت الحملات العسكرية داخل الاراضي السوية أمتدت طوال عام 2014 ،بدأت منتصف ذلك العام بهجوم شنته قوات داعش وجبهة النصرة على شمال وشرق حلب وصولا الى الحدود التركية بعد الوصول الى جرابلس والباب والسيطرة عى الرقة ومنبج بدعم تركي شمل الخدمات اللوجستية والتعامل والتبادل التجاري مع برنامج التدريب الامريكي لبعض حركات المعارضة بإشراف تركي ولكن أغلب هذه الحركات مالبثت ان تحولت الى مناصرة الحركات الاسلامية المتطرفة وقد إنقسم الدعم الدولي أمريكي للقوات الكردية بالقصف الجوي وتسهيل انتقال قوات البيشمركة من شمال العراق الى الشمال السوري والتي استمرت طيلة الفترة 2015-2019 مقابل الدعم التركي للحركات السلفية[2] وأدت الى قبول الطرفين بحل سياسي عام 2015 مع إشتراط الغاء نظام الاسد لكن الامر تغير عام 2016 بالاقرار بالابقاء على نظام الاسد .

حصل ذلك بعد أن وصلت تركيا الى قناعة بضرورة التعايش مع نظام الاسد نتيجة تصاعد الصراع ووصوله الى حالة عدم القدرة على كسر ارادة النظام السوري نتيجة حصوله على الدعم الروسي المطلق ودول الهلال الشيعي ،ولكن رغم ذلك قامت تركيا بعملية عسكرية في 24 أب/2016 بالتاون مع الجيش السوري الحر المسماة (درع الفرات) التي سعت الى إبعاد المقاتلين الاكراد الى شرق نهر الفرات ثم ضد القوات المقاتلة الكردية في منطقة عفرين تحت أسم معركة (غصن الزيتون) وذلك في كانون الثاني/2018 ثم عملي نبع السلام في 9تشرين الاول-أكتوبر /2019 بالتعاون مع لفصائل المعارضة للنظام السوري في شمال سوريا ضد مقاتلي حزب العمال الكردستاني ووحدات حماية الشعب الكردي وإنشاء منطقة أمنة لعودة اللاجئين السوريين الى مناطقهم ، مع توطيف العناصر والمجاميع السلحة لابعاد المجاميع المسلحة الكردية عن المناطق المهمة

[1] - جهاد عودة ، المصدر السابق ،ص556 .

[2] - إبراهيم مصطفى (كابان) ، مسارات الازمة السورية ، دار تجمع المعرفيين الاحرار الالكتروني ، 2019 ، ص 60-62..

ستراتيجيا لتركيا لاسيما القريبة من البحر المتوسط وخطوط انابيب النفط والحدود التركية .[1]

إنسحبت القوات الامريكية من الحدود التركية السورية عام 2019 [2]وهو ما فسح المجال امام القوات الروسية للحلول محلها والتي حققت هدفين الاول إضعاف الوجود السلفي مقابل فرض التعايش بين مكونات المنطقة مع ربطها ولو بشكل غير مباشر مع النظام السوري .

ادى صبغ المعارضة السورية بالصبغة السلفية المسلحة الى الضغط الروسي والامريكي لتقليص الدعم المالي والمادي عن القوى السلفية في كل من العراق وسورريا ،وهو ما أدى الى ضعف القوى المعارضة للنظام السوري وفي العراق ، مع الاتفاق بين الجانبين الامريكي والروسي وفق بيان جنيف 1 في 30 حزيران/2012 على حل المشكلة السورية سلميا .

نتج ما سبق عن استخدام روسيا والصين حق النقض ضد قرارين لمجلس الامن للتدخل المحدود في سوريا بحجة حماية المدنيين في المدن السورية في 2011/10/14 و2012/2/4 على التوالي ، تجدد هذا التواصل بين الجانبين الامريكي والروسي في 22 كانون الثاني/2013 في مدينة مونرو السويسرية بسبب استمرار الحرب بين النظام السوري والمعارضة ، لذا لم يتغير موقفيهما بسبب بقاء الاوضاع كماكانت عليه ، بل اتسعت بدخول حزب الله الى جانب النظام في حزيران /2013 ومشاركته في معركة القلمون وتأمين الحدود اللبنانية -السورية بالتعاون مع الجيش السوري مع وجود دعم من خبراء روس و مجاميع عراقية وايرانية مسلحة .

بعد تصاعد الصراعات بين القوى الاقليمية على الساحة السورية وظهور دلائل على امكانية تصاعد الصراع بين الجانبين الروسي والامريكي ممكن ان تتحول الى حرب كونية وعدم وجود رغبة لدى الادارة الامريكية في تلك المرحلة بالدخول في حرب استنزاف مع روسيا في منطقة لاتمثل قيمة ستراتيجية وغنى اقتصادي للجانب الامريكي كما هي الحال بالنسبة لمنطقة الخليج العربي إستمر بحث الجانبين الامريكي والروسي عن حل توافقي يهدىء الصراعات المسلحة في سوريا مع مجاورة الاخيرة لاسرائيل بما يحمل معه فرص تعقيد المشهدالسياسي والامني نتيجة أهمية الصراع العربي-الاسرائيلي في الوجدان العربي -الاسلامي.

الدور التركي في إدارة الملف السوري

لعبت تركيا دورا مهما في تنظيم المعارضة ضد النظام فهي أشرفت على تأسيس الجيش الحر فيما عملت على الجانب السياسي على تأسيس المجلس الوطني السوري إثر إجتماع لبعض القوى المعارضة في أسطنبول في 2تشرين الاول /2011 شملت قوى إعلان دمشق وجماعة الاخوان المسلمين واحزاب الكردية والمنظمة الاشورية الديمقراطية وشخصيات وطنية مستقلة .

طرحت شعارات اسقاط نظام الاسد وبناء نظام ديمقراطي مدني بدلا عنه وقد حظي هذا الجمع

[1] -أحمد خضير عباس الرماحي ، الازمة السورية ،أثرها في العلاقات الروسية- التركية (رؤية مستقبلية) ، مجلة قضايا سياسية ، كلية العلوم السياسية /جامعة النهرين ، العدد 61 ، السنة الثانية عشرة /2020 ،ص 274.

[2] -إبراهيم مصطفى (كابان) ، مصدر سابق ، ص 69-71.

بدعم الدول الخليجية لاسيما المملكة العربية السعودية وقطر وبرعاية أمريكية مع العمل على كسب قطاعات معينة في سوريا عبر إعتماد المحاصصة والتوافق لتقسيم المصالح بين المكونات [1]

تطور دور الامم المتحدة في التعامل مع القضية السورية

بعد الانتقادات التي تعرضت لها الادارة الامريكية في التعامل المنفرد مع العراق ومانتج عنها من مواقف معارضة للاحتلال الامريكي للعراق سعى الجانب الامريكي وبعض القوى الكبرى الى توظيف القرار الدولي لخدمة مصالحها ،وقد إستغلت الدول الكبرى الاجماع من الدول الكبرى على رفض استخدام العنف من الحكومة ضد المعارضين في سوريا .

جاء في ذلك السياق تعيين الامم المتحدة مبعوثا أمميا لمتابعة الازمة السوري في 24شباط/2011 هو كوفي عنان بالتشاور بين الامين العام للامم المتحدة ونبيل العربي الامين العام لجامعة الدول العربية .

التقى كوفي عنان باطراف الصراع بدءا من الرئيس بشار الاسد الذي أبدى إستعداده للتعاون مع الاطراف الدولية لحل الازمة والتي جاء في سياقها الاصلاحات التي اجراها على الدستور مع إطلاق سرح المسجونين وتخفيض الضرائب ،لكن تصاعد مطالب المعارضة جعل كوني عنان يصرح بان الوضع في سوريا يهدد بالتصاعد والتمدد الى دول الجوار .

رافق تلك المساعي الاممية تصعيد من بعض الاطراف الدولية لاسيما الجانب الامريكي وفرنسا بالدعوة الى تنحي الرئيس بشار الاسد كشرط لانتهاء الازمة ،وهو مايدلل على رغبة غربية لتغيير النظام السوري بما يخدم مصالحها وليس للوصول الى حل وسط بين الحكم والمعارضة ،الامر الذي رفضته روسيا على لسان وزير خارجيتها سيرغي لافروف [2].

ادى تعقد المشهد السياسي والامني في سوريا وإمكانية أنتقال تأثيرها لاسيما الامني الى الغرب الى الاهتمام بتسوية تخدم الاطراف الدولية الفاعلة ،مع المبادرة التي طرحها كوفي عنان إتسمت بنوع من العقلانية مرتبطه بخبرته السياسية وخلفيته المرتبط بالعالم الثالث وقد تضمنت النقاط التالية :

أ. إنشاء عملية سياسية شاملة قائمة على الفكر الليبرالي تقوم عليها الحكومة السورية بالتعاون مع المنظمة الدولية .

ب. إيقاف العنف بكل أشكاله من الاطراف السورية كافة وبإشراف المنظمة الدولية .

ت. ضمان أيصال المساعدات الانسانية لكل مناطق سوريا التي تعاني بسبب العمليات العسكرية وذلك بإيقاف العمليات العسكرية لمدة ساعتين وبإشراف أممي.

ث. ضمان التغطية الصحفية بضمان حياة الصحفيين وحرية تنقلهم داخل سوريا لاسيما في مناطق الصراع .

ج. إطلاق سراح النشاطين السياسيين لاسيما السلميين .

[1] - شمس الدين الكيلاني،عام على تأسيس الائتلاف الوطني السوري ، بين رهانات الولادة وعسر المهمة ، متاح الكترونيا على الرابط https://www.dohainstitute.org/ar/politicalstudies//pages/art308.aspx

[2] - خلف عبد الله مُحَمَّد جاسم ، دورالامم المتحدة، مصدر سابق ، ص 70-71.

ح. إحترام حرية إنشاء الجمعيات السياسية وحرية التجمع والتعبير عن الرأي .[1]

لم توقف خطة عنان الصراع المسلح داخل الساحة السورية نتيجة تصاعد التدخل الاقليمي والدولي وأرتفاع سقف المطالب الاقليمية ومطالب المعارضة وإتخاذها طابعا طائفياً بتحريض من القوى الاقليمية وفي المقدمة منها تركيا التي تحولت الى مثابة لتجمع السلفيين المسلحين وبتمويل من دول الخليج .

أدى تصاعد الازمة السورية ودخولها المرحلة الثانية من العنف الطائفي الى مساعي دولية لحل الازمة بالاجتماع في جنيف في 30حزيران/2011 بحضور وزراء خارجية الدول دائمة العضوية في مجلس الامن مع والامين العام للامم المتحدة وأمين عام الجامعة العربية ووزراء خارجية كل من العراق وقطر والكويت والممثل الاعلى لشؤون الامن والعلاقات الخارجية في الاتحاد الاوربي .

أدى الاختلاف الدولي في طريقة التعامل مع الازمة السورية الى إستقالة كوفي عنان بعد تصاعد الخلافات داخل المنظومة الدولية في أب/2012 بعد أكثر من سنة من المساعي الحثيثة منتقدا الدور السلبي للامم المتحدة وسيطرة المصالح الذاتية على الرسالة الانسانية للامم المتحدة ، ليتولى الاخضر الابراهيمي بدلا عنه المهمة بتكليف من الامم المتحدة والجامعة العربية للتوصل الى حل للازمة السورية .[2]

جدد في أيلول الاخضرالابراهيمي طروحات كوفي عنان القائمة على أساس أجراء اصلاحات دستورية وسياسية بوجود النظام السوري القائم كخطوة انتقالية لحل الازمة بعد لقائه بالرئيس السوري لمرتين في أيلول وفي 21 تشرين الاول/2012 والتي فيها وافق فيها الرئيس بشار الاسد على أجراء لاصلاحات مقابل إيقاف تمدد اعمال العنف داخل سوريا عبر أيقاف الدعم الخارجي للجماعات المسلحة ،[3]ضمن هذا الاطار جرت مفاوضات جنيف 2 في 22 كانون الثاني/2014 والتي فشلت نتيجة أصرار الجانبين بوجهتي نظريهما وهو ما اثار إمتعاض القوى الدولية والاقليمية المناهضة للنظام السوري التي طالبت بسقوط النظام السوري قبل اي خطوة إصلاحية ، أي اعتماد الحل السياسي والعسكري المتزامن لاسيما النظام السوري بإستعادة سيطرته على المشهد السياسي السوري بعد تصاعد الدعم الروسي له في الوقت الذي طالب الجانب الامريكي بتنحي الاسد عن الحكم وهو الرأي الذي طرحه ممثل المعارضة السورية أحمدالجربا مما أشر عدم إمكانية توصل الجانبين لحل وسط الامر الذي قابله الاخضرالابراهيمي بتقديم الاستقاله عن مهمة التوسط بين الجانبين في أيار/2014 لاسيما بعد الانقسام الدولي حول الازمة بعد ان حضرت المؤتمر اكثر من 40 دولة .[4]

---

[1] - Kofi Annan six-point plan for Syria: https://www-aljazeera-com.cdn.ampproject.org

[2] - خالد جمعي ، الانتقائية وإزدواجية المعايير في مواقف الامم المتحدة تجاه الازمتين الليبية والسورية ، مجلة السياسة العالية ، جامعة أمحمد بوقرة بومدراس ، العدد 1، سنة 2017 ، ص72-75.

[3] - علاء عبد الحميد عبد الكريم ، دور الامم المتحدة في تسوية الازمة السورية ، مركز الامارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية ،ابو ظبي ، ط1 ، 2018 ، ص 59 .: كمال ديب ، أزمة سوريا ، إنفجار في الداخل وعودة الصراع الدولي ، دارالنهار ،بيروت ،ط1، 2013 ، ص 116.

[4] - خلف عبد الله محمد جاسم،مصدر سابق ، ص 73-74.

تولى دي مستورا مهمة التوصل مهمة حل الازمة السورية بعد إستقالة الاخضر الابراهيمي في الاول من تموز/2014 الذي حاول تقريب وجهات النظر بين طرفي الصراع داخل الساحة السورية لاسيما بعد تقديم النظام السوري مبادرة ايجابية بعد فشل مؤتمري جنيف الاول والثاني وتصاعد النشاط الارهابي للجماعات السلفية بعد سيطرة داعش على مساحات واسعة من العراق وسوريا وهو ما مثل عنصرا ضاغطا على النظام السوري من جهة والمنظومة الدولية للخشية من إنتقال تأثيرات تلك الحركات المسلحة على الساحة الاوربية .

سعى دي مستورا الى إيقاف أعمال العنف الجارية والسعي الى إيصال المساعدات الانسانية الى السكان النحاصرين في حلب كخطوة الى تهدئة الاوضاع من إجل انجاح تأسس حكومة إنتقالية تقوم بإجراء إنتخابات رئاسية [1] .

تضمنت خطط دي مستورا العمل على أربع مراحل الاولى تبدأ بوقف العمليات العسكرية بين الحكومة والمعارضة دون شمول الاتجاهات السلفية المسلحة الارهابية بها والاتفاق على تشكيل قيادة عسكرية موحدة بين الجانبين فيما تتمثل المرحلة الثانية بالعمل على تشكيل حكومة إنتقالية تشمل 120 شخصية لعبودورا مهما خلال عمل المعارضة ولم يعملوا مع الحكومة القائمة .

يبدو أن هذه الخطة تمثل وسيلة لتنفيذ الاجندة الدولية في سوريا عبر المتعاونين مع تلك القوى الدولية مع القيام بالاشراف على إقامة أنتخابية رئاسية وبرلمانية تحت رعية الامم المتحدة .[2]

بدأت المساعي الدولي للضغط على النظام السوري بصدور قرار عن مجلس الامن وفق القرار المرقم 2254 في كانون الاول/2015 [3] بايقاف القصف الجوي على مناطق المعارضة والسماح بادخال المواد التموينية والطبية الى المناطق المحاصرة مع إطلاق سراح الموقوفين شباط /2016 وافقت الهيأة العليا للمفاوضات التي إنبثقت عن مؤتمر الرياض برئاسة رياض حجاب في مؤتمر جنيف بمشاركة ستيفن دي مستورا ها ع خلف دي مستورا لم تنجح تلك المساعي بسبب عدم تنفيذ النظام مطالب المعارضة مما أدى الى إنسحاب بعض شخصيات المعارضة مثل رياض حجاب وأسعد الزغبي مما أدى الى تعليق دي مستورا تلك المفاوضات ثم إستقالته عام 2018 ، [4] بعد تفاقم الازمة السورية وإستطاعة الحكومة السورية تحجيم قدرات المعارضة وتقليص الدور الاقليمي والدولي فيها نتيجة الدعم الروسي والهلال الشيعي .

عين امين عام انطونيو غوتريش مبعوثا أمميا جديدا بعد إستقالة دي مستورا الدبلوماسي النرويجي جير بيدرسون في كانون الثاني/2018 ،وقد ركز الاخير

[1] - خالد جمعي ،مصدر سابق ،ص 75-76.

[2] - قناة العربية ،سوريا ....دي مستورا يقدم خطة الحل من ثلاث مراحل :
https://www.alarabiya.net/ar/arab and and word/syria/2015/09/01

[3] - حمدان محمد الطيب ، تسوية الازمة السورية في ظل التوازنات الدولية والاقليمية قراءة في مؤتمرجنيف 2و3 ،مجلة الحقوق والعلوم السياسية ،جامعة محمد خضير بسكرة /الجزائر ، ،العدد 9، 2018 ، ص 479.

[4] -خلف عبد الله محمد جاسم ، مصدر سابق ، ص 76 .

على تشكيل لجنة لوضع دستور جديد مكونة من 150 تعين كل من الحكومة و الامم المتحدة والمعارضة 50 شخصا منهم وقد أختارت الحكومة أحمد الكزبري رئيسا لمجموعتها بينما إختارت المعارضة هادي البحرة ، [1] ويبدو أن إعطاء الحكومة السورية هذا الدور جاء إنسجاما مع تغير الوضع داخل الساحة السورية لصالح الحكومة السورية وإستطاعتها التخلص من الجزء الاكبر من المعارضة السورية المسلحة مع قيام الدعم الروسي بضمان عدم أتخاذ قرارات أممية ضد النظام السوري باستخدام حق النقض ضد المشاريع الامريكية والغربية ضد سوريا .

سعت الادارة الامريكية الى نجاح مهام اللجنة لتجاوز إمكانية تمديد حكم بشار الاسد لفترة أخرى ،لكن الجهود الامريكية فشلت لتلكوء أعمال اللجنة نتيجة إصابة بعض اعضائها بوباء كورونا وبالتالي الفشل في وضع دستور للبلاد بما يتوافق مع الضغوطات الغربية لاسيما الامريكية .

زار ارئيس التركي رجب طيب اردوغان موسكو في أيلول/2018 والتقى بالرئيس بوتين للتباحث للتوصل الى حل سياسي حول أدلب ،إذ أتفق الطرفان على إنشاء منطقة منزوعة السلاح بمدى 15-20 كم بين المعارضة والقوات الحكومية وقد ئايدت كل من تركيا وروسيا وايران هذا الاتفاق بالاتفاق مع الحكومة السورية ، [2]

إستمر التعاون بين الجانبين ،إذ أبدت روسيا إستعدادها للتعاون مع تركيا في حفظ الامن القومي التركي من ذلك منع تمدد ميليشيات (ب ي دي) وارغامها على الابتعادعن الحدود التركية لمسافة 30 كم وتحميل قسد الكردية في حال التجاوز على الاتفاق التركي-الروسي الذي تم في سوتشي . [3]

[1] - المصدر نفسه ،ص 77.

[2] - نور الشرجي ، الازمة السورية ومكافحة الارهاب مركز دمشق للابحاث والدراسات ،دمشق ، 2018 ، ص 22.

[3] - أحمد خضير عباس الرماحي ،مصدر سابق ،ص 284.

سياسة الاستعمار الفرنسي ونضال الجزائريين، مئوية الاحتلال- أنموذجا-.

الدكتور العربي إسماعيل.
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.

ملخص المداخلة

من أجل ترسيخ أقدام الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتثبيت جذوره، عمدت إدارة الاحتلال الفرنسي إلى اتباع العديد من السياسات والاستراتيجيات من أجل تجسيد ذلك، تماشيا مع المشروع الاستعماري، ومن المؤكد أن الاحتفالات المئوية باحتلال الجزائر سنة 1930م هي واحدة من بين تلك السياسات والاستراتيجيات، والتي كان لها الأثر البالغ جرَّاء ما أحدثته.

وفي هذه الدراسة، أحاول تسليط الضوء على كيفية التحضير لتلك الاحتفالات، وسيرها، مركزا على ردود فعل الوطنيين الجزائريين ضمن ما يعرف بالحركة الوطنية ضد هذه السياسة، معتمدا في ذلك على مناهج تاريخية معروفة، كالمنهج الوصفي والمنهج الإحصائي من خلال تقديم بعض الإحصائيات التي تخدم الموضوع، بالإضافة إلى المنهج التحليلي وهذا من أجل تحليل ما أوردته المصادر والمراجع التي تطرقت للمسألة.

الكلمات المفتاحية:
الجزائر- النضال- السياسة الاستعمارية- فرنسا- مئوية الاحتلال.

أولاً- مقدمة:

من أجل ترسيخ أقدام الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتثبيت جذوره، عمدت إدارة الاحتلال الفرنسي إلى اتباع العديد من السياسات والاستراتيجيات من أجل تجسيد ذلك، تماشيا مع المشروع الاستعماري، ومن المؤكد أن الاحتفالات المئوية باحتلال الجزائر سنة 1930م هي واحدة من بين تلك السياسات والاستراتيجيات، والتي كان لها الأثر البالغ جرَّاء ما أحدثته.

وفي هذه الورقة البحثية، سنحاول تبيان كيفية التحضير لتلك الاحتفالات وسيرها، وتداعياتها على الحركة الوطنية الجزائرية، وهذا بالاعتماد على مناهج تاريخية معروفة، كالمنهج الوصفي عبر الوقوف على مختلف الأحداث ومحاولة استعراضها، بالإضافة إلى المنهج التحليلي، الذي وظفناه في تحليل ما أوردته مختلف المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع.

ثانياً- الاحتفالات المئوية باحتلال الجزائر:

1- التحضير للاحتفالات:

بعد حلول سنة 1930م[1] كان قد مَرَّ على الاحتلال الفرنسي للجزائرِ قرناً كاملاً، وقد كانت

(1)- في عام 1930م، بلغت سنوات التواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر مائة عام كاملة، مما دفع بفرنسا إلى إقامة احتفالات ضخمة بتلك المناسبة إحياءً للذكرى، وقد أعدت سُلَطُ الاستعمار الفرنسي

سنة مهمة بالنسبة للفرنسيين، اعتباراً من الحدث- العظيم- الذي أحاطت به تلك السنة ومن ثم المكانة العظيمة للجزائر، ولذلك احتفل الفرنسيون بمرور مائة سنة كاملة على احتلالهم للجزائر، حاولوا من خلالها إظهار أنهم قضوا على العروبة والإسلام، وبقاء فرنسا والصليب.[1]

جرى التفكير في الذكرى المئوية والتحضير لها خلال عَقْدِ العشرينات ككلٍ، إذ أن الحاكم العام ستيغ- Théodore STEEG[2] بدأ ينشغل بالموضوع منذ سنة 1923م عند تشكيله لِلَجنةٍ مهمتها إعداد برنامج لإحياء الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر عام 1930م، وكذلك هو الحال بالنسبة للحاكم موريس فيوليت-Maurice VIOLETTE[3] الذي خلفه في ذلك، زعما منه بتحرير -الدول البربرية من الهيمنة التركية-.[4]

وعلى هذا الأساس، لم تكن فكرة تنظيم تلك الاحتفالات بطريقة عفوية، بل إن التفكير فيها جرى منذ مدة سبقت تلك الاحتفالات، بدليل أن الإعلاميين والمفكرين الفرنسيين في الجزائر ومنذ 1922م شرعوا في نشر المقالات في الصحف والجرائد التي حملت في طياتها فكرة- التفوق والإشادة بالانجازات الفرنسية في الجزائر المستعمَرة على حساب التخلف والهمجية الأهلية-.[5]

وكان الغرض من نشر تلك المقالات هو الدعاية، والتي كانت في قمة التنظيم ووصلت درجتها إلى الدعاية الحربية، ففي هذا الصدد صرح بول كروزي-Paul Cruizy[6]: "... **إن محاولة الدعاية التي سبقتها في الأوقات الأكثر خطورة..**"، ويضيف

لهذه الاحتفالات العُدَّة، ودعت إليها- الدنيا- على حد تعبير البعض..، للتعمق في هذا الصدد ينظر، شارل روبير آجرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ج 2، تر- عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1988، ص 641.

([1])- بشير كاشة الفرحي: **مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر1830م- 1962م**، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار، الجزائر، 2007، ص112.

([2])- تيودور ستيغ- Théodore STEEG: الحاكم العام للجزائر فيما بين 1921 إلى غاية 1925، عرفت فترة حكمه مجاعة كبيرة بسب الجفاف وتضاؤل المنتوج سنة 1921م، كما عُرِف بإعادة صياغة قانون الأهالي..، للاستزادة حول هذه الشخصية ينظر، محمود علالي: **دراسة لكتابات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2008- 2009، ص 47.

([3])- موريس فيوليت- Maurice VIOLLETTE: ولد بفرنسا سنة 1870م، زاول تعليمه الأولي إلى غاية دخول الجامعة أين درس الحقوق، وبذلك عُيِّنَ على رأس نقابة المحامين، كما تقلد العديد من المناصب الهامة على غرار رئاسة بلدية درو-Dreux، زيادة على تعيينه حاكما عاما على الجزائر في الفترة ما بين 1925م- 1927م ، حول هذه الشخصية ينظر:

Alain LARDILLIER, **le peuplement française en Algérie (1830- 1900)**, éd- l'atlanthrope, Paris, 1992, p104.

([4])- شارل روبير آجرون: **المرجع السابق**، ص 641.

([5])- إلياس نايت قاسي: **الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي في الجزائر وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2002- 2003، ص 37.

([6])- بول كروزي- Pole Cruizy: مفتش بوزارة المستعمرات، حول هذه الشخصية ينظر محفوظ قداش: **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939)**، ج2، تر- أَمُحَمَّد بن البار، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008، ص 338.

قائلا:"... ربما لم تكن هناك أي دعاية تضاهي الدعاية الجزائرية الأخيرة في كثافتها وفي مداها...".

فقد نشرت وكالة هافاس- Havas[1] 352 مقالا، تدعّم بأكثر من 14 ألف إعلان صحفي، و1200000من كتب دفاتر الذكرى المئوية، التي وُزِّعت على المكتبات والمؤسسات المدرسية..، وقد خُصِص لتلك الدعاية ميزانية قُدِّرت بـــ93 مليون فرنك.[2]

ولعل هذه الدعاية المنقطعة النظير، تَنُمُّ عن النزعة الاستعمارية الفرنسية[3] من جهة، ودور الصحافة الاستعمارية في الترويج لفكرة الاحتفالات من جهة أخرى، قصد تحضير الرأي العام، إضافة إلى محاولة تنظيم احتفالات رسمية بطابع جماهيري، تُجسِّد (= الاحتفالات) الأهداف والأبعاد الاستعمارية التي- حققها جيش الحملة في1830م-[4]، لِتُعاد صورة سيدي فرج في 1930م.[5]

في خريف1927م، أبدلت سلطات الاستعمار الحاكم العام فيوليت بالحاكم بيير بورد- Pierre Bord[6]، والذي يعتبر المنظم للاحتفالات المئوية[7] المئوية[7] وهو الاحتفال الذي صاحبته دعاية واسعة[8]، حيث اكتست صبغة قانونية في التحضير لها، وهذا من خلال مختلف المشاريع، كقانون 25مارس1928م، وتأسيس المجلس الأعلى والمحافظة العامة للذكرى المئوية.[9]

أ- قانون 25 مارس 1928:

أشار هذا القانون إلى الخطوط العريضة لعمل الأجهزة المذكورة أدناه، وقضايا التمويل والميزانية وتحديد صلاحيات كل جهاز، ولم تتطرق مواد هذا القانون إلى تفاصيل عملها ولا إلى تركيباتها، تَارِكاً (=

(1)- وكالة هافاس- Havas: أول وكالة أنباء في العالم تأسست على يد شارل لويس هافاس في باريس سنة 1835م، وتحولت فيما بعد إلى وكالة الأنباء الفرنسية سنة 1944م، ثم حملت بعد ذلك اسم فرونس براس (A.F.P).

(2)- محفوظ قداش: **المرجع السابق**، ص 338.

(3)- تتجلى تلك النزعة الاستعمارية وتظهر مليا في برنامج الاحتفالات، بدءا من الميزانية المخصصة لتلك الاحتفالات، إلى جانب البرامج المتنوعة التي تضمنها الاحتفال المئوي، والتي سنقف عندها في العنصر الخاص بمظاهر الاحتفالات المئوية.

(4)- إلياس نايت قاسي: **المرجع السابق**، ص 37.

(5) - Jacques BERQUE, **le Maghreb entre deux guerres**, éd- le SEUIL, Paris, 1962, p 233.

(6)- بيير بورد- Pierre BORD: ولد في 28 ديسمبر 1870م درس الحقوق في بوردو- Baurdoux تقلد مناصب هامة في فرنسا، شغل منصب عامل عمالة الجزائر، وكان بورد سنة 1917م (= سنة العمليات التنظيفية في منطقة الأوراس بعد ثورة سنة 1916م) يشغل عامل عمالة قسنطينة التي كانت تضم منطقة الأوراس، وبين سنتي 1919م- 1920م شغل منصب الكاتب العام للإدارة الفرنسية في الجزائر، كما عرف بورد بحبه من طرف الكولون اعتباراً من سوابقه في معارضة الحركة الوطنية وهو ما يتناسب مع مصالحهم، زيادة على ذلك، فإن بيير بورد قد عُرِف بأنه هو المنظم للاحتفالات المئوية التي نحن بصدد الحديث عنها، للتعمق ينظر كلا من أبي القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1900م- 1930م)**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 1992، ص 305، وكذلك إلياس نايت قاسي: **المرجع السابق**، ص 44.

(7)- المقصود هنا بالمنظم للاحتفالات المئوية، أي من أخذ على عاتقه القيام بالترتيبات والاستعدادات الأولية لهذه الاحتفالات.

(8)- أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 305.

(9)-شارل روبير آجرون: **المرجع السابق**، ص 641.

القانون) للوالي العام مهمة النظر في ذلك، وهذا كله من أجل الاحتفال باحتلالٍ- قوَّضَ- أركانَ دولةٍ كانت مصدرَ- إحراجٍ للكثير من الدول في البحر الأبيض المتوسط عبر ثلاثة قرون، من خلال عمليات- القرصنة- التي مارستها.[1]

ب- المجلس الأعلى للذكرى المئوية:

يمثل هذا المجلس أعلى سُلطة مكلفة بالتنظيم ومراقبة تطبيق البرامج الاحتفالية، وتم تحديد صلاحياته في المصادقة على مشاريع البرامج المقترحة للاحتفالات وما تعلق بالميزانية وقضايا التمويل، وقصد تنظيم المجلس وتفادي أخطاء تجارب اللجان التحضيرية الأولى كلجنة ستيغ، أصدر بيير بورد تعليمة تهدف إلى ضرورة إشراك كل الشرائح في الساحة الجزائرية من كولون و- أهالي-.. وتحديد عدد أعضاء المجلس بشكل يُسهِّل اجتماع هؤلاء، من أجل تسريع وتيرة عمله.[2]

ج- المحافظة العليا للعيد المئوي:

بتاريخ19ماي1928م، أصدر الحاكم العام قرارا قصد تنظيم محافظةً عليا للعيد المئوي، ورتبت المسؤوليات في المحافظة على الشكل التالي: المحافظ العام، رئيس السكرتارية العامة، رئيس مكاتب المحافظة، الأمين العام،كما منح القرارُ إمكانيةَ استخدام موظفين مؤقتين حسب الحالة الخاصة، فأوكلت المهمة لشارل برونار لكنه استقال فاسحا المجال لقوستاف مرسيه ليكون المحافظ العام.[3]

2- سير الاحتفالات وتظاهراتها:

مما تجدر الإشارة إليه أن بَدْأَ التحضيرات التي قامت بها الإدارة الاستعمارية بالجزائر، وما رصد لها من إمكانيات مالية وبشرية وغيرها، والتي من شأنها- إنجاح- تظاهرات الاحتفالات المئوية، قد تم رصد ميزانية ضخمة[4]، وُضع تحت تصرف الوالي العام فقط فقط 7 ملايين فرنك، وهي بصفة مصاريفٍ لاستعراضات الحفلات الرسمية فقط.[5]

خُصِصَ لهذه الاحتفالات ميزانية كبيرة[6]، بمبلغ بمبلغ لا يقل عن 132 مليون فرنك، وقد اقترح وزير الداخلية في بادئ الأمرِ تخصيصَ مبلغ 20مليون

(1)- إسماعيل العربي: **السياسة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي سنة 1930**، مجلة القرطاس، ع 08، جانفي 2018، ص 58.

(2)- إلياس نايت قاسي: **المرجع السابق**، ص 44 وما بعدها.

(3)- إسماعيل العربي: **السياسة الاستعمارية الفرنسية فيما بين 1919- 1939 وتأثيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلدان المغرب العربي**، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحركات الوطنية المغاربية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلسمان، 2019- 2020، ص ص 101- 102.

(4)- تضاربت الآراء حول الميزانية المخصصة لتلك الاحتفالات، فنجد أن محفوظ قداش حددها بـ 132مليون سنتيم، فيما حددها جاك بيرك بـ 100 مليون سنتيم، ولكن المتفق عليه هو ضخامة الميزانية التي خصصت لتلك الاحتفالات.. ينظر كلا من محفوظ قداش: **المرجع السابق**، ص 338، وكذلك: Jacques BERQUE, **Op- Cit**, p 233

(5)- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (الفترة الأولى، 1920م- 1936م)**، ج1، م و ك، الجزائر، 1984، ص 305.

(6) - Pierre BORDES, **projet de budget**, imp- Emile PFISTER, Alger,1928, p 4.

فرنك كمساعدة من الميتروبول لتلك الاحتفالات، ليتم عرض ذلك المشروع على غرفة البرلمان في 30مارس 1929م[1].

في هذه الاحتفالات، أظهر الفرنسيون حقدا دينيا، أو رغبة في الرجوع إلى الصليبية، ولعل ما جاء على لسان أحد القادة أكبر دليل على ذلك من خلال قوله:"..**إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور قرن على احتلالنا للجزائر، وإنما هو احتفال بتشييع جنازة الإسلام..**"، وكذلك ما عبر به حاكم تبسة نحو قوله:"..**إننا جئنا (= أي الفرنسيين) إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا..**"[2].

بدأت الاحتفالات برالیات صحراوية من الجزائر إلى غاو ذهابا وإيابا من فيفري إلى أفريل، وإعادة تشكيل جيش إفريقيا في زِيِّهِ القديم، وكانت- مناسبةً- لكل الجمعيات والتجمعات الأوربية لتلتقي طول السنة، ولكل فئة لتقديم خلاصة-إيجابية- عن الإنجازات الفرنسية في الجزائر، وتحدث كل المقررين عما أُنْجِزَ في الجزائر من قبل- المعمِّر- والمبشِّر والطبيب والمعلم...، غافلين عن الوضعية التي كان يعيشها-الأهالي-، متجاهلين لمطالبهم[3].

في مدينة الجزائر وحدها، أقيمت معارضُ متعددةٌ، كمعرض للصناعات ومختلف المنتوجات، ومعرض لوثائق القرن philatélique واللاسلكيTSF والماضي الفني ومعرض الاستشراق المعاصر والفن الطبي والصحة والتصوير وغيرها من المعارض، كما أقيم56مؤتمرا جمع مختلف الجمعيات: اقتصادية وثقافية وتاريخية وصحفية وأسقفية وغيرها من الجمعيات الأوربية.[4]

ولكي يعطي المحتفلون صورة من- إنجازات- فرنسا في الجزائر، تولت أكاديمية الجزائر العاصمة طبع سلسلة من الأعمال تحت عنوان: مطبوعات العيد المئوي، ومما قامت بإنجازه هذه الأكاديمية، إصدار العديد من الكتب التي ضمت بين دفتيها دراسات تتعلق بالجزائر في جميع المجالات والميادين، سياسيا وتاريخيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا...[5]

كما تم تأسيس العديد من مدارس الفنون والمؤسسات والتظاهرات الفنية (= مَعارض، قاعات عرض، وجوائز ومنح مختلفة..)، كما أن المذكرة الداخلية للحكومة العامة والمؤرخة في 06 جانفي 1924م تؤكد على أهمية الآثار بالنسبة للإدارة الاستعمارية، وعلى هذا الأساس، أقحمت جانبا من الأمر في تلك الاحتفالات، من خلال المعارض والتحف الفنية والأثرية المختلفة، زيادة على النصب

(1) -Gaston DOUMERGUE et autre, **projet de loi**, rev- sénét, n° 295, 1929, p 2.

(2)- محمد الطيب العلوي: **مظاهر المقاومة الجزائرية**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، (د ت ن)، ص131.

(3)- محفوظ قداش: **المرجع السابق**، ص 338.

(4)- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: **المصدر السابق**، ص 305.

(5)- بلقاسم ميسوم: **التطورات السياسية في الجزائر خلال1926م- 1936م**، مجلة المصادر،ع19، 2009، ص 150.

التذكارية والتماثيل الأثرية المتنوعة التي عُرضت ونُصِبَّتْ من طرف الإدارة الاستعمارية.[1]

هذا وقد تنوع برنامج الاحتفالات وتمظهراتها، ويمكن تلخيصها في العناصر الآتية:

1-2 النصب التذكارية:

تم إقامةُ عديدِ النُّصب التذكارية المخلدة للذكرى منها النصب التذكاري ببوفاريك، والذي يحمل الجزء الأعلى منه أَوْجُهاً من كبار المستعمرين يتوسطهم المارشال بيجو- BUGEAUD[2] وإلى الأسفل عبارة- **إلى عبقرية الاستعمار الفرنسي**- إضافة إلى نُصْب سيدي فرج، والذي يخلد عملية الإنزال ونُصْب بُوتَن-BUTANE[3] وغيرها من النُصَبِ.

2-2 زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية إلى الجزائر:

حَضَرَ هذه الاحتفالات رئيس الجمهورية قاسطون دوميرق-Gaston DOUMERGUE[4] إلى الجزائر[5]، وذلك حرصا من السلطات الاستعمارية التي أرادت أن تحضر الاحتفالات شخصيات- رفيعة المستوى -، ولعل تلك الزيارة كانت جارحة للجزائريين بدرجة كبيرة، اعتبارا من مغادرة الرئيس من باريس في 02 ماي 1930 ووصوله ميناء طولون في الثالث من الشهر نفسه، وهو ما يتوافق مع وقائع الحملة العسكرية على الجزائر ومجرياتها في وضعية مهينة لكرامة الجزائريين وكبريائهم.[6]

([1])- كميل ريسلر: **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها 1830م- 1962م (تعليقات جزائرية على شبه اعتراف فرنسي)**، تر- نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر، (دون مكان نشر)، ط1، 2016، ص 258.

([2])-توماس روبير بيجو دولا بيكونيري- Thomas Robert Bugeaud de la Piconnerie المعروف بالدوق دي زلي: ولد سنة 1784م بليموج، عين حاكما عاما على الجزائر فيما بين1840م إلى غاية 1847م حيث عرفت سنوات حكمه القسوة والشدة..، لما مارسه من سياسة قمعية في حق الشعب الجزائري من خلال إصدار العديد من القوانين قصد مصادرة الأراضي،كما سعى إلى محاربة الشخصية الوطنية ومقوماتها في إطار سياسته الرامية إلى ترسيخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر، كما أنه ارتكب مجازر ضد الجزائريين أشهرها ما يسمى بالمدخنة في مستغانم، توفي في باريس سنة 1849م.، للاستزادة ينظر:

Charlotte M YONGE, **memoirs of Marishal Bugeaud**, vol-1, Hust and Blacqett publishers, London ,1884, p 1.

([3])- فانس إيف بُوتَن- Vance IVE BUTANE: (1772م-1838م) ولد بِـ نانت -Nantes بفرنسا دخل المدرسة العسكرية الهندسية، ليشارك بعدها في العديد من الحروب، عُيّن سنة1795م نقيبا ثم رئيسا للجيش الموجود في سويسرا في السنة نفسها، كُلِّفَ بمهمة الجوسسة وإعداد تقرير مفصل لاحتلال الجزائر..، ينظر منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد**، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1992، ص 92.

([4])- قاسطون دوميرق- Gaston DOUMERGUE: ولد في أوت 1863م، من بين الساسة الفرنسيين، عُيّن رئيسا للوزراء فيما بين 1913م- 1914م، ترأّس الجمهورية الفرنسية من 1924م إلى غاية 1931م، توفي في جويلية 1937...، للتعمق والاستزادة حول هذه الشخصية ينظر، إسماعيل العربي: **السياسة الاستعمارية الفرنسية فيما بين 1919م- 1939م، وتأثيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية..**، المرجع السابق، ص 105.

([5])- عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون: **المصدر السابق**، ص 306.

([6])- إسماعيل العربي: **السياسة الاستعمارية الفرنسية فيما بين 1919م- 1939م، وتأثيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية..**، المرجع السابق، ص ص 104- 105.

وبعد وصول رئيس الجمهورية الفرنسية إلى الجزائر، تم تسليمه جواد" غادة "[1]، كما كانت له العديد من النشاطات المتنوعة والمختلفة، حيث تخللت زيارته تلك رحلاتٍ أخرى عبر مختلف ربوع الجزائر، بزيارته لمدينة بوفاريك، لينتقل بعدها إلى الغرب الجزائري ويحِّل بمدينة وهران، وقد تخللت هذه الزيارات أعمال تدشين مختلفة لعديد المشاريع.[2]

2-3 المنشآت الجديدة: من خلال خلق وتدشين مؤسسات جديدة كمحطة البث الإذاعي[3] بالكاليتوس، والتي تأسست في 19 نوفمبر 1929م، واعتبارها وسيلة لنشر التأثير بين الجزائريين باللغات لما لها من الأثر البالغ في الإقناع وتوجيه الرأي، إضافة إلى دُورِ المؤتمرات والفلاحة والمتاحف، وأهمها متحف قسنطينة، وهران، ومتحف الجزائر التاريخي.

2-4 المدارس والمساعدات الاجتماعية: في هذا الصدد تم إنشاء العديد من المدارس في مناطق متفرقة ومختلفة من الجزائر، مثل مدارس الزرابي والفخار والنسيج،كما تم إقامة مشاريع- خيرية- كالميتم الذي أقيم في قسنطينة، إلى جانب تخصيص ميزانية بقيمة 25000 فرنك لتجديد زرابي المساجد[4]، فمن أجل السهر على تلك الاحتفالات تم تخصيص ميزانية ضخمة[5]، لمشاريع لم تكن في سواد أعين الجزائريين، وإنما كانت من أجل إظهار- الإنجازات التي حققتها فرنسا في الجزائر- بعد قرن من الاستعمار! اعتبارا من حالة الشعب الجزائري الذي كان يُرمى به في الفقر والمرض والجهل، وتسليمه إلى حياة البؤس والهوان والذل.[6]

2-5 الاستعراضات العسكرية والأهلية: تعددت الاستعراضات العسكرية ومنها: الاستعراض العسكري بالعاصمة، حيث عَمِلَ على إعادة بَعْثِ الجيش الفرنسي في الصورة التي دخل بها الجزائر سنة 1830م، إضافة إلى الاستعراض الأهلي بالخروبة، وغيرها من الاستعراضات.[7]

([1])- حصان " غادة"- أو بما يعرف بجواد " القعدة"، وهو جواد عربي أصيل تم- إهداؤه- لرئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة حلوله بالجزائر ومشاركته في الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر، ينظر: Laurence Bertrand DORLEAC, **l'art de la défaite 1940-1945**, rev- le Monde, 15-16 juin, 2008, p12.

([2]) -L'illustration, n°4551, mai 1930.

([3])- ما السبب في الاهتمام البالغ بالإذاعة؟ خططت الإدارة الاستعمارية لكي تجعل من الإذاعة وسيلة لنشر التأثير بين الفرنسيين والجزائريين، حيث نادى الباحثون الفرنسيون بضرورة نشر أفكار الفرنسيين بلغة- الأهالي- من خلال عديد البرامج الإذاعية المتنوعة، ولذلك فقد رأى بعض الجزائريين أن المراد من وراء هذه الإذاعة هو محاربة التأثير العربي (المصري- المشرقي)، بعد تشجيع المنتوج المحلي من الأغاني والألحان، كما فتحت الإذاعة عهدا جديدا- للتمثيل- من خلال ما يُبَثُّ من مسرحيات مسموعة..، حول هذه النقطة ينظر، أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1830م- 1954م)**، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص ص 300- 301.

([4]) - Raymond BONZE, **l'Algérie du centenaire (vue par l'Université de France)**, publications du comité national Métropolitain du centenaire de l'Algérie (sd et sl), p14- 15.

([5]) -**bulletin municipal officiel**, 05- 30 Avril 1928, p 31.

([6])- عبد الرشيد زروقة: **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي الفرنسي في الجزائر(1913م- 1940م)**، دار الشهاب، بيروت، ط1، 1999، ص 124.

([7])- إلياس نايت قاسي: **المرجع السابق**، ص 65.

6-2 مجموعة كتابات الذكرى المئوية[1]: وتمثل أبحاثا- لإنجازات فرنسا بالجزائر- بما توصلت إليه الدراسات الفرنسية بالمنطقة، وقد كانت محاولات فردية لإثراء الساحة الفكرية، ومن أهمها: مجموعة المؤسسات الجزائرية، وتناولت في مجملها دراسة لتطور الإدارة ومؤسساتها بالجزائر مثل الانجاز التشريعي بالجزائر، إلى جانب مجموعة الجغرافيا، واشتملت على مؤلفات خاصة ببعض مناطق الجزائر طبيعيا واقتصاديا وبشريا منها: كتاب"القبائل" إضافة إلى مجموعة التاريخ والآثار.[2]

7-2 الأفلام: تم عرض العديد من الأفلام، ونذكر منها فيلم"البلد"، الذي أخرجه جون رينوار- John RENOIR لحساب الحكومة العامة، وفي بداية الفيلم يخرج جنود الحملة (= الحملة العسكرية سنة 1830م) من البحر، وتحل محلهم الآلات الفلاحية، وهي تتقدم على جبهة محيط غامر بالقمح، وبطل الفيلم هو أحد الكولون وهو في مزرعته، حيث يجلس-الأهالي- والأوربيون إلى طاولةٍ بالطعام والخمر! وقد أثار هذا الفيلم استياء لويس ماسينيون-Louis MASSIGNON[3] إلا أن الجمهور الفرنسي كان أقل حساسية من ماسينيون.[4]

كما أقام الفرنسيون عدة مسرحيات تستحضر صُوَرَ الإنزال في سيدي فرج، في مشهد صارخٍ، كان القصد من ورائه جرح مشاعر الجزائريين والمساس بكرامتهم، ذلك أن تلك المسرحات أَحْيَتْ جرحاً قديما وهو سقوط الجزائر.[5]

وقد وصف الأستاذ أحمد توفيق المدني الاحتفاليات التي كانت في قمة الاستفزاز والصخب بقوله:"... **واحتفلوا احتفالا صارخا وأكلوا وشربوا وسكروا وعربدوا واختلط حابلهم بنابلهم، ثم أحيوا ليلةً حتى الصباح وسط أنوار كأنها من قلب القمر، كانت عندهم ليلة العمر، وكانت عندنا ليلةُ نحسٍ مستمرٍ...**".[6]

---

(1)- حول مجموعة مطبوعات العيد المئوي، ينظر الأطروحة التي أعدها الطالب محمود علالي بعنوان: دراسة لكتابات الذكرى المئوية، والتي فَصَّلَ فيها في مسألة مطبوعات الذكرى المئوية والمنشورات الخاصة بالاحتفال، والأطروحة سابقةُ الذِكرِ.

(2)- إسماعيل العربي: **السياسة الاستعمارية سنة 1930**، المرجع السابق، ص ص 60- 61.

(3)- لويس ماسنيون- Louis Massignon، ولد سنة1883م، في نورجان سورمان لأب نَجَاتٍ، مستشرق فرنسي آمن بالنزعة الروحانية، زار عدة بلدان عربية على غرار العراق والجزائر، حيث كرس نفسه لدراسة اللغة العربية واللغات الشرقية، رأى في التصوف- خاصة لدى الحلاج- مناجاةً إلاهيةً موجودةً في كل الأديان والملل والنِحَلِ، ومن الواضح أن ماسينيون قد اتخذ من الاتجاه الأسراري في الإسلام صورة تتجاوز المعتقدات التقليدية والجامدة..، حول هذه الشخصية ينظر، علي بدر: **ماسينيون في بغداد (رسائل المستشرق لويس ماسينيون إلى الأب أنستاس ماري الكرملي 1908م- 1919م)**، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2005، ص 57 وما بعدها.

(4)- شارل روبير آجرون: **المرجع السابق**، ص 346.

(5)- بشير بلاح وآخرون: **تاريخ الجزائر المعاصر 1830م- 1989م**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 369.

(6)- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح 1925م- 1954م**، ج2، ش و و ن ت، الجزائر، 1977، ص 170.

كما تجدر الإشارة إلى أن طابع الاحتفالات أخذ منعرجا آخرا، وذلك بعد اكتساء تلك الاحتفالات صبغة شبه دولية، اعتبارا من أن امتداد الاحتفال كان خارج الجزائر، وامتد إلى باريس التي شهدت هي الأخرى الاحتفال وشاركت فيه، والتي خلدت الاستعمار الفرنسي للجزائر.[1]

ثالثاً- تداعيات الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر على الحركة الوطنية الجزائرية:

مثلما كانت الاحتفالات نقمة على الجزائريين كانت كذلك- نعمة-، اعتباراً من أن الحياة السياسية في الجزائر قد تبلورت في حدود الذكرى المئوية، من منطلق ما ميَّز مسار النضال السياسي، لاسيما وسائل العمل، والقوى التي مثلته، فضلا عن أهدافه المتنوعة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وكل هذا هو مرآة عاكسة لواقع التبلور الجزائري إلى حد ما[2]، وهو ما جسده شعار:"..**لقد احتفلوا بالقرن الأول، و لكنهم لن يحتفلوا بالقرن الثاني...**".[3]

وفي السياق نفسه، ساعدت تلك الاحتفالات على مضاعفة جهود الحركة الوطنية الجزائرية[4]، فلم تَحِنْ سنة1931م حتى بدأ ميزان القوى يتغير لصالح الحركة الوطنية، في ظل الضغوطات الدائمة طبعاً، ولهذا نستطيع القول أن الوجه السياسي للجزائر قد تغير مع مطلع الثلاثينات، في ظل عدم تغير النموذج الاستعماري القديم الذي ظل على ما كان عليه.[5]

فالحديث عن الاحتفالات لم يكن القصد منه تتبع برامجها واستعراضاتها، وإنما تبيان الأثر الذي خلفته على مسار النضال السياسي الجزائري، وما نتج عن ذلك من إنشاء ج ع م ج، وازدياد روح النضال لدى أعضاء النجم، حتى أن بعض المؤرخة والباحثين قال:"..**إن احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر، قد قدم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل...**".[6]

وعليه، فبهذه الاحتفالات، تكون فرنسا قد دخلت دوامةَ صراعٍ مع الجزائريين، انطلاقا من النشاط الذي بدأه هؤلاء، على اعتبار أنها (= الاحتفالات) قد أيقظت الظمائر، وهو الأمر الذي أكدته بعض الصحف التي حثت وحرضت الجزائريين على نوع من الثورة على الفرنسيين، ومثال ذلك جريدة la défense على لسان رئيسها الشيخ الأمين

(1) -Pierre Godin, **proposition tendant à faire participer la ville de Paris aux fêtes du centenaire Algérien de 1930**, conseil municipal, n° 136, 1931.

(2)- عبد الكريم بوالصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م-1954م)**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 86.

(3)- أحمد مهساس: **الحركة الثورية في الجزائر (1830م- 1954م)**، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 100.

(4)- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية..**، ج3، المرجع السابق، ص 308.

(5)- إسماعيل العربي: **السياسة الاستعمارية الفرنسية سنة 1930م وتأثيراتها على الحركة الوطنية في بلدان المغرب العربي**، دار ومضة للنشر، جيجل، 2023، ص 27.

(6)- عبد الكريم بوالصفصاف: **المرجع السابق**، ص ص 86-87.

العمودي[1]، من خلال قوله:"..**إن هدف الفرنسيين هو التدخل في شؤونكم..، وعلى هذا الأساس دافعوا عن أنفسكم**".[2]

ومن هنا، بدأ الجزائريون في إعادة التفكير مليا في سياسة فرنسا وتوجهاتها تجاههم، ولعل أبرز دليل على ذلك مجهودات الشيخين الإبراهيمي[3] وابن باديس[4] في تنوير فكر الجزائريين حول تلك الاحتفالات ومقاطعتها، الشيء الذي أضفى نوعا من الاستياء لدى الفرنسيين بعدم مشاركة- الأهالي- في تلك الاحتفالات.[5]

وعلى هذا الأساس، فإن عقد الثلاثينات قد شكل منعرجا حاسما بالنسبة للجزائريين، وهذا من منطلق حالة الغليان التي أدت إلى أزمةٍ عجزت فرنسا من خلالها عن السيطرة على الموقف، رغم تجربة الاستعمار الطويلة في الجزائر، وعليه كان التيار الوطني أقوى من الوسائل التي أُستخدِمت ضده، انطلاقا من نشاطه الوافر.[6]

---

(1)- مُحَمَّد الأمين العمودي: (1890-1957)، كاتبٌ وصحفي ومحامٍ، من أشهر رجالات الإصلاح في الجزائر، زاول تعليمه الأولي في مسقط رأسه في وادي سوف، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة للنهل أكثر هناك، حيث نال شهادة المحاماة والترجمة، إلى جانب هذا، فقد شارك العمودي في الحياة السياسية حيث اختير أمينا عاما لـــ ج ع م ج سنة 1931م، أنشأ جريدة la défense للدفاع عن حقوق الجزائريين،كما شارك في أغلب الصحف الإصلاحية، اغتالته اليد الحمراء حيث وُجِدَ أشلاءً مقطعة في صورة جد بشعة..، للاستزادة حول هذه الشخصية ينظر، عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى الوقت الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر والترجمة، بيروت، ط2، 1980، ص 243.

(2) -**La défense**, n° spécial, 19 mai 1930.

(3)- مُحَمَّد البشير بن عمر الإبراهيمي: (1889م- 1965م)، وُلِدَ بأولاد براهم في دائرة- سطيف-، حيث تلقى تعليمه الأولي على يد أبيه وعمه، هاجرَ إلى المدينة المنورة لإتمام دراسته، لينتقل بعدها إلى دمشق أين عمل كأستاذ في المدرسة السلطانية، هذا وقد شارك الإبراهيمي في تأسيس المجمع العربي سنة 1921م، تولى رئاسة جريدة البصائر كما يعتبر من مؤسسي ج ع م ج حيث اختير نائبا لرئيسها الإمام ابن باديس وبعد وفاة هذا الأخير عين رئيسا لتلك الجمعية وهو في منفاه، اعتقل لمدة فاقت03 سنوات وعذب ونُفي..، كانت مسيرته حافلة بالانجازات العلمية الزاخرة من خلال تأسيس العديد من المدارس، ترك العديد من المؤلفات التي شكلت بصمة معرفية..، حول هذه الشخصية ينظر، عادل نويهض: **المرجع السابق**، ص ص 12- 13.

(4)- عبد الحميد ابن باديس: (1889- 1940)، هو الإمام عبد الحميد ابن مُحَمَّد ابن المصطفى ابن مكي، ولد بقسنطينة لأسرة مشهورة بالعلم والجاه، تعلم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى جامع الزيتونة من أجل إتمام دراسته، ليعود بعدها إلى الجزائر ويعمل كمدرس في الجامع الكبير، غير أن المكائد حالت دون إكماله لمهمته، وهو الأمر الذي دفع به إلى الهجرة نحو الحجاز أين إحتك بعديد العلماء هناك، وبعد عودته إلى الجزائر أخذ على عاتقه تربية وتعليم الناشئة..، أشرف على مجموعة ضخمة من الجرائد والمجلات على غرار المنتقد الشهاب..، امتد نشاطه إلى خارج مقاطعة قسنطينة حيث وصل بنشاطه إلى الجزائر العاصمة ووهران وتلمسان، ترك العديد من المؤلفات والآثار العلمية كمجالس التذكير والعقائد الإسلامية، توفي رحمة الله عليه يوم 16 أفريل 1940م، ينظر كلا من مسعود جباري: **الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس**، رسالة ماجستير في أصول الدين، جامعة الجزائر،2001-2002، ص35، وكذلك مازن صلاح مطبقاني: **عبد الحميد ابن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي**، دار القدس، دمشق، ط2، 1999، ص27.

(5)- النجاح: **التذكار المئوي للجزائر**، ع 924، 29 أفريل 1930م.

(6)- تؤكد الكتابات التاريخية المعاصرة أن حالة التوتر التي لم تهدأ منذ الاحتلال، وازدادت حدةً منذ 1930م مع احتفالات الذكرى المئوية، فمنذ هذه السنة بدأ الجزائريون في مقاطعة البضائع الفرنسية إتّباعاً لمذهب المهاتما غاندي من جهة، والمجاهرة بالمشاعر الوطنية، في ظل التعصب العرقي وكره الجنس الفرنسي كجنس معادي للحضارة الإنسانية من جهة أخرى..، للتفصيل في هذه

1- تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

ج ع م ج هي مولودٌ لمخاضٍ طويلٍ للحركة الإصلاحية في الجزائر، والتي تعود إلى العقد الأول من القرن 20م، لتتبلور فيما بعد على يد ابن باديس وتلاميذه وأنصاره في الثلاثينات من ذلك القرن، من خلال تضافر الجهود والنشاط العلمي الدءوب للمدارس الحرة، إلى جانب الدور الذي اضطلعت به مساجد الوعظ والإرشاد والنوادي العلمية والثقافية.[1]

ظهرت ج ع م ج تحت إمْرَةِ ابن باديس كجمعية ثقافية إسلامية، بهدف نشر الوعي الإسلامي في أوساط الجزائريين، متأثرة في ذلك بالنهضة الإصلاحية في المشرق[2]، بالإضافة إلى تحرير العقول من الجهل والأمية اللذَيْن يتماشيان مع مخططات الاستعمار، وتَفَشَّيَا في المجتمع، زيادة على إحياء الحس التاريخي الإسلامي، بتنبيه الجزائريين الغافلين وإخراجهم من بوتقة العبودية الفكرية.[3]

وقد ضمت هذه الجمعية علماء الجزائر من كل مناطق البلد، والذين نظموا أنفسهم تحت لواء جمعية محددة ورسمية، بعد أن نجحوا سنة1931م في خلق- منظمتهم الخاصة- التي كان مقدرا لها أن تؤثر على الحياة الثقافية الجزائرية[4]، زيادة على استقطاب الجماهير وهيكلتهم في صفوفها بالمساجد والمدارس ودور العلم والتعلم والمعرفة.[5]

تأسست ج ع م ج حسب البعض من الباحثين، إثر الاحتفالات الفرنسية بمئوية احتلالها للجزائر، كرد فعلٍ وكمحاولةٍ للحفاظ على العناصر الشخصية الجزائرية ومقوماتها، اعتبارا من المظاهر الاحتفالية التي تم إقامتها كما ذكرنا سلفاً، والتي لا تعتبر فقط احتفالا بمرور قرن على احتلال الجزائر، وإنما احتفال بالقضاء على مقومات وأركان ذلك البلد.[6]

هذا، وقد تضاربت الآراء واختلفت في تأسيس ج ع م ج، وفي هذا الصدد نجد أن الأستاذ أحمد توفيق المدني[7] قد اعتبر نفسه مؤسساً لتلك

النقطة ينظر، أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية..**، ج3، المرجع السابق، ص 37.

([1]) -Paul BALTA et Claudine RULLEAU, **l'Algérie des Algériens**, éd- ouvrières, Paris, 1981, pp 18- 19.

([2])- عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005، ص 297.

([3])- مُحَمَّد الطاهر فضلاء: **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية (التعليم الديني، الإصلاح الديني، جمعية العلماء)**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، 1984، ص 82.

([4]) -Ali MERAD, **le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1945**, éd- Essaid histoire religieuse et sociale, paris, 1967, p 124.

([5])- علي غنابزية: **علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحزب الشعب الجزائري (1936م- 1954م)**، مجلة المصادر، ع21، السداسي الأول، 2010، ص 63.

([6])- مُحَمَّد الطيب العلوي: **مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830م حتى ثورة نوفمبر 1954م**، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1985، ص 107.

([7])- أحمد توفيق المدني: (1899م- 1984م) ولد بمدينة تونس العاصمة، من أصول جزائرية، زعيم سياسي حيث انقسم نشاطه السياسي بين الجزائر تحت لواء ج ع م ج، وتونس ضمن الحزب الدستوري، سجن عدة مرات، له عدة مؤلفات منها كتاب حياة كفاح بأجزائه الثلاثة، وكتاب هذه هي الجزائر..، إلى جانب نشاطه

الجمعية[1]، وهذا بعد الاجتماع الذي جمعه بنادي الترقي[2] رفقة ثلاثة من أصحابه[3]، بينما يعود ذلك (= تأسيس الجمعية) إلى تصريح الشيخ ابن باديس للإبراهيمي الذي أَقَرَّ فيه بعزمه على تأسيس تلك الجمعية.[4]

وقد تم تأسيس الجمعية في 5ماي 1931م، بنادي الترقي بالعاصمة، وكانت الغاية من ذلك محاربة الآفات الاجتماعية وكل ما ينكره العقل ويحرِّمه الشرع وتحجره القوانين المعمول بها[5]، والبحث في سبل تحقيق التقدم والتطور والنهضة للجزائر[6]، وقد تم تعين ابن باديس رئيسا لها رغم غيابه يوم التأسيس[7]، بالإضافة إلى وضع قانون أساسي خاص بهذه الجمعية، سطَّر أهدافها ومبادئها[8]، ولذلك، تعتبر هذه الجمعية جمعيةُ دينية تهذيبية تعليمية[9]، باعتبارها جمعية تعلم الدين واللغة العربية، بالإضافة

السياسي والتأليف فقد نشِط كذلك في المجال الصحفي من خلال مشاركته بالعديد من المقالات في مختلف الصحف والجرائد والمجلات..، للاستزادة حول شخصية توفيق المدني ينظر كلا من مُحَمَّد الطاهر العدواني: **كلمة التأبين بمناسبة الأربعين**، مجلة التاريخ،ع 18، الجزائر، 1985، ص169، وكذلك عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899م- 1983م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2006-2007، ص 48.

([1])- هل تعود فعلا فكرة تأسيس الجمعية إلى الأستاذ توفيق المدني؟ يعارض مجموعة من الباحثين ما ذهب إليه توفيق المدني في مسألة تأسيس الجمعية، على اعتبار أنها وليدة سلسة من المحاولات التي تمخضت عن الحركة الإصلاحية، والتي تأثرت بنظيرتها من الحركة الإصلاحية والنهضة العربية في المشرق العربي، بل إن المدني قد تعرض إلى انتقاد لاذع من طرف مُحَمَّد الطاهر فضلاء ووصل به الحد إلى الهجاء..، للتعمق في هذا الصدد ينظر، مُحَمَّد الطاهر فضلاء: **التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح**، دار البعث للنشر، قسنطينة، ط1، 1982، ص ص 298- 299.

([2])- نادي الترقي: يعتبر هذا النادي ولادة طيبة لمخاض الحركة الإصلاحية التي تزعمها رجال العلم والدين في الجزائر، وقد أفضت تلك الحركة الإصلاحية إلى بروز نوع من الوعي بسبب جمود هؤلاء العلماء في نشر العلم والمعرفة وتعاليم الدين الإسلامي والتي تكللت بتأسيس النادي سنة1926م..، حول هذه النقطة ينظر، الطاهر بن عيشة: **نادي الترقي و الحركة الإصلاحية (الشيخ الطيب العقبي و الشيخ السعيد الزاهري)** جريدة المحقق، سل 02 ،ع 58، 27 أفريل 2007، ص 15.

([3])- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص ص 172- 173.

([4])- للتدقيق في مسألة تأسيس ج ع م ج، ينظر مُحَمَّد خير الدين: **مذكراتٌ (ومشاركة في جمعية العلماء وجبهة التحرير الوطنية ومجلس الثورة الجزائرية)**، ج2، م و ك ، الجزائر، ص ص 104- 105.

([5])- عبد الرحمن شيبان: **من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة، الجزائر، (د ت ن)، ص 18.

([6])- يحي بكلي: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (النشأة والتاريخ)**، ندوة وطنية، جامعة الجزائر، جانفي2018، ص6.

([7])- في هذا الصدد يقول ابن باديس في خطابٍ له أمام مجلس الإدارة:"... **إخواني إنني ما كنت أعد نفسي أهلا للرئاسة لو كنت حاضرا يوم الاجتماع الأول، فكيف تخطر لي بالبال وأنا غائب، لكنكم بتواضعكم وسلامة صدوركم وسُمُوِ أنظاركم جئتم بخلاف اعتقادي في الأمرين، فانتخبتموني وأنا غائب**..."، ينظر **الشهاب**، ج6، مج7، جوان 1931، ص 351.

([8]) -Claude COLLOT et Jean-Robert HENRY, **Op- Cit**, p35:للتعمق في قانون التأسيس ينظر

([9])- البشير الإبراهيمي: **اجتماع ج ع م ج**، مجلة الشهاب، مج7، ج6، جوان 1931، ص ص351- 352.

إلى ذلك فهي تحارب الرذائل والأخلاق السيئة، وتدعوا إلى مكارم الأخلاق وفضائلها.[1]

وبالتالي، فقد حملت ج ع م ج على عاتقها عِبْءَ نهضة الإسلام ومحاربة أصحاب الزوايا والطرقيين المتواطئين مع الاستعمار[2]، زيادة على محاربة سياسة الإدماج والتجنيس والفرْنسَة والقضاء على المقومات الشخصية[3]، وهو ما تصدى له ثلة من علماء الجزائر وساهموا في نهضتها.[4]

ولعل تلك النهضة، لا تتحقق إلا بتوثيق عُرَى الإخاء ونَبْذِ أسباب الشقاق، وكل ما يدعوا إلى التفرق ونسيان ما هبت به الأفكار مما يدعوا إلى فُرْقَةٍ أو عصبية، لذلك اتخذت الجمعية من التواصي بالحق والتواصي بالصبر سلاحا، كما أنها عملت على التشهير بنفسها وتحبيب الناس فيها.[5]

وعليه، سعت الجمعية إلى نشر الرُقِّي والأُخوة على أساس الإسلام والقومية، وهذا عَبْرَ ترقية أخلاق وأعمال الجزائريين المسلمين ليكونوا عاملا صالحا للتعاون، كما أرادات هذه الجمعية نشر المحبة بين سائر أفراد المجتمع، على اعتبار أن التعاون الصادق لا يكون إلا بالمحبة والأخوة، ولَمَّا كان أساس كل رقي هو التهذيب والتعليم فقد ابتدأت الجمعية أعمالها بهما.[6]

وبالرجوع إلى الطُرُقِيَة والدروشة التي ساهمت فرنسا في تفشيها، زيادة على سياسة التجهيل المنتهجة من إدارة الاحتلال، وسياسة الفرنسة كمحاولة منها (= فرنسا) لطمس هوية الجزائر الشخصية، فقد ركزت ج ع م ج على التعليم، باعتباره الدافع الأساسي لتحقيق النهضة والتقدم ومواجهة الاستعمار.[7]

ومن هذا المنطلق، حددت الجمعية أهدافها التي سعت من خلالها إلى تحقيق الاستقلال بإيمانٍ قويٍ، وأن ذلك لا يتحقق إلا بتضافر الجهود نحو خدمة الجزائر عن طريق محاربة أعدائها، مركزة في

(1)- سارت الجمعية في جميع فروع الإصلاح التي شملها برنامجها، ومن منطلق البرنامج الإصلاحي العلمي الذي سطرته، تم توزيع أعمالها على فصوله، معطية بذلك كل فصل ما يستحقه بكل ما يتوفر من وسائل وما يتيسر من أسباب، وبالرغم مما اصطدمت به من عقبات متنوعة ومكاره متعددة، فقد سارت في طريقها قصد بناء العقول والأفكار إلى جانب تحرير الإنسان من ذل الخنوع والجهالة.، ينظر ج ع م ج: **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة، الجزائر، (د ت ن)، ص 49.

(2)- **البصائر**: ع29، 24 جويلية 1936، ص 5.

(3)- جاك كاري: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، تر- عبد الرزاق قسوم، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص58.

(4)- الفضيل الورثلاني: **الجزائر الثائرة**، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 131.

(5)- **الشهاب**: ج5، مج7، محرم 1350هـ، ماي 1931م.

(6)- علي مرحوم: **جمعية العلماء (مرور خمسين عاما على تأسيسها1931م- 1981م)**، مجلة الثقافة، ع66، السنة11، نوفمبر- ديسمبر1981، ص ص 22- 23.

(7)- مازن صلاح حامد مطبقاني: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931م- 1939م)**، تق- أبو القاسم سعد الله، عالم الأفكار للطباعة، الجزائر، (د ت ن)، ص ص 46- 47.

هذا الجانب على التعليم دائما[1]، وهو ما قوبل من طرف الإدارة الاستعمارية فيما بعد[2] بالقمع ومحاولة عرقلة النشاط التعليمي عبر غلق المدارس الحرة.[3]

وبالمقابل، فقد شجعت الإدارة الفرنسية الجمعيات التي قام الطرقيون بإنشائها، وهذا من أجل منافسة جمعية العلماء[4] مثل جمعية علماء السنة التي كان نشاطها مضادا لنشاط ج ع م ج، كما شجعت الصحافة المعارضة للعلماء، وجعلت أجهزة الشرطة على أُهْبَةِ الاستعداد دائما، وهذا في ظل تحريض الكولون، والذين رأوا في نشاط العلماء وجمعيتهم تهديدا لمصالحهم في المنطقة.[5]

واعتبارا من النشاط الكبير لتلك الجمعية وأهدافها وأُسُسِهَا التي قامت عليها، وهو ما يبرزه شعارها "**الإسلام ديننا- العربية لغتنا- الجزائر وطننا**"، فقد قامت ببناء المدارس الحرة غير الخاضعة للإدارة الفرنسية، من أجل تعليم النَشْءِ الجزائريِ اللغةَ العربيةَ وعلومَ الدينِ الإسلامي الحنيف[6]، إلى جانب محاولة انتشال الجزائر من قسر التجهيل والتفرنس والتنصير.[7]

وفي ظل نشاط الجمعية الزاخر الذي استطاعت من خلاله إعادة بعث الأمة الجزائرية وإقامة -نهضتها- وضلوعها في السياسة[8]، فإن

([1])- زيلوخة بوقرة: **سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر(ج ع م ج أنموذجا)**، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008- 2009، ص 125.

([2])- تعاملت الإدارة الفرنسية مع الجمعية بنوع من المرونة والسلاسة في البداية، والدليل على ذلك منح الترخيص من طرف دار عمالة الجزائر العاصمة- préfecture d'Alger- والسماح للعلماء بتأسيس جمعيتهم، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى مبادئ الجمعية التي كانت بعيدة عن العمل السياسي والذي أقرته في قانونها الأساسي..، للاستزادة ينظر، أحمد الخطيب: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، م و ك، الجزائر، 1985، ص 112.

([3]) -Ammar BENTOUMI, **Crime et Infamie la colonisation vécue par un Algérien (1923-1962)**, éd- casbah, Alger, 2013, p 182.

([4])- أدرك علماء الجمعية مراقبةَ الإدارة الفرنسية، ولذلك فقد أبدى هؤلاء نوعا من التحفظ من خلال إظهار أشياء وإخفاء أخرى، مكتفين في تصريحاتهم الرسمية على إعلان الدعوة إلى الإصلاح الديني والتعليمي، وهو ما أكده الشيخ ابن باديس من خلال قوله:"...**أن الجمعية لا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد للترقية من ظَلَالِ الجهل والانحلال الأخلاقي، إلى أوْج العلم ومكارم الأخلاق، في نطاق دينها الذهبي ونبيها الأمّي...**"، للتعمق أكثر ينظر، صادق بلحاج: **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي (1919م-1939م)**، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، جامعة أحمد بن بلة 01، وهران، 2011- 2012، ص 31.

([5])- ناهد إبراهيم دسوقي: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الحركة الوطنية الجزائرية في فترة مابين الحربين 1918م-1939م**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001، ص ص 254-255.

([6])- يتم ذلك بغرس العقيدة الإسلامية في عقول الأطفال الصغار وتنشئتهم على الاعتزاز بدينهم ولغتهم وهويتهم، وعلى هذا الأساس، كانت هذه الجمعية تتحيّن الفرص من أجل فتح المدارس العربية الحرة، انطلاقاً من الدور الفعال الذي اضطلعت به هذه الأخيرة في هذا الباب..، ينظر مُحَمَّد زرمان: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومنهجها في تجديد العقيدة الإسلامية**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع7، دار البعث، قسنطينة، مارس 2001، ص 80.

([7])- مُحَمَّد رشيد رضا: **جمعية علماء المسلمين في الجزائر**، مجلة المنار، مج 32، ج8، ص 554.

([8])- مازن صلاح مطبقاني: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931م- 1939م)**، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة، 1984- 1985، ص 73.

إنشاءها في هذا الظرف التاريخي المميز يُعَدُّ إجابة على إدارة الاحتلال وردا على احتفالاتهم التي قالت عنها: " **لقد انتهى الإسلام وانتهت العروبة في الجزائر ولم يبق سوى فرنسا والصليب...**" والتي حاولت تحطيم نهضة الجزائر.[1]

2- تداعيات الاحتفالات على الاستقلاليين والشيوعيين:

على إثر حلّ فرنسا لحزب نجم شمال إفريقيا [2] [2] مع نهاية العام 1929م، لم يتمكن هذا الحزب من التعبير بفعالية عن اعتراضه على الذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر، على الأقل قبل إعادة بعثه تحت تسمية: **نجم شمال إفريقيا المجيد**، وقد دعا إلى احتفال الجزائريين بطريقتهم الخاصة، من خلال التظاهر ضد الاستعمار وسياسته، أو ما يعرف بالامبريالية.[3]

وبالموازاة مع الميزانية الكبيرة التي خصصتها الإدارة الاستعمارية من أجل إحياء الذكرى المئوية، ضاعف الاستقلاليون من حملتهم المعادية للاستعمار الفرنسي وأعوانه من الجزائريين بدءا من الاستعدادات[4]، وكنتيجة لهذا النشاط الذي قام به هؤلاء، فإن سلطات الاحتلال قد أصدرت قراراً بحل الحزب عشية الاحتفالات[5]، بالإضافة إلى منْعِ صحفه من الصدور، كما تعرض أعضاؤه وعلى رأسهم مصالي الحاج[6] إلى حملة اعتقالاتٍ واسعةٍ.[7]

ويمكن القول أن الاحتفال بالذكرى المئوية، قد قوبل بالاستنكار في فرنسا والجزائر من طرف نجم شمال إفريقيا، وأجمع كل المناضلين على إدانة الاستفزازات التي تمثلها أعياد تلك الذكرى، وهو ما تفسره الشعارات المختلفة التي تدعوا إلى استقلال

([1])- أحمد حماني: **صراع بين السنة والبدعة**، ج1، دار البعث، الجزائر، (د ت ن)، ص ص 317- 318.

([2])- نجم شمال إفريقيا (ENA): هناك اختلاف بين المؤرخة حول حول تأسيس هذا الحزب، فأبو القاسم سعد الله يؤكد أن هذا الحزب قد تأسس في باريس سنة 1926م، حيث كان يضم العمال المغاربة وبذلك فقد كان هدفه الدفاع عن هؤلاء العمال، كما أن له هدف أسمى وهو تحقيق الاستقلال الكامل بالوسائل الثورية، تزعم هذا الحزب حاج علي عبد القادر، أصبح هذا الحزب جزائريا بحتا مع سنة 1927م بانسحاب التونسيين والمغاربة منه وانضمامهم إلى منظماتهم المحلية..، للتعمق والاستزادة حول هذا الحزب ينظر، أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية..**، ج3، المرجع السابق، ص ص 118- 119.

([3])- شارل روبير آجرون: **المرجع السابق**، ص 664.

([4])- ناهد إبراهيم دسوقي: **المرجع السابق**، ص 164.

([5]) - André NOUSCHI, **la naissance du nationalisme Algérien (1914- 1954)**, éd- de Minuit, Paris, 1er éd,1962, p 64.

([6])- أحمد مصالي بن الحاج: (1898م- 1974م)، ولد بحي الرحيبة الرحيبة بتلمسان، من أسرة بسيطة، تعلم في زاوية الحاج مُحَمَّد بن يلس ليدخل بعدها المدرسة الفرنسية، امتهن عدة حرف في صغره، عاد إلى المدرسة في سن متأخرة ليطرد منها فيما بعد بسبب مواقفه، تميز بطفولة كان لها دور في بناء شخصيته ويظهر ذلك في مشاركته في المظاهرات التي أقيمت بتلمسان ضد قانون التجنيد الإجباري، استدعي للخدمة العسكرية في 1918م وترقى في ذلك من جندي إلى رتبة عريف إلى أن سرح من الخدمة العسكرية في 1921م، كسب في المهجر وعيا وطنيا كبيرا ساهم من خلاه في النضال السياسي، توفي رحمه الله سنة 1974م، ينظر كلا من مُحَمَّد قنانش: **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص30، وكذلك بنيامين سطورا: **مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية (1898م- 1974م)**، تر- الصادق عماري ومصطفى ماضي، منشورات الذكرى40 للاستقلال، ص 15.

([7])- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية ..**، ج2، المرجع السابق، السابق، ص376.

الجزائر، وإجلاء قوات الاحتلال، وإدانة الإقطاعيين الموالين للمحتلين ومجلس النواب...[1]

ومع نهاية المعرض الاستعماري، بدأ النجم في بعْثِ نشاطه، في قالبٍ كان فيه أكثر حرية واستقلالا من ذي قبل في تحركاته وأنشطته، مع ربط علاقات خاصة مع الحزب الشيوعي الفرنسي، بهدفِ بناء الحزب وتحكيم الانضباط لخلق حزب يكون-معصوما-[2]، وهو ما جسدته المرحلة المسماة بمرحلة التخلص من التبعية بين1929م-1933م[3] بفرض رقابة على المنتمين للحزب ومنعهم من الانخراط في أحزاب أخرى.[4]

ففي ذلك الترتيب الجيد تكمن خطوة الحزب في المواجهة، وعليه فإن هذا الأخير قد أظهر نوعا من الرفض وعدم الخضوع والخنوع للسلطات الاستعمارية، ولعل أحسن دليل على ذلك ردود الفعل التي أبداها النجم تجاه الاحتفالات المئوية للاحتلال، حيث أنه وبمجرد التحضير لتلك الاحتفالات قام النجم بمضاعفة نشاطه تجاه فرنسا وسياستها.[5]

اعتبارا من التوجهات الثورية الاستقلالية للنجم،لم يكن له رد فعل تجاه الاحتفالات فحسب، بل استنكر الاستعمار وسياسته، من منطلق أن تلك الاحتفالات هي احتفالات ساخرة[6]، وهو ما أكدته العرائض التي رفعها والمناشير التي وزعها، زيادة على المقالات العديدة في جريدة الأمة، والتي حاولت إثارة الشعب الجزائري وعواطفه تجاه قضيته.[7]

بالإضافة إلى ذلك، وجهت اللجنة المركزية للحزب رسالة وُصفت بأنها توثيقٌ حول الجزائر إلى عصبة الأمم، وقد احتجت لدى المنظمة الدولية على الاحتفال بذكرى مرور مائة سنة على الاحتلال، وكأن التاريخ كما يراه الوطنيون يُظهر في المقام الأول

(1)- مُحَمَّد قنانش ومحفوظ قداش: **نجم الشمال الإفريقي (1926م-1937م)، وثائق وشهادات لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية**، د م ج، الجزائر، (د ت ن)، ص ص 48- 49.

(2)- مصالي الحاج: **مذكرات مصالي الحاج (1898م- 1938م)**، تر- مُحَمَّد المعراجي، تص- عبد العزيز بوتفليقة، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص ص33- 34.

(3)- يمكن القول، أن حزب نجم شمال إفريقيا في هذه الفترة هو في الحقيقة حزب منحل، وبالتالي انقطع عن العمل في إطار الحياة السياسية، لكن مناضليه بقوا في نشاط دائم، وهذا ما يفسره نشاط الحزب سرا، كما أنه مع حلول عام 1933م قد ظهر من جديد بالمبادئ نفسها والتي كان يحملها حزب نجم شمال إفريقيا المجيد.. للتعمق والاستزادة في هذا الصدد ينظر، عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن العقون: **المصدر السابق**، ص304.

(4)- مُحَمَّد بلعباس: **الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر**، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت ن)، ص 22.

(5)- صالح فركوس: **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين**، دار العلوم للنشر، الجزائر، (د ت ن)، ص246.

(6) - Mahfoud KADDACHE, **histoire du nationalisme Algérien Question nationale et politique Algérienne (1919-1951)**,T 02, SNED, Alger,1980, p254.

(7) - Mohamed GUENANECHE, **le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939)**, tr- Sid Ahmed Bouali, ENAL, Alger,1990, p49.

الدوافع الحقيقية للغزو الفرنسي، ويمثل الحجة الرئيسية ضد الاحتلال الاستيطاني.[1]

أما بالنسبة لموقف الحزب الشيوعي[2] بخصوص الاحتفالات المئوية فهو جدير بالذكر، ففي ماي1930م أصدر الحزب تصريحا في أربع صفحات بصدد هذه المناسبة، وقد خاطب هذا التصريح بالخصوصِ الجنودَ الجزائريينَ في الجيش الفرنسي، ومما نجده في هذا الصدد:" ... **من أجل بلدكم، ومن أجل مطالبكم تآخوا مع العمال...**".[3]

كما استعمل الحزب الشيوعيُّ الصحافةَ، للردِّ على فرنسا واحتفالاتها، حيث دعت جريدة l'humanité إلى التضامن مع الجزائريين، وفي السياق نفسه، دعا الحزبُ الجزائريينَ إلى الردِّ على هذه الاستفزازات التي صاحبت أعياد تلك الذكرى، بإقامة العديد من المظاهرات.[4]

ومما كان من نشاطات الحزب كذلكَ تنظيمُ الاتحادِ الجهويّ لمؤتمرٍ سريٍ للعمال في الجزائر، شارك فيه69مندوبا- أهليا- و6 أوربيين[5]، حاولوا من خلاله التذكيرَ بالحالة المزرية والسيئة للشعب الجزائري بعد قرن كامل من الاحتلال، فهو (= الحزب) مطالب بتحسين هذه الحالة، وهذا من خلال منح برنامج من الإصلاحات، إلى جانب تبيان خطورة الاحتفالات للرأي العام.[6]

كما قام الشيوعيُّون بحملات مناهضة للاحتفالات ومنددة بها، من خلال المناشير العديدة[7]كون تلك الاحتفالات ليس لها في الجزائر من مبرر، وأنها من صنع الرأسمالية - الفرنسية-[8]، زيادة على الدعوة إلى التظاهر ضد المئوية في أول ماي والتآخي بين العمال الجزائريين والفرنسيين[9]، وبالتالي فقد نادى الحزب الشيوعي الجزائريينَ إلى أن

([1])- محفوظ قداش: **تاريخ الحركة الوطنية..**، ج2، المرجع السابق، ص 356.

([2])- بدأ التيار الشيوعي بالنشاط في الجزائر بعد ح ع1 وهذا بعد تأسيس الحزب الشيوعي الفرنسي لفيدرالية تابعة له في الجزائر في 1924م، ليُحوِلها إلى الحزب الشيوعي الجزائري في 1936م، والشيوعية في الجزائر ليست كما في أوربا، تعبر عن الحركة العمالية، بل هي نتيجة لتطور الجناح الراديكالي داخل الفيدرالية الجزائرية للحزب الاشتراكي الفرنسي وأعضاؤه كانوا مناضلين في هذا الحزب.، للاستزادة في موضوع الحزب الشيوعي في الجزائر ينظر، مصطفى أوعامري: **الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية (1920 -1954)**، مجلة الحضارة الإسلامية، ع29، جوان2016، ص452 وما بعدها.

([3])- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية ..**، ج2، المرجع السابق، السابق، ص 308.

([4])- كريمة ابن حسين: **الحياة السياسية في قسنطينة من سنة 1930م إلى سنة 1939م**، رسالة للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1983- 1984، ص 35.

([5])- إلياس نايت قاسي، **المرجع السابق**، ص 111.

([6])- عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن العقون: **المصدر السابق**، ص312.

([7]) - Jacques FOURNIER, **l'Algérie retrouvée (1929- 2014)**, éd- Média Plus, Blida, 2015, p 50.

([8])- شارل روبير آجرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة..**، المرجع السابق، السابق، ص ص 650-651.

([9])- محفوظ قداش: **جزائر الجزائريين..**، المرجع السابق، ص 302. 302.

يسيروا جنباً إلى جنبٍ مع العمال الفرنسيين قصد الدفاع عن مصالحهم، والكفاح ضد الامبريالية، ومن ثم تحقيق استقلال الجزائر.[1]

3- انعكاسات الاحتفالات على النواب والاندماجيين:

انتهزت النخبة فرصة الاحتفالات، وطالبت الإدارة الفرنسية بتطبيق المبادئ الخاصة بإعلان حقوق الإنسان، وتزامنا مع زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية دوميرق-DOUMERGUE قدم بعض النواب المسلمين احتجاجا ضد موقف عامل عمالة الجزائر لرفضه تعيين نواب مسلمين لشيخ المدينة باعتبارهم- قائمين بأعمال- فقط، وذهب البعض إلى إنقاص قيمة -الأهالي- واعتبارهم قاصرين.[2]

هذا، وقد اعتبر هؤلاء المنتخبون الذكرى المئوية فرصة للتذكير بعدم وفاء الفرنسيين بوعودهم رغم اعتدالها، وعليه تم تذكير هؤلاء الساسةِ الفرنسيين بمطالب- الأهالي-[3] والتي كانت في مجملها مطالب اجتماعية كنشر التعليم باللغتين العربية والفرنسية، إلى جانب المساواة في الوظائف المدنية والخدمة العسكرية، بالإضافة إلى قضية تمثيل- الأهالي- في مختلف المجالس.[4]

كما قام النواب بتأسيس ما يسمى باتحادية النواب الجزائريين المسلمين القسنطينية في 20 جوان1930م، وعلى شكلها تأسست اتحاديات أخرى بالجزائر ووهران، والتي تعتبر خطوة نحو ظهور حركة سياسية أكثر حزما وأكبر حيوية[5] ومع ذلك، فقد مرَّت سنة 1930م من دون أن تكون هناك بعض الإصلاحات التي كان قد- تَمَنَّاهَا- الجزائريون.[6]

أما بالنسبة لبعض النواب من جماعة "بني وي- وي"، فقد نظروا إلى القضية من زاوية إيجابية- وأشادوا بإنجازات فرنسا-[7]، ولعل تصريح الباشاغا بوعزيز بن قانة الملقب بشيخ العرب في منطقة سيدي عقبة ببسكرة، دليل على ذلك، نحو قوله:"... **لو أن العرب عرفوا الفرنسيين وقيمتهم سنة 1830م، لاستقبلوهم ببنادق مملوءة بالزهور!**".[8]

كما أن فئة الاندماجيين قد اغتنمت الفرصة للمطالبة بإدماج الجزائر وإلحاقها بفرنسا، وهو ما فسرته خلايا التيار من جمعية المعلمين الأهالي على

([1])- أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 309.

([2])- عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن العقون: **المصدر السابق**، ص 309.

([3])- بخصوص مسألة مطالب الجزائريين، فقد قدم ممثلو الجزائريين من فئة بني وي- وي جملة من المطالب وكمثال عن ذلك، المطالبُ التي قُدمت بمجلس بلدية الجزائر، حيث قوبلت هذه المطالب بالرفض من طرف النواب الفرنسيين ورئيس البلدية " برينال- Brinell"، واعتبرت تلك المطالب سخرية، مثل اقتراح ودادية النساء الجزائريات للمشاركة في الانتخابات، على اعتبار أنه حق خاص بالفرنسيات فقط.. للتعمق ينظر، عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن العقون: **المصدر السابق**، ص 310.

([4])- أحمد مهساس: **المرجع السابق**، ص 309.

([5])- إسماعيل العربي: **السياسة الاستعمارية الفرنسية فيما بين 1919م- 1939م، وتأثيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية..**، المرجع السابق، ص 101-102.

([6]) - Jacques FOURIER, **Op-Cit**, p 52.

([7])- عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن العقون: **المصدر السابق**، ص 311.

([8]) - Jacques BERQUE, **Op-Cit**, p 234.

لسان أحد زعمائها:" **إن سياسة الأهالي في الجزائر لا يمكن أن تكون إلا سياسة إدماجية...**"[1]، كما أكد فرحات عباس ذلك بقوله:" **ليس للطالب الشاب إلاّ أملا واحدا، وهو الاندماج في الأسرة الفرنسية...**".[2]

الفرنسية...".[2]

إضافة إلى اغتنام فئة الاندماجيين للفرصة قصد تدعيم مراكزهم وتحقيق أهدافهم السياسية[3]، رغم ما خلفته من حالة الذهول ومن آثارٍ اجتماعية، فرغم ما بذلوه من جهود لم يشفع لهم ذلك لدى السلطات الفرنسية في تحقيق مآربهم.[4]

رابعاً- خاتمة:

تحيل خلاصات موضوع: **سياسة الاستعمار الفرنسي ونضال الجزائريين، مئوية الاحتلال- أنموذجا-**، إلى العديد من الاستنتاجات، من قبيل:

* أَفْرَزَ تطورُ المنظومةِ الرأسماليةِ الظاهرةَ الاستعماريةَ، وقد وقعت الجزائر بين فكي الاستعمار مع بدايات القرن التاسع عشر، وعلى هذا الأساسِ، عمِلَ الفرنسيون بالتأسيس للاحتلال عبر العديد من السياسات بهدف ترسيخ وتثبيت أقدامهم من جهة، وتحقيق الاستغلال الاقتصادي في إطار المشروع الاستعماري الذي سُطِّرَ من جهة أخرى.

* ومن المؤكد أيضا أن تلك السياسات والاستراتيجيات لم تخرج في سياقها العام عن محاولات المساس بالفرد، من خلال المساس بالهوية، المقومات، والتاريخ، زيادة على محاولات الفرنسيين لضرب كيان الأمة ووجودها، ومن المؤكد كذلك، أن هذه المكونات قد شكلت محورا لمشروع الاحتلال ورسمت معالمه، والتي شكلت أيضا مهمازاً للتنظير- لإمبراطورية- فرنسية وشيدت قاعدتها.

([1])- إسماعيل العربي: **السياسة الاستعمارية الفرنسية سنة 1930م وتأثيراتها على الحركة الوطنية في بلدان المغرب العربي**، المرجع السابق، ص ص 30- 31.

([2])- فرحات عباس:**ليل الاستعمار، حرب الجزائر وثورتها**، تر- أبو أبو بكر رحال، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص85.

([3]) - Mohamed TEGUIA, **l'Algérie en guerre**, éd- OPU, Alger, 1988, pp 22- 23.

([4])- إلياس نايت قاسي: **المرجع السابق**، ص ص 98- 99.

* وبالموازاة مع ذلك، فقد عمدت فرنسا إلى إتباع سياساتٍ وخُططٍ أقرها تطور النظام الرأسمالي، من أجل استغلال الموارد الطبيعية والطاقات البشرية التي تزخر بها الجزائر، وهذا بحسب مقتضيات المنظومة الرأسمالية المعززة بثوراتها الصناعية، حيث مثلت الجزائر بصفة خاصة ومنطقة المغرب بصفة عامة، حقلاً خِصْباً لبناء مشروع الاحتلال (= احتلال الأرض وما تشمله)، إلى جانب تحقيق هاجس التوسع وبسط النفوذ.

* على أساس الهوية، التمدّن، الأرض، الموارد الطبيعية، اليد العاملة، تأسس خطاب الاحتلال عند الفرنسيين، وعلى هذا الأساس، حدد الفرنسيون الأدوات والوسائل والخطط والاستراتيجيات التي من شأنها غرس جذورها في الجزائر ثم باقي الدول، وبناء- إمبراطورياتها-.

* ضمن هذا الإطار، فقد اتبعت إدارة الاحتلال العديد من السياسات والاستراتيجيات، وقد كان الاحتفال بالذكرى المئوية أحد تلك السياسات، حيث مثّل استفزازا ومساسا بالشعور الوطني أكثر مما كان مجرد تهاريجٍ واحتفالاتٍ.

* كما أن الفرنسيين قد عمدوا إلى محاولة ضرب الدين الإسلامي الذي مثّلَ المتنفس الوحيد لتلك الشعوب- المغلوبة-، وهو الأمر الذي نستشفه في الاحتفال المئوية، كَوْنهَا احتفالٌ بدفن جنازة الإسلام في الجزائر على حد تعبير غُلاةِ المستعمرين، وهو ما يثبت الحقد الصليبي الدفين على الإسلام والمسلمين.

* أثرت السياسة الاستعمارية الفرنسية على الحياة السياسية في الجزائر (=نقصد هنا بالتحديد مئوية الاحتلال موضوعَ الدراسةِ)، اعتباراً من أن الذكرى المئوية قد قدمت القضية الوطنية اعتبارا من الوعي الوطني الذي اكتسبه الجزائريون، بالإضافة إلى تدعيم الحركة الوطنية بتيار جديد وهو التيار الإصلاحي الذي جسَّدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

* شكلت سياسة الاستعمار الفرنسي المتمثلة في الاحتفالات المئوية دافعا أساسياً خاصةً، اعتبارا من التداعيات والآثار التي خلفتها تلك السياسة في لَـمِّ الشمل وشَحْذِ العزائم والهمم من أجل مواجهة الاستعمار الفرنسي وسياسته.

* اعتبار مئوية الاحتلال من بين السياسات التي مست الدين والقومية والهوية..، وهي قضايا جد حساسة بالنسبة لمجتمع عربي مسلم، ما نستشفه في رد الفعل العنيف للجزائريين، نظرا لما أحدثته من استفزاز وشرخ للمقومات وضرب لعقيدة الشعب الجزائري.

* تركت الاحتفالات المئوية الأثر البالغ كذلك على الجانب الاجتماعي، اعتبارا من مظاهر الاستفزاز التي حملتها، والتي تواصلت على مدى ستة أشهر كاملة من جانفي إلى غاية جوان 1930م، أظهر الفرنسيون من خلال تظاهرات تلك الاحتفالات التي كانت جارحة لكبرياء الجزائريين (= بإعادة صورة الاحتلال سنة 1830م) كرههم للجزائريين ومحاولة القضاء على كيانهم.

خامساً- قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

أ- الكتب:

- آجرون شارل روبير: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ج 2، تر- عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1988.
- الخطيب أحمد: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- العربي إسماعيل: **السياسة الاستعمارية الفرنسية سنة 1930م وتأثيراتها على الحركة الوطنية في بلدان المغرب العربي**، دار ومضة للنشر، جيجل، 2023.
- العلوي مُحَمَّد الطيب: **مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830م حتى ثورة نوفمبر 1954م**، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1985.
- العلوي مُحَمَّد الطيب: **مظاهر المقاومة الجزائرية**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، (دون تاريخ نشر).
- المدني أحمد توفيق: **حياة كفاح 1925م- 1954م**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.
- الورثلاني الفضيل: **الجزائر الثائرة**، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- بلاح بشير وآخرون: **تاريخ الجزائر المعاصر 1830م- 1989م**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2007.
- بلعباس مُحَمَّد: **الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر**، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، (دون تاريخ نشر).
- بن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم: **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (الفترة الأولى، 1920م- 1936م)**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- بوالصفصاف عبد الكريم: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م-1954م)**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة، الجزائر، (دون تاريخ نشر).
- حماني أحمد: **صراع بين السنة والبدعة**، ج1، دار البعث، الجزائر، (دون تاريخ نشر).
- دسوقي ناهد إبراهيم: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الحركة الوطنية الجزائرية في فترة مابين الحربين 1918م- 1939م**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001.
- ريسلر كميل: **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها 1830م- 1962م (تعليقات جزائرية على شبه اعتراف فرنسي)**، تر- نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر، (دون مكان طبع)، ط1، 2016.
- زروقة عبد الرشيد: **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913م- 1940م)**، دار الشهاب، بيروت، ط1، 1999.

- سطورا بنيامين: **مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية (1898م- 1974م)**، تر- الصادق عماري ومصطفى ماضي، منشورات الذكرى40 للاستقلال.
- سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية (1900م- 1930م)**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 1992.
- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي (1830م-1954م)**، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
- شيبان عبد الرحمن: **من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة، الجزائر، (د ت ن).
- عباس فرحات: **ليل الاستعمار، حرب الجزائر وثورتها**، تر- أبو بكر رحال، منشورات ANEP، الجزائر، 2005.
- علي بدر: **ماسينيون في بغداد (رسائل المستشرق لويس ماسينيون إلى الأب أنستاس ماري الكرملي 1908م- 1919م)**، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2005.
- غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005.
- فركوس صالح: **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين**، دار العلوم للنشر، الجزائر، (دون تاريخ نشر).
- فضلاء مُحَمَّد الطاهر: **التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح**، دار البعث للنشر، قسنطينة، ط1، 1982.
- فضلاء مُحَمَّد الطاهر: **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية (التعليم الديني، الإصلاح الديني، جمعية العلماء)**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، 1984.
- قداش محفوظ: **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939)**، ج2، تر- أَمُحَمَّد بن البار، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008.
- قنانش مُحَمَّد وقداش محفوظ: **نجم الشمال الإفريقي (1926م- 1937م)، وثائق وشهادات لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية**، د م ج، الجزائر، (د ت ن).
- قنانش مُحَمَّد: **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، دار القصبة، الجزائر، 2007.
- كاري جاك: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، تر- عبد الرزاق قسوم، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
- كاشة الفرحي بشير: **مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر1830م- 1962م**، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار، الجزائر، 2007.
- مُحَمَّد خير الدين: **مذكراتٌ (ومشاركة في جمعية العلماء وجبهة التحرير الوطنية ومجلس الثورة الجزائرية)**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- مصالي الحاج: **مذكرات مصالي الحاج (1898م-1938م)**، تر- مُحَمَّد المعراجي، تص- عبد العزيز بوتفليقة، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.
- مطبقاني مازن صلاح حامد: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931م- 1939م)**، تق- أبو القاسم سعد الله، عالم الأفكار للطباعة، الجزائر، (دون تاريخ نشر).
- مطبقاني مازن صلاح: **عبد الحميد ابن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي**، دار القدس، دمشق، ط2، 1999.
- مهساس أحمد: **الحركة الثورية في الجزائر (1830م-1954م)**، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

- BALTA Paul et RULLEAU Claudine, **l'Algérie des Algériens**, éd- ouvrières, Paris, 1981.
- BENTOUMI Ammar, **Crime et Infamie la colonisation vécue par un Algérien (1923-1962)**, éd- casbah, Alger, 2013.
- BERQUE Jacques, **le Maghreb entre deux guerres**, éd- le SEUIL, Paris, 1962.
- BONZE Raymond, **l'Algérie du centenaire (vue par l'Université de France)**, publications du comité national Métropolitain du centenaire de l'Algérie (sd et sl).
- BORDES Pierre, **projet de budget**, imp- Emile PFISTER, Alger,1928.
- FOURNIER Jacques, **l'Algérie retrouvée (1929- 2014)**, éd- Média Plus, Blida, 2015.
- GUENANECHE Mohamed, **le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939)**, tr- Sid Ahmed Bouali, ENAL, Alger,1990.
- LARDILLIER Alain, **le peuplement française en Algérie (1830- 1900)**, éd- l'atlanthrope, Paris, 1992.
- M YONGE Charlotte, **memoirs of Marishal Bugeaud**, vol-1, Hust and Blacqett publishers, London ,1884.
- MERAD Ali, **le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1945**, éd- Essaid histoire religieuse et sociale, paris, 1967.
- NOUSCHI André, **la naissance du nationalisme Algérien (1914- 1954)**, éd- de Minuit, Paris, 1er éd,1962.
- TEGUIA Mohamed, **l'Algérie en guerre**, éd- OPU, Alger, 1988.
nationale et politique Algérienne (1919-1951),T 02, SNED, Alger,1980.

ب- الرسائل الجامعية:

- ابن حسين كريمة: **الحياة السياسية في قسنطينة من سنة 1930م إلى سنة 1939م**، رسالة للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1983- 1984.
- العربي إسماعيل: **السياسة الاستعمارية الفرنسية فيما بين 1919- 1939 وتأثيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلدان المغرب العربي**، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحركات الوطنية المغاربية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلسمان، 2019- 2020.
- بلحاج صادق: **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي (1919م-1939م)**، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، جامعة أحمد بن بلة 01، وهران، 2011- 2012.
- بوقرة زيلوخة: **سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر(ج ع م ج أنموذجا)**، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008- 2009.

- جباري مسعود: **الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس**، رسالة ماجستير في أصول الدين، جامعة الجزائر، 2001- 2002.

- خليفي عبد القادر: **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899م-1983م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2006-2007.

- علالي محمود: **دراسة لكتابات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2008-2009.

- مطبقاني مازن صلاح: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931م- 1939م)**، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة، 1984- 1985.

- نايت قاسي إلياس: **الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي في الجزائر وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2002- 2003.

ج- الجرائد والمجلات:

- **البصائر**: ع29، 24 جويلية 1936.

- **الشهاب**: ج5، مج7، محرم 1350هـ، ماي 1931م.

- **الشهاب**، ج6، مج7، جوان 1931.

- **الشهاب**، مج7، ج6، جوان 1931.

- النجاح: **التذكار المئوي للجزائر**، ع 924، 29 أفريل 1930م.

- مُحَمَّد رشيد رضا: **جمعية علماء المسلمين في الجزائر**، مجلة المنار، مج 32، ج8.

- العدواني مُحَمَّد الطاهر: **كلمة التأبين بمناسبة الأربعين**، مجلة التاريخ، ع 18، الجزائر، 1985.

- العربي إسماعيل: **السياسة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي سنة 1930**، مجلة القرطاس، ع 08، جانفي 2018.

- أوعامري مصطفى: **الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية (1920- 1954)**، مجلة الحضارة الإسلامية، ع29، جون 2016.

- بن عيشة الطاهر: **نادي الترقي و الحركة الإصلاحية (الشيخ الطيب العقبي و الشيخ السعيد الزاهري)** جريدة المحقق، سل 02 ،ع 58، 27 أفريل 2007.

- زرمان مُحَمَّد: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومنهجها في تجديد العقيدة الإسلامية**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع7، دار البعث، قسنطينة، مارس 2001.

- غنابزية علي: **علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحزب الشعب الجزائري (1936م- 1954م)**، مجلة المصادر، ع21، السداسي الأول، 2010.

- مرحوم علي: **جمعية العلماء (مرور خمسين عاما على تأسيسها1931م- 1981م)**، مجلة الثقافة، ع66، السنة11، نوفمبر- ديسمبر 1981.

- ميسوم بلقاسم: **التطورات السياسية في الجزائر خلال1926م- 1936م**، مجلة المصادر،ع19، 2009.

- **bulletin municipal officiel**, 05- 30 Avril 1928.

- **La défense**, n° spécial, 19 mai 1930.

- **L'illustration**, n°4551, mai 1930.

- GODIN Pierre, **proposition tendant à faire participer la ville de Paris aux fêtes du centenaire Algérien de 1930**, conseil municipal, n° 136, 1931.

- DORLEAC Bertrand Laurence, **l'art de la défaite 1940-1945**, rev- le Monde, 15-16 juin, 2008.

- DOUMERGUE Gaston et autre, **projet de loi**, rev- sénét, n° 295, 1929.

د- الندوات والمعاجم والقواميس:

- بكلي يحي: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (النشأة والتاريخ)**، ندوة وطنية، جامعة الجزائر، جانفي2018.

- البعلبكي منير: **معجم أعلام المورد**، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1992.

- نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى الوقت الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر والترجمة، بيروت، ط2، 1980.

سياسة ايران الخارجية تجاه العراق بعد عام 2003 واثارها المستقبلية في المنطقة

أ.م.د.علي جودة صبيح المالكي
جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المقدمة

تعد العلاقات العراقية - الإيرانية بعد عام ٢٠٠٣م من المواضيع التي لم تنل حيزاً مهماً من البحث العلمي الأكاديمي، نظرا" لحساسية وأهمية هذه العلاقات بين الطرفين ، ولتداخلها مع القوى والعوامل الإقليمية والدولية ناهيك عن ان جذور هذه العلاقات كانت تتسم بالتوتر والريبة والهواجس المتبادلة بين العراق وإيران قبل عام ٢٠٠٣م حيث مرت هذه العلاقة بتجربة الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) التي أثرت على المحيط الإقليمي والدولي ،

تعرضت منطقة الشرق الأوسط في العام ٢٠٠٣ إلى تحولات ومتغيرات أثرت على البنية الجيوسياسية للمنطقة، حيث قامت الولايات المتحدة الأمريكية باحتلال العراق، مما ساعد على بروز دور إيران التي كانت الرابح الأكبر من زوال جار قوي مثل العراق كونه يشكل أهمية كبرى في الاستراتيجية الإيرانية، ويتأكد ذلك من خلال التوجهات والسياسات الإيرانية تجاه العراق حاليا، ففي الفترة ما بين عامي ٢٠٠٣- 2005 ظهرت العديد من المتغيرات والأحداث الإقليمية والدولية، والتي كان لها تداعيات على السياسة الإيرانية تجاه العراق ومن أبرزها الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ،وما له من تأثير بالغ على السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق، حيث انتهجت حكومة الرئيس مُحَمَّد خاتمي خطوات تهدف إلى إصلاح النظام السياسي الإيراني، ومحاولة تحسين علاقات إيران بدول الجوار وبالغرب والعالم بشكل عام، خاصة أن هذه الفترة أعقبت تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2010.

وقد أعقب ذلك انتخاب الرئيس محمود أحمدي نجاد رئيسا لإيران في يونيه ٢٠٠٥ والذي مثل التيار الجمهوري المتشدد في إيران، فضلا عن تصاعد أعمال المقاومة في العراق وفلسطين، وتنامي المشروع النووي الإيراني، والحرب الإسرائيلية على كل من لبنان في العام ٢٠٠٦ ، وغزة في العام ٢٠٠٨، وكذلك جمود عملية السلام في المنطقة، الأمر الذي كان له تأثير قوي على دور إيران في منطقة الخليج العربي، من خلال استغلالها هذه الأوضاع كورقة ضغط على الولايات المتحدة الأمريكية ودول المنطقة إعطائها دور أكبر يحمي مصالحها ويحقق استراتيجيتها.

مشكلة البحث

تمحورت مشكلة البحث حول السياسية الخارجية الايرانية تجاه العراق بعد عام ٢٠٠٣، مع بيان آثار هذا الاحتلال على السياسة التي تنتهجها إيران تجاه العراق وما هي الأدوات والوسائل التي تعتمد عليها طهران في تحقيق أهدافها وتوسيع دورها الإقليمي في المنطقة. : فلم تستقر العلاقات العراقية - الإيرانية على مستوى واحد من الصراع أو التعاون على رغم من تبدل النظام السياسي في العراق ، إذ أن هنالك أطراف لا ترغب في تطور العلاقات مع

إيران بعد عام ٢٠٠٣م لأسباب كثيرة .وقدانطلقت مشكلة البحث من تساؤل رئيسي- مفاده: **ما هي محددات وأهداف السياسة الإيرانية تجاه العراق؟، وكيف سعت إيران لتحقيقها؟ وما مدى نجاحها في ذلك؟**

أهداف البحث

سعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- التعرف على أهداف السياسة الإيرانية تجاه العراق.

2- إبراز المحددات التي تقوم عليها التدخلات الإيرانية تجاه العراق.

3- الإطلاع على أدوات السياسة الإيرانية المستخدمة تجاه العراق.

أما المنهج المستخدم في البحث هو المنهج التاريخي التحليلي وذلك لإثراء الموضوع المتعلق بدراسة مسار تطور العلاقات الإيرانية - العراقية وتتبع هذا التطور من خلال علاقة إيران مع العراق.

تقسيم البحث: تم تقسيم هذا البحث إلى مبحثين يسبقهم الاطار العام للبحث وفيه مقدمة البحث ومشكلة البحث واهداف البحث. تناول البحث الأول العلاقات السياسية والاقتصادية، حيث ينقسم إلى مطلبين تناولت في المطلب الأول، العلاقات السياسية، أما المطلب الثاني العلاقات الاقتصادية، وقد ذكرت في المبحث الثاني العلاقات الأمنية العسكرية، حيث ينقسم إلى مطلبين، المطلب الأول العلاقات الأمنية أما المطلب الثاني العلاقات العسكرية.

ومن ثم الخاتمة ونتائج البحث، وقائمة المصادر والمراجع.

وختاما، لا أدعي الكمال فيه، فالكمال لله وحده، راجياً من الله تعالى التوفيق والسداد،

المبحث الأول

العلاقات السياسية والاقتصادية

لا شك هناك عدة انعكاسات للتغير السياسي والاقتصادي على العلاقات العراقية الإيرانية بعد عام ٢٠٠٣م وخاصة في أطار العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية فالنسبة العلاقات السياسية في مجال التمثيل الدبلوماسي وكذلك المتغيرات والمؤثرات في السياسية الإيرانية تجاه العراق والتي تكون متغيرات داخلية وخارجية. أما بالنسبة العلاقات الاقتصادية فهي تتنوع بين القدرات الاقتصادية لكل من العراق وإيران وكذلك التبادل التجاري بين العراق إيران بعد عام ٢٠٠٣م.

المطلب الأول/العلاقات السياسية

تعززت علاقة إيران بالعراق بعد العام 2003، في ظل الحكومة الجديدة التي غلب عليها التمثيل الشيعي، وبادرت إيران إلى الاعتراف بها، وفي سبتمبر/أيلول من العام التالي لسقوط نظام حكم صدام حسين استأنفت إيران والعراق علاقاتهما الدبلوماسية، وقفزت العلاقة بينهما إلى مستوى متقدم في ظل حكومة إبراهيم الجعفري، حيث أصدرت تلك الحكومة أمرا بالعفو عن المحتجزين

والمعتقلين الإيرانيين في السجون العراقية وقد كان الترحيب بزيارة وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي لبغداد ملفتا" للنظر، حيث شهدت العلاقات الثنائية بين البلدين تطورا" مشهودا" لم يحدث منذ أربعين عاما.وفي تطور مشهود للعلاقات الثنائية بين البلدين لم يحدث منذ أربعين عاما زار وفد عسكري عراقي كبير برئاسة وزير الدفاع سعدون الدليمي طهران، وقدم الوفد اعتذاره لإيران حكومة وشعبا عن ما وصفه بجرائم صدام بحق إيران، وتكللت هذه الزيارة بتوقيع اتفاق للتعاون العسكري في مجالي الدفاع ومحاربة الإرهاب. [1].

كما زار الجعفري نفسه طهران لتعميق وتوثيق العلاقات بين البلدين بعد أن شابها التدهور في ظل حكومة إياد علاوي الذي اتهم طهران بالتدخل في الشأن الداخلي العراقي. وقدم الجعفري التطمينات اللازمة لطهران، مؤكدا أن حكومته لن تسمح للمعارضة الإيرانية (منظمة مجاهدي خلق) بأن تتخذ من الأراضي العراقية منطلقا لممارسة عملياتها ضد إيران.وكان من أبرز نتائج تلك الزيارة التوقيع على اتفاقية تعاون أمني مشترك بموجبه شكل البلدان لجانا مشتركة للتنسيق الأمني وضبط الحدود والمساعدة في إعادة تأهيل الجيش العراقي.

واستمر الخط البياني للعلاقات الإيرانية العراقية في تصاعد حتى بعد خروج الجعفري من الحكومة وتولي نوري المالكي رئاسة الوزراء، حيث بادر الأخير إلى زيارة إيران، واستقبله الرئيس الإيراني الجديد احمدي نجادي الذي أعلن أثناء هذه الزيارة عن ربط أمن بلاده بأمن العراق، قائلا إن بلاده مستعدة لإحلال الأمن كاملا في العراق، لأن أمن العراق هو من أمن إيران. و وصف العلاقة العراق بإيران بأنه (نواة سوق اسلامية مشتركة ، يؤكد هذه رغبة التقارب الديني والجغرافي ، وخاصة وأن كلا الطرفين أعضاء في أوبك ويمتلكان موارد تأهلها التعاون المشترك)، وأشار الى أن العوامل المشتركة بين البلدين الثقافية ، والدينية وعرقية ، وتاريخية قد مكنت الشعبين من تعميق تعاونهما وروابطها[2]. وقد رد المالكي على ذلك بقوله إنه لا توجد حواجز تعترض طريق التعاون بين البلدين. وهو التعاون الذي لا يزال مطرداً يوما بعد يوم رغم الضغوط والاتهامات الأميركية باستغلال هذا التعاون لتحقيق مكاسب إقليمية إيرانيةوبادرت إيران ا الى الاعتراف بها بعد العام التالي من سقوط نظام حكم صدام حسين،حيث استأنفت ايران والعراق علاقتهما الدبلوماسية وقفزت العلاقة بينهما الى مستوى متقدم بخاصة في ظل حكومة إبراهيم الجعفري، حيث اصدرت تلك الحكومة أمرا بالعفو عن المحتجزين والمعتقلين الإيرانيين في السجون العراقية، وقدتم تقسيم هذا المطلب إلى فرعين :

الفرع الأول المتغيرات المؤثرة في السياسة الإيرانية تجاه العراق:

يتسم النظام السياسي الإيراني بتعدد الأقطاب التي تؤثر في نظام السياسة الخارجية، والتي لها الحق في ابداء آراءها أو في اتخاذ القرار ،وبالرغم تعدد القوى المؤثرة ألا أن منصب المرشد الأعلى للجمهورية

[1] مصطفى علي العبيدي ، صفحات احتلال العراق ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٧م ، ص ٥٣.

[2] أياد عبد الكريم، العلاقات العراقية العربية مجلة السياسة الدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٠ ص ١٢٩.

الاسلامية ،يعد هو الأعلى في اتخاذ القرارات الكبرى بشأن السياسة الخارجية إيران ، وهذا ماأكدته التجارب العملية، بالتالي تشكل ولاية الفقيه احد المصادر الرئيسية للسياسة الإيرانية بوصفها تجسيدا للاطار الفلسفي للحكومة الإسلامية القائمة على فكرة الحاكمية ، بيد انه من المهم في أطار البحث أن نعرف أن ولاية الفقيه واسسها الفلسفية تؤدي إلى توسيع حدود سلطت المرشد الاعلى ونطاقها في السياسة الخارجية ،وعلى اساس هذا المفهوم المهم ترتكز السياسة الخارجية الإيرانية بصورة عامة، لكونها دولة ثورية إسلامية تتخذ من ولاية الفقيه مصدرا وموجها أساسياً [1].وتعتمد لتوجهات إيران وسياساتها الخارجية تجاه العراق على المتغيرات التالية:

أولاً - المتغيرات الداخلية :

أن المتغيرات الداخلية للسياسة الإيرانية تجاه العراق، تتعدد من حيث كونها دولة مجاورة تربطها روابط مشتركة عديدة ،ومن الواجب الاعتراف بالثورة الإسلامية في إيران واهدافها من حيث التوجه الاقتصادي والتجاري والمالي بين الدولتين، وهذه المتغيرات هي :

١ - **المتغير الجيوبوليتيكي** : ان إيران قوه إقليمية عظمى ذات قدرات جيوبوليتيكية وبشرية ضخمة حيث يقدر عدد نفوسها ب (٧٥ مليون نسمه) ومساحتها ب(١٦٤٨٠٠٠ مليون كم٢) وكذلك تمتلك ثروة نفطية وغازية توفر لها عائدات ماليه تقدر ب (٣٠ مليون دولار سنوياً، ناهيك عن القوة العسكرية ضخمة، وهناك عامل مهم في متغير الجيوبوليتك السياسي الإيراني وهو أن أبعد نقطتين سكانيتين بين العراق وإيران هي أقل من ثلاثة كيلو مترات في البصرة في الجهة الإيرانية المقابلة ، والفاصل بين هاتين النقطتين هو فاصل مائي ، أي فاصل حضاري من الممكن تجاوزه والاختلاط وتبادل الثقافات والتجارة بين سكان البلدين ، وأن الجنوب العراقي والوسط العراقي أقرب الى ايران الامر الذي يشكل عاملا مساعدا في العلاقات العراقية الإيرانية ، وبهذا توضح المتغيرات الجيوبوليتكية في السياسة الإيرانية الداخلية التي تسهم في اعداد القوة الضاربة لدى إيران بالنسبة لسياستها الخارجية[2].

٢ - **المتغير الاقتصادي** : تتغلب نوعية العلاقات الاقتصادية بين الجانبين العربي والإيراني على مجالات التعاون السياسي والأمني ،حيث طالما شهدت العلاقات السياسية والأمنية تأزما كبيرا في اوقاتا" مختلفة عبر الحقب الزمنية خصوصا العقدين الاخيرين من القرن العشرين والمتمثل في الحرب العراقية - الايرانية ، لكن الملاحظ بشكل جلي إن إيران تطبق نظرية اقتصادية خاصة بنهج الثورة الاسلامية الإيرانية، وبهذا يرى الباحثون إن نهج إيران في المرحلة الأولى من عهد الثورة هو تطبيق النظرية الاقتصادية والتي تكون مبنية على توجهات فكرية تخضع لمفاهيم تعبر عن توجهات عامة، تسعى الى تحرير الروابط العضوية والاقتصادية، وهذا

---

[1] بوزي يحي العلاقات العربية الإيرانية بعد عام ١٩٧٩ : قراءة في الخلفيات [2] حسام سويلم، مختارات إيرانية، لتقيم الأمريكي للقوة العسكرية الإيرانية، الأيدلوجية، جامعة سيدي بلعباس، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر جريدة الأهرام الالكترونية ، ورد على موقع التالي : http:llwww.alahram.net ،ص١٢٣.

بدوره سيجعل العلاقة بين الجانبين متطورة وفعالة ،بدلا" من حالة عدم الثقة والتشكيك التي كانت سائدة سابقا"،خاصة بعد قيام ايران بتطوير مشروعها النووي وتمسكها به كمصدر للقوة التي تعزز الامن الوطني والقومي والاقليمي وبالتالي ، يعزز ويحمي الاستقلال الاقتصادي الذي يشكل عاملا مهما في سياسة ايران الخارجية تجاه العراق[1].

2- المتغير العسكري : مما لا شك فيه أن العدوان والغزو الامريكي على العراق،شكل فرصة ذهبية لإيران للتخلص من منافس إقليمي قوي ،أنهك قوتها العسكرية وحجم دورها الإقليمي، فهي تجني ثمار هدف تحطيم القوة الدكتاتورية التي أرادت فرض نفسها بفعل عسكري متفوق القدرة ،لكن بنفس الوقت جعلها على تماس مع القوة العظمى يمكن أن تشكل خطرا" عليها اكثر من العراق ،بحكم الفارق في ميزان القوى وطبيعة الطموحات السياسية[2].

لذلك كان لابد لايران من نشر افكار وطموحات الثورة الاسلامية ،الامر الذي جعل ذلك هدفا" وسيلة في أن واحد بغية تعزيز النفوذ الإيراني وحماية الامن القومي الذي يعد هدفا" مشروعا" في سياسات كل دول العالم وانظمتها السياسية،وبالتالي فقد وجدت ايران،بعد التخلص من نظام صدام، الأرض الخصبة لزيادة القدرات العسكرية لها والنهوض بالمؤسسات العسكرية التي لا زالت تحافظ على مستواها وتزيد من قوتها لأجل الدفاع عن نفسها في مواجهة الأخطار المحدقة بها ، والملاحظ للسياسة الداخلية الإيرانية يجد أن القوات العسكرية أكثر ثباتاً، الامرالذي يؤكد أن المتغير العسكري في السياسة الداخلية الإيرانية كان ولا يزال عاملا" مؤثرا" لا يستهان به تجاه العراق وبقية الدول التي تحيط بإيران[3].

ثانياً: العوامل الإقليمية:

تعد إيران غزو واحتلال العراق خطرا" استراتيجيا" ليس لذاته فقط وإنما لأنه تم في ظل إدارة أمريكية يمثل التوجه الغالب لسياستها ،توجها" معاديا" يشكل مطلق لايران بصفتها دولة إسلامية ،وغير موالية للولايات المتحدة الامريكية، و معادية إسرائيل. وهي اعتبارات متداخلة وتكمل بعضها البعض، وتنطلق إيران في تعاطيها مع عملية غزو و احتلال العراق من هذا التصور المبدئي الذي لم يتعارض مع استفادتها الإستراتيجية أيضاً من سقوط النظام العراقي السابق ،وانتقال العراق الى مرحلة جديدة يكون فيها للشيعة فيها دور محوريا، بالتالي يشكل هذا الامر حضورا" قوياً مؤثرا" لإيران.

أن إيران وكما ذكرنا سابقا عملت مع بدأ عمليات غزو واحتلال العراق وفي المدة القليلة اللاحقة له ،على القيام بخطوات ايجابية بالتنسيق مع الدول العربية وخاصة المجاورة للعراق، من اجل تحديد المواقف من الحرب الأمريكية على العراق ،وكل هذه الخطوات تشير إلى عدم رغبتها بالتعاون مع الولايات

---

[1] محمد حسين شذر الوحيلي، العلاقات العراقية الإيرانية بعد عام ٢٠٠٣ في المتغير السياسي والاقتصادي مركز العراق للدراسات مطبعة الساقي ، ط ١ ، ٢٠١٥م ،ص٧٨.

[2] د. غانم محمد صالح ، خليج العربي وتطورات السياسية والنظم والسياسات ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩١، ص٣٩١.

[3] د. عبد الخالق عبد الله ، التوترات في الإقليمي الخليجي، مجلة السياسة الدولية ، الصادرة عن مؤسسة الأهرام في القاهرة، عدد ١٣٢ ، ص٣٣-٧٧.

المتحدة الامريكية في العراق[1]. ألا أن الولايات المتحدة التي كانت تراقب الخطوات الايرانية عن كثب ، صعدت من اتهاماتها لإيران بسعيها لامتلاك أسلحة نووية، وكانت تدعي بأن ايران انما اتخذت تلك الخطوات الايجابية مع الدول العربية والاقليمية، من أجل التغطية على سعيها للحصول على تلك الأسلحة النووية، كما تصاعدت الاتهامات الأمريكية لإيران بالتدخل في العراق لا فشال المشروع الأمريكي فيه ،وصدرت تصريحات أمريكية تهدد إيران في حالة مواصلتها هذا التدخل. ويبدو أن إيران منذ شعورها بدخول الولايات المتحدة في تورط واسع في العراق ،بدأت بتغيير الخطاب السياسي والإعلامي المواجهه للولايات المتحدة الامريكية وبدأت بمواجهة التصعيد والخطاب الأمريكي في العراق، وعزم أمريكا التدخل غير المشروع في الشرق الأوسط وبهذا يمكن القول بأن الاحتلال الأمريكي للعراق يعد ورقة من الأوراق الرابحة التي تستخدمها إيران في مواجهة المبادرة الأمريكية[2].

الفرع الثاني/التمثيل الدبلوماسي:

افتتح العراق سفارته في طهران وعين سفيرا" له في إيران هو مُحَمَّد مجيد الشيخ، كما افتتح ثلاثة قنصليات عامة في إيران في كرمنشاه ، الأهواز ، و مشهد ، ولدى إيران سفارة في بغداد واربع قنصليات في البصرة ، والسليمانية ، واربيل، وكربلاء [3] وقد حاولت الدبلوماسية في الإيرانية تعزيز العلاقات مع العراق من خلال الأساليب التالية :

1- تعزيز الزيارات للمعالم الدينية والاقتصادية في العراق .

٢- تحجيم اي نصر حاسم للولايات المتحدة الامريكية ، قد يحسن من صورة العلاقات الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، وقد يشجع واشنطن على تكرار تجربة تغير النظام في إيران.

3- منع قيام حرب أهلية شاملة في العراق لأن مثل هذه الحرب ربما تهدد النفوذ الشيعي داخل العراق.

4- التأثير على المشهد السياسي العراقي والإبقاء هناك نوع من النفوذ الشيعي في الحكومة العراقية ،لأن ذلك سيوثق ويطور العلاقات مع إيران مع ملاحظة أن المستقبل ربما سيشهد ظهور حكومة عراقية جديدة من المؤكد انها ستحافظ على علاقتها مع الولايات المتحدة سواء بالترغيب أو[4].الترحيب مثلما حصل فيما بعد في حكومة مصطفى الكاظمي من ايار2020 م وحتى تشرين الاول 2022م.

5- أن دعم إيران للمكون للكردي وا لشيعي في حكم العراق قد يكون الدور الإيراني الابرز في المنطقة حيث واجهت المنطقة في وقت واحد تحديات لم يسبق لها مثيل مثل المتنافسات الجيوسياسية

---

[1] إسحاق يعقوب مُحَمَّد ، الموقف الإيراني من مبادرة الشرق الأوسط الكبير، العلوم السياسة ، ٢٠٠٨م)، ص ١٢٧.

[2] إسحاق يعقوب مُحَمَّد ، المصدر السابق،،ص ١٢٩ .

[3] حمزة مصطفى ، ما فشلت طهران في تحقيقه بالحرب مع العراق حققته بعد الغزو الأمريكي ، الشرق الأوسط (لندن) ، العدد (١٢٥٣)، ٢٠١٣/3/27، ص1.

[4] احمد محمود إبراهيم حمدونه ، السياسة الإيرانية تجاه العراق في ظل وأثره على العلاقات العربية - الإيرانية (رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كليةالاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣-٢٠١٠ : دراسة في متغيرات الجيوسياسية ، رسالة ماجستير في دراسات الشرق الأوسط، غزة ، فلسطين كلية الآداب والعلوم السياسية ، جامعة الأزهر ، ٢٠١٢، ص ٧٣ – ٧٦.

والعرقية والتطرف المذهبي، والحرب الأهلية والدينية، واحتمال التفكك الإقليمي، وانتشار عدم الاستقرار وتزعزع الأمن في جميع أنحاء المنطقة بشكل عام ، علاوة على ذلك كان استمرار التوتر المحيط بمسألة الفدرالية العراقية يشكل قلقا" شديدا" بالنسبة الأمن القومي الإيراني.

٦- وبسبب الدور الذي تلعبه إيران في مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، فإنها تسعى للحيلولة دون خلق معضلة أمنية جديدة في علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولهذا الغرض فقد طبقت إيران كل الخطوات الواقعية والأيديولوجية من اجل تنظيم سياستها نحو العراق، وكذلك محاولة معالجة التهديد الذي يشكله وجود قوات الاحتلال الأمريكي في العراق ، وكل ذلك يشير الى مدى التأثير الكبير للانقسامات الطائفية، والمدنية، والأيديولوجية العراقية على الأمن القومي الإيراني[1].

المطلب الثاني/ العلاقات الاقتصادية:

تحتل العلاقات الاقتصادية أهمية كبيرة في حياة المجتمعات كونها مقصدا" لالتقاء الشعوب لتحقيق التنمية في بلدانها، وقد اقترن النمو الاقتصادي وتمثل بعملية ربط الاقتصاد مع اقتصاديات البلدان الأخرى من خلال التبادل التجاري، وعلى هذا الأساس انطلق العراق الى إرساء أسس التعاون اقتصادي مع دول الجوار، منطلقا" منها الى فضاء اقتصادي عالمي أكثر رحابة، وخاصة أن العراق قد ورث بعد عام ٢٠٠٣ وضعا"اقتصاديا صعبا يعاني من المديونية، وواقعا" اقتصاديا" غير متوازن ،وجميع القطاعات الاقتصادية تعاني حالة من الضعف و انخفاض كفاءة الأداء[2].وينقسم هذا المطلب الى فرعين :

الفرع الأول/التبادل التجاري:

أن تطور العلاقات العراقية - الإيرانية بعد عام ٢٠٠٣م، يكمن في رغبة الطرفين في بناء علاقات أكثر تطورا" وتقدما" ، لذا نجد التعاون تعدد قطاعات التعاون بين البلدين من تبادل السلع والخدمات مروراً بالسياحة والتعاون في مجال الطاقة الكهربائية . حيث يستورد العراق سنوياً من إيران (٨٠٠) ميكاواط من الطاقة الكهربائية مقابل نصف مليار سنوياً حتى عام ٢٠١٣ .. أما على الصعيد السياحي في هناك مالا يقل عن (٢) مليون زائر سنوياً يتنقلان بين العراق إيران ، فضلاً عن حجم التبادل التجاري بلغ عام ٢٠٠٩ (٧) مليار دولار، وقال الامين العام لغرفة التجارة الايرانية العراقية سنجاري، أن حجم صادرات إيران الى العراق في عام ٢٠١٢م بلغ ١١.٩٧ مليار دولار حيث شملت الصادرات أنواع أسلع والخدمات الفنية والهندسية . وأشار الى ارتفاع حجم التبادل التجاري في عام ٢١٣م الى ١٢.٥ مليار دولار حيث احتلت صادرات السلع أكثر من ٦ مليارات ونصف مليار دولار

ومن جانب أخر قال مساعد الرئيس الإيراني في الشؤون الدولية أنه سيبلغ السابع من تموز ٢٠١٣ حجم التبادل التجاري مع العراق (٤) مليار

---

[1] مُحَمَّد حسين شذر الوحيلي، العلاقات العراقية الإيرانية بعد عام ٢٠٠٣ في المتغير السياسي والاقتصادي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠١٥ ، ص ٦٦.

[2] ، المصدر نفسه ، ص ١٣٥.

دولار[1]..وأعلنت غرفة التجارة الإيرانية العراقية المشتركة عن وصول حجم التبادل التجاري بين البلدين الى (٦ مليار و ٢٠٠ مليون دولار) خلال الأشهر الأخيرة من سنة ٢٠١٣م، في حين بينت أن حجم الصادرات الى العراق بلغ (٦٠) مليون دولار ،وأكدت الغرفة أن (٦٠%) من الصادرات الإيرانية نقلت عبر إقليم كردستان كما صرح الامين العام الغرفة التجارة سنجاري لاحقاً، أن (3,6) مليار دولار من الصادرات الإيرانية للعراق تتعلق بضائع وسلع غير نفطية. وتطرق الأمين العام لغرفة التجارة الإيرانية العراقية المشتركة الى أن إيران صدرت طاقة كهربائية للعراق بقيمة (٤٠٠) مليون دولار خلال الأشهر الست الأولى من سنة ٢٠١٣م[2]. على سبيل المثال لا الحصر.ويستورد العراق من الطاقة الكهربائية من إيران بواقع (٤٠٠)ميكاواط عبر ثلاثة خطوط هي كرمنشاه - وديالى ، وخط سربيل زهاب - خانقين ، وخط عبادان البصرة ، وتغذي هذه الخطوط من المحافظات الايرانية عبر خطوط الكهرباء الضغط العالي ، فضلاً عن(١٠٠) ميكاواط من تركيا وسوريا ،و توقع أمين غرفة التجارة المشتركة بين العراق وإيران، أن يصل الميزان التجاري بين البلدين في العام القادمين ٢٠١٤م-2015م ،الى اكثر من (20) مليار[3].

الفرع الثاني:القدرات الاقتصادية للعراق وإيران

سوف نتناول في هذا الفرع القدرات الاقتصادية للعراق وإيران مركزين على أهم مورد اقتصادي لهما وهو النفط لاسيما وان الدولتين من الدول المصدرة له.

أولاً - القدرات الاقتصادية لإيران :أن القدرات الاقتصادية لايران، قد تطورت وخاصة بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية، فقد اهتمت بالتصنيع المحلي وتحقيق الاكتفاء الذاتي ، كما اهتمت تعزيز توجهاتها الاقتصادية الرامية الى عدم الاعتماد على النفط كعامل وحيد للاقتصاد . وتجسيد قدرات إيران في الميدان الاقتصادي العام ٢٠١٤م وخاصة في مؤشرات النتاج المحلي لأجمالي ومعدل التضخم والميزان التجاري . كما عانت إيران من شدة تأثير المقاطعة الاقتصادية الغربية لها، بسب البرنامج النووي الايراني والشكوك التي ثارت حوله وخاصة مع التهديد بمقاطعة النفط الإيراني ،ومنع البنك المركزي الإيراني من التحويلات، مما أدى الى انخفاض في سعر العملة الإيرانية بنسبة(٦٠ %)علما أن إيران هي ثالث منتج للنفط في العالم بواقع(٤,١)مليون برميل يومياً ، كما تشكل التعاملات مع عائدات النفط (٨٠%)من دخل إيران[4].وأكد مساعد منظمة التنمية الايراني محمد مهدي ،لوكالة الأنباء الإيرانية الرسمية، أن حجم التجارة

---

[1] حجم التبادل التجاري بين العراق وإيران سيرتفع الى ١٤ مليار دولار ، موسوعة الاقتصاد ، ٧/٧/٢١٠٧ ، ورد على الموقع التالي: www.al_offak.com/main/avtidws.aspx?artils_no=.

[2] محمد حسين شذر الوحيلي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٨.

[3] ميزان التبادل التجاري بين العراق وإيران يصل الى ١٥ مليار دولار، موسوعة العراق ، ٢٤/١١/٢٠١٣ ، ورد على الموقع التالي :www.facaraq.com/inews.php?id

[4] حسام سويلم ، المواجهة القائمة والمحتملة بين إيران ودول الخليج ، مركز العربي للبحوث والدراسات ، ٢٩/١٢/٢٠١٣ ، متاح على الموقع التالي: http://www.acrseg.org/list/37/studies

الخارجية غير النفطية في إيران تخطى(٦٢ مليار) و(٨٠٠ مليون) في عام ٢٠١٤م . وتابع المسؤول الإيراني أن (أسواق العراق ، والإمارات ، وأفغانستان ، والصين) تشكل أهم واجهات التصدير الإيراني ،كما تستعيد إيران تدريجياً(٤.٢) مليار دولار من إيراداتها النفطية المجمدة بالخارج الى جانب تخفيف عقوبات أخرى ،ومن المقرر تحويل هذه الأموال على ثمان دفعات. وأشار مساعد الرئيس الإيراني في الشؤون الدولية الى المشاريع الاقتصادية المشتركة بين إيران والعراق قائلاً (أن حجم التبادل التجاري بين البلدين قد تجاوز ١٣ مليون دولار). كما تمتلك إيران الكثير من الثروات الطبيعية المتنوعة وخاصة الثروة النفطية والغازية . إذ تطل إيران على بحر قزوين الذي يشتمل على ٦٠٠ ألف مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي و ٢٠٠ مليار برميل بترول وقد تحولت إيران أيضاً لتصبح أحدى الدول الرائدة الكبرى)[1].

كما أن إيران لديها من الموارد الاقتصادية الكبيرة المتنوعة عدا النفط كالغاز الطبيعي وخام الحديد والرصاص والنحاس ، والكبريت، وبالتالي فأن إيران تجد الكثير من مصادر قوة التعبير عن نفسها من خلال تلك الموارد ،فهناك القدرة المالية العالية بوصفها عاملاً اقتصادياً قوياً ، ليس ذلك فحسب فإيران تقع فوق احتياطات نفطية ضخمة ، ناهيك عن ارتفاع أسعار النفط الهائلة ، رغم عودة انخفاضها . وهو امر يتيح الإيران أمكانية توظيف تلك العائدات والإمكانيات الاقتصادية الضخمة البناء قوة عسكرية جبارة[2].

وكما أن للعامل الاقتصادي دوره في تعزيز العلاقات العراقية الايرانية ، كان العامل الديني مكانه ايضا فقد كان الأمل يحدو الحكومة الشيعية في إيران في ان يكون لها دورا مهما في تسهيل زيارة العتبات المقدسة في الموجودة العراق مثل النجف ، وكربلاء التي كانت مقصداً للزوار الايرانيين الشيعة الذين وصل عددهم الى عشرات الألف سنوياً[3].

ثانياً - القدرات الاقتصادية للعراق : يوجد في العراق أكبر احتياط نفطي بالعالم، إذ يأتي في المرتبة الثانية بعد السعودية من حيث الاحتياطات النفطية البالغة(١١٢)مليار برميل اي ما يعادل(١١٪)من أجمالي الاحتياط العالمي، كما أن تكاليف استخراجه هي اقل تكاليف أنتاج في العالم، وأعلن وزير النفط العراقي الاسبق حسين الشهرستاني في ٤/ ١٠ / ٢٠١٠م، ان احتياطي العراق من النفط الخام الثابت القابل للاستخراج قد وصل الى (١٤٣٠١) مليار برميل، فضلا عن مخزون النفط الأصلي من خلال عملية المسح الزلزالي الثلاثي الأبعاد، وقد أجرت وزارة النفط العراقية بالتعاون مع شركات نفطية عالمية مختصة بتحديث بيانات الاحتياط النفطي في العراق عدا محافظات إقليم كردستان، إذ أن إقليم كردستان العراق يمتلك

---

[1] احمد عنة حاشوش الزبيدي، التوازن الإستراتيجي بين الدول مجلس مركز العراق للدراسات ، مطبعة الصنوبر ، ط1، ٢٠١٠، ص ١٣٣.

[2] د. علي أبوا لخير ، الثورة الإسلامية الإيرانية من الثورة الى إلى الدولة ، التعاون الخليجي والعراق وإيران ، رسالة ماجستير ، معهد العلمين للدراسات العليا قسم الدراسات الدولية ، العراق ، النجف ، ٢٠١٦ ، ص54-55.

[3] منصور حسن العتيبي،السياسة الإيرانية تجاه دول مجلس التعاون الخليجي،مركز الخليج للأبحاث ، الإمارات ، ٢٠٠٨ ، ص ٥٩.

احتياطات من النفط الخام الثابت القابل للاستخراج تبلغ نحو (٤٥) مليار برميل[1].

كما شكلت إيرادات النفط الخام أكثر من (١٠٠٪) من دخل العراق بعد الاحتلال ،خاصة بعد التدهور الكبير الذي أصاب مفاصل الاقتصاد العراقي، جراء السياسات الخاطئة للنظام السابق، وانهيار البنى التحتية ،وتدمير غالبية الشركات الصناعية ،والتدهور الزراعي ،الأمر الذي جعل من النفط المصدر الوحيد الذي تستند عليه الموازنة العامة للبلاد، كما أن اعتماد اقتصاد العراق على الموارد النفطية في تنمية جميع المجالات ،يعد مؤشر ضعف يؤدي الى ارتباط مجمل عمليات التنمية بوضعية أسعارها وإنتاجها وتصديرها المتذبذب، مما يجعل العراق في أزمات مالية واقتصادية واجتماعية وهو الأمر الذي حصل ابتداءا" منذ منتصف عام ٢٠١٤[2].

أما بعد ٢٠٠٣ فقد كانت نسبة الإيرادات النفطية العامة (٢٠٠٣ - ٢٠١٢) قد وصلت الى (٨٩.١٨٪) ، الامر يدل على أن الإيرادات النفطية تكاد تكون المصدر الوحيد لإيرادات العراق ، فيما صار واضحا أن حجم النفقات العامة أخذت بالزيادة أثناء المدة المحصورة (٢٠٠٣ - ٢٠١٢) ، اذ بلغ في عام ٢٠٠٧ (٣١٠٢٤.٧٤) مليون دولار ثم وصل الارتفاع حتى بلغ (٥٥٩٢٤٠٥٢) مليون دولار ،وهذا يعني اعتماد العراق على الإيرادات النفطية اللازمة للتمويل يظهر بوضوح ان القطاع النفطي هو المهيمن على مجمل القطاعات السلعية بنسبة (٩٠٪) ومن مجمل عائدته النقدية يشكل نسبة (٧٤%) من الناتج المحلي الإجمالي ،ومن الناحية النقدية فان العراق يعاني من التضخم المستورد الناتج عن سياسة فتح الحدود التي ثبتتها سلطات الاحتلال والتي أدت الى سياسة الإغراق[3].

كما يمتلك العراق ١١% من احتياط العالم للنفط إضافة لذلك انخفاض كلفة انتاج النفط العراقي وسهولة استخراجه الذي يحقق للشركات أرباح طائلة حيث يمتاز النفط العراقي بوجود جميع حقوله في اليابسة وهي غير عميقة لذلك فإن تكاليف انتاجه الأقل في العالم إذ تبلغ كلفة الاستكشاف بحدود (٢٦) سنتا أمريكيا للبرميل كمعدل للعمليات الجارية في العراق أما كلف التطوير فتشمل كلف لأبار ومنشأة التوزيع التي تقدر بـ(دولار أميركي) تقريباً للبرميل الواحد من النفط في حين تبلغ كلفة انتاج البرميل في بحر الشمال بعشرة دولارات تقريبا وفي بحر قزوين قد تصل الكلفة الى (١٧) دولار للبرميل الواحد.كذلك قدرة القطاع النفطي العراقي بعد اعادة تأهيل قدراته التطويرية على إشباع الاحتياجات النفطية العالمية في الظروف الاعتيادية والاستثنائية.

وفي هذا السياق أكد وزير النفط العراقي الاسبق حسين الشهرستاني، بمناسبة مرور (٥٠) عام على

---

[1] جريدة الشرق الأوسط ، العدد (١١٦٣٤) ، تاريخ : ٥ أكتوبر / ٢٠١٠ بالمربع النفطي ، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية ، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة واسط ، العدد (٢٨) ، الجزء الأول ، كانون الأول / ٢٠١٧ ، ص9-10.
متاح على الرابط التالي : http://www.aawsat.com.

[2] احمد عنه حاشوش الزبيدي، مصدر سبق ذكره ، ص42-43.

[3] أنور مزهر حمد الله - آليات اصلاح الاقتصاد العراقي وجدلية ارتباطه

تأسيس منظمة أوبك : "**أن العراق لديه الاستعدادات الكاملة لتلبية الطلب العالمي المتزايد من النفط الخام من خلال ضخ أكثر من 10 ملايين برميل نفط يشكل يوميا ولعشرات السنين القادمة وذلك بعد أن عرض حقوله النفطية للتطوير من الشركات العالمية** ".ولا شك في أن هذا التصريح له دلالاته الاقتصادية الكبيرة خاصة فيما اذا توفرت عناصر الأمن والاستقرار ،وتم تحديث المنشاة النفطية ولكن في نفس الوقت توجد انعكاسات سلبية في حالة انخفاض أسعار النفط[1].

المبحث الثاني
العلاقات الأمنية والعسكرية

لقد تميز الواقع العراقي خلال السنوات السابقة التي اعقبت سقوط نظام صدام، بالفوضى وعدم الاستقرار الداخلي ،جراء حل مؤسسات الدولة من الحاكم المدني في العراق الأمريكي بول بريمر، والذي نجم عنه انعدام وانتشار الإفساد المالي والإداري والسياسي.

المطلب الأول:العلاقات الأمنية: تعززت علاقة إيران بالعراق في ضل الحكومة الجديدة التي غلب عليها التمثيل الشيعي وبادرت إيران الى الاعتراف بها في العام التالي من السقوط نظام حكم صدام حسين استأنفت ايران والعراق علاقتهما الدبلوماسية وقفزت بينهما الى مستوى متقدم في ضل حكومة إبراهيم الجعفري.

وينقسم هذا المطلب الى فرعين:

الفرع الأول:رفض استفتاء كردستان:

تعريف الاستفتاء: يعرف الاستفتاء على انه (أخذ رأي الشعب السياسي في الدولة ككل أو في بعض وحداتها بالموافقة او الرفض بشأن موضوع دستوري او قانوني او سياسي عام)[2].

خصائص استفتاء كردستان:

1- إن هذا الاستفتاء ليس (دستوريا) لأنه لا يتعلق بدستور، وليس (تشريعيا) لأنه لا يتعلق بقانون.

2- إن موضوع هذا الاستفتاء ليس في ميدان الشؤون الداخلية، إذ أنه لا يخص اختيار شكل نظام الحكم في الدولة، وليس هو وسيلة لتحكيم الشعب في الخلافات القائمة بين سلطات الإقليم والحكومة الاتحادية.

3- إن موضوع هذا الاستفتاء يدخل في ميدان الشؤون الدولية، لأنه يتضمن أخذ رأي الشعب في تقرير مصيره.

وهكذا فإن هذا الاستفتاء (سياسياً) لأنه يتعلق بموضوع سياسي مهم جدا، هو أخذ رأي شعب إقليم كردستان في مسألة (تقرير مصير الإقليم من خلال الانفصال والاستقلال وإقامة دولة)[3].

---

[1] احمد عنه حاشوش الزبيدي، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣-٤٤.

[2] د. علي هادي حميدي الشكراوي، استفتاء إقليم كردستان في ضوء القانون الدولي وتأثيره السياسي ، شبكة النبأ المعلوماتية ، ٢٧ / أيلول / ٢٠١٧ ، ورد على الموقع التالي : /https://annabaa.org/arabic/authorsarticles

[3] المصدر نفسه.

وقبل نجاح الثورة الإيرانية حاول شاه إيران مُحَمَّد رضا بهلوي، استغلال القومية الإيرانية لتوحيد البلاد التي كان احساس التوجه القومي فيها يطغى على القوميات المختلفة في كل المنطقة، و واجه الشاه مشاكل عديدة مع القوميات المختلفة وخاصة الكردية والعربية ، كانت سياسة الشاه تقضي بالتفرقة بين الأكراد انفسهم ، فأحدث صراعات داخلية بين الأكراد، ودعم مجموعات منهم ضد مجموعات أخرى، ليستطيع من خلالها السيطرة عليهم.

واستغل احياناً أكراد منطقة كردستان العراق، الذين كانوا على وفاق مع إيران ،ضد الحكومة المركزية ببلادهم، واجج الصراع الكردي - العربي مقابل محاولات العراق التأثير على العرب في إيران[1].

ورغم أن بعض الأكراد وخاصة المنتمين إلى الأحزاب الشيوعية واليسارية ،حاولوا أثارت الشغب والانفصال عن إيران مستغلين الظروف الجديدة للثورة الاسلامية في ايران،والحرب العراقية الإيرانية، لكن إيران استطاعت الاطاحة بهؤلاء وتشتيتهم بالقوة تارة وبالمفاوضات تارة ، وقد استمرت علاقة الأكراد بإيران كما كانت قبل الثورة ،واستغلتها إيران لتجعل القضية الكردية جرحا نازفاً باستمرار في ظهر العراق على عهد صدام حسين ، وحسنت علاقتها بأكراد إيران، كما أن ظروف أكراد إيران كانت أفضل بكثير من ظروف أكراد باقي الدول الذين واجهت أحيانا مشكلة عدم أعطائهم الهوية والتميز القومي باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية ، حيث يتركز الأكراد الايرانيين في محافظات كرمانشاه ، وكردستان ، واذربيجان[2].

وقد أدت سياسة التركز الإداري في البلاد ،والمشاكل التي تعاني منها المناطق الحدودية وخاصة تلك التي دمرتها الحرب العراقية الإيرانية ،الى وجود نوع من الحرمان في معظم المحافظات الحدودية ذات الوجود الكردي مثل كرمانشاه وكردستان ، وقاد هذا الأمر الى هجرة العديد من أبناء هذه المحافظات الى مناطق أخرى من البلاد أو الى إقليم كردستان العراق، وادى ذلك الى الامتزاج الفكري والسياسي بين قسم من الأكراد إيران وأكراد العراق.

وقد تحول الحصار الاقتصادي الذي فرض على إيران ، الى فرصة بالنسبة للأكراد ،حيث أن التبادل التجاري بين إقليم كردستان العراق وإيران، بلغ سبعة مليارات دولار بشكل رسمي، وما يعادل هذا المبلغ ، من غير تهريب البضائع بين الجانبين، واستغلت إيران منفذ إقليم كردستان العراق، للتقليل من العقوبات الاقتصادية . وفي ظل هذه الظروف، تطورت العلاقات الإيرانية مع إقليم كردستان العراق، بشكل ملحوظ فأصبحت ممتازة جداً في معظم جوانبها الاقتصادية والسياسية والعسكرية وقامت طهران بتقديم دعم لوجيستي عسكري وتدريب مكثف لقوات البيشمركة الكردية لمواجهة تنظيم داعش بعد أن احتل الموصل في حزيران عام 2014م، حسبما صرح بها الزعيم الكردي مسعود البارزاني في عدة مقابلات ، وخلال السنوات الممتدة بين عامي2015-2016 ، بدأ التوتر يسود علاقات ايران بقيادة كردستان العراق بسبب

[1] مُحَمَّد علي، إيران والعلاقات الدولية ، الامارات ، أبو ظبي ، ٢٠١٠ ، ص٣٢.

[2] المصدر نفسه، ص ٣٤.

التحركات الانفصاليين من معارضين الأكراد بهذه المنطقة ، وقيامهم بعدة هجمات في المناطق ومدن حدودية، وقد اتهمت إيران السعودية بتمويل هذه المجموعات[1].

أما التهديدات التى تواجه إيران من الاستفتاء واستقلال كردستان العراق، رغم أن الأكراد يعتبرون قومية إيرانية أصلية ، وأن الإيرانين متأكدون من أن أكراد بلدهم يقفون في أخر الصف للمطالبة بالانفصال ، مقارنة بأكراد سوريا فإن موضوع انفصال كردستان العراق ،يمكن ان يحرك بعض الانفصاليين لأكراد في داخل إيران، ويثير مشاكل تهدد استقرارها، خاصة أن لأكرادها منتشرين في كل البلاد، كما أن هناك قوميات أخرى قد تتأثر باستقلال كردستان فتطالب بالانفصال وتهدد وحدة الأراضي الإيرانية[2].

ويضاف إلى ذلك تخوف ايران من خطر النفوذ الإسرائيلي والسعودي في كردستان، الذي أضحى حسب قولها أحد أهم الأخطار التي تواجه الأمن القومي الإيراني، حيث أن إيران واجهت عدة حملات وصفتها بالإرهابية، وأكدت أنها كانت جميعها منطقة من كردستان العراق على هذا أساس ، فأن تخوف إيران من استقلال كردستان العراق يعقد الى خشيتها من تحول هذه المنطقة إلى بؤرة نفوذ أقوى لأعدائها ، مما سيشكل تهديداً مباشراً لأمنها القومي يضاف إلى المشاريع أمريكية-الا سرائيلية، لتجزئة المنطقة إلى دويلات متصارعة ، وهو ما سيؤمن الاستقرار لاسرائيل ، ويمكن أن نشير هنا إلى ما يعرف بخطة برنارد لويس أو خطة (صدور الدم) (3)، التي نشرتها مجلة "ذا أتلانتيك الأمريكية " وهناك تخوف كبير من أن مشروع تأسيس كردستان العراق سيشكل الأرضية لتطبيق الخطة الأمريكية لتجزئة المنطقة إلى دويلات متصارعة[3].

استفتاء إقليم كردستان وحق تقرير المصير في القانون الدولي :

لعب مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير، دورا هاما في تاريخ النظام الدولي وما يزال، إذ نشأت الكثير من دول العالم على أساسه في فترات تاريخية متعاقبة. ويرى فقهاء القانون الدولي أن هنالك مظهرين في تطبيق حق تقرير المصير، الأول على المستوى الداخلي والثاني على المستوى الدولي، إذ أن مظهر حق تقرير المصير على المستوى الداخلي هو حق الشعب في اختيار مؤسساته الوطنية بحرية، وشكل الحكم الذي يرغب به. وهذا الحق بهذه الرؤية يشمل القوميات والأقليات ذات الأعداد الكبيرة ضمن إطار الدولة. أما مظهر حق تقرير المصير على المستوى

---

(1) د. إبراهيم الداقوقي ، أكراد تركيا ، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت ،٢٠١٥ ، ص ٢٣٤.

(2) صحيفة الحياة اللندنية، أكراد تركيا بين الحلم المندثر والصحوة الثائرة " أسبوعية روداو الكردية الصادرة في كردستان ، الثلاثاء ٣ يناير ٢٠١٧.

(3) بدأ المؤرخ الصهيوني المتأمرك "برنارد لويس" بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية جميعًا كلا على حدة، ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي.. إلخ، وتفتيت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، وقد أرفق بمشروعه المفصل مجموعة من الخرائط المرسومة تحت إشرافه تشمل جميع الدول العربية والإسلامية المرشحة للتفتيت، للمزيد ينظر:شبكة المعلومات الدولية.(الانترنت). الموقع. https://www.ikhwanonline.com/article/77565

(3) مُحَمَّد أمين زكي بيك ، خلاصة تاريخ الكرد كردستان من أقدم العصور التاريخية، ترجمة: مُحَمَّد علي عوني ، شركة نوابغ الفكر ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٣ – ٢٥.

الدولي فيتمثل في حصول الشعوب على استقلالها، وفي تمتعها في حقوق السيادة على إقليمها، وعلى مواردها الطبيعية وفي تحديد مركزها السياسي والاقتصادي على النظام الدولي. وهذا الحق بهذه الرؤية يشمل الشعوب التي هي واقعة تحت سيطرة الاستعمار الخارجي، مثل ما حدث في إفريقيا آسيا والكاريبي[1].

ويتضمن حق تقرير المصير للشعوب من الناحية العملية عدة تطبيقات وهي:

1- اختيار نوع النظام السياسي وشكل الحكم المناسب لها ضمن إطار الدولة.

٢- التمتع بإقامة حكم ذاتي.

3- التحرر من الاستعمار الأجنبي وتحقيق الاستقلال.

4- ان الحاق أي جزء من دولة وضمه بإقليم دولة أخرى لابد وان يتم من خلال استفتاء شعبه.

وعلى أساس ذلك، تم الإقرار لتلك الأقليات القومية في أن تتمتع بحقها في تقرير مصيرها داخل الدولة بالصيغ التي تلائمها. وهذه النتيجة تم اعتمادها في العراق، إذ اختار الكرد النظام الاتحادي تعبيرا عن حقهم في تقرير مصيرهم بعد التغيير في عام، ٢٠٠٣، من خلال إعلان الاتحاد الفيدرالي الذي أصدروه عام ٢٠٠٣ أن إقليم كردستان العراق باستفتاء الانفصال، قد خالف وثائقه القانونية الداخلية كإعلان الاتحاد الفيدرالي[2].

الفرع الثاني/ دعم الفصائل المسلحة

تظهر خريطة الأحزاب العراقية دور الذي لعبه إيران في تشكيل هويتها وأيديولوجيتها وتمويلها، وكيف تحول هذا الأحزاب رأس حربة في تنفيذ مشروعها ضد النظام العراقي السابق، فالقارئ لأهداف حزب الدعوة يرى أنها لا تختلف في مجموعها عن أهداف الثورة الإسلامية ،ولهذا السبب تشير مكانة الحزب في السياسة العراقية رغم صغر حجمه، منذ احتلال العراق عام 2003م، وحتى اليوم الى تولي ثلاثة من قادته منصب رئيس الوزراء وهم على التوالي إبراهيم الجعفري و نوري المالكي وحيدر العبادي . كذلك الدور الذي لعبه المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (أصبح المجلس الإسلامي الأعلى).

ومعظم الجماعات السياسية التي ولدت في حضن إيران أو بعد الغزو تدين لايران بالدعم والمؤازرة في فترة النضال ضد الحكم الدكتاتوري الصدامي في العراق ، ولم تكتفي إيران بالاهتمام بشؤون الجماعات الموالية لها وتسيير وقتها ،بل حاولت استغلال الخلافات بين الأحزاب الكردية ،وشجعت الأحزاب الشيعية التي ابتعدت عن السياسة على الدخول في اللعبة البرلمانية، ولا يعدم رغم هذا ،وجود أصوات في العراق والبنان ،لاتتفق من السياسة الايرانية في العراق وخاصة على الشيعة العرب، ففي لبنان هناك صبحي الطفيلي وفي العراق جواد الخالصي- وغيرهم من ألاصوات التي لم ترضى بضياع الهوية العربية ،ويحفل الملف الأمني بتواجد ودعم إيراني واسع لكل المؤسسات في العراق، وكان الخطر الاعظم المتمثل في بروز تنظيم الدولة (داعش) واحتلاله مناطق من شمال وغرب ووسط العراق،

[1] د. علي هادي حميدي الشكراوي ، شبكة النبأ المعلوماتية ، مصدر سبق ذكره

[2] د. علي هادي حميدي الشكراوي، شبكة النبأ المعلوماتية ، مصدر سبق ذكره.

قد وفر المبرر الموضوعي لايران للدخول بطريقة رسمية للعراق لتقديم الدعم ،ليس عبر المستشارين ،بل عن طريق قوات إيرانية وطائرات ومقاتلين بالتعاون والتنسيق مع الأكراد والحكومة العراقية والمرجعية الشيعية[1].

ومن خلال ذلك سوف نستعرض الفصائل المدعومة من إيران وهي من خلال الأتي:

1- منظمة بدر : تأسست قوات فيلق بدر في إيران عام ١٩٨١ من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية تحت قيادة مُحَمَّد باقر الحكيم ويتزعمها حالياً "هادي العامري " نائب سابق في البرلمان ووزيرسابق للنقل ،ومسؤول ملف ديالى الأمني وقائد عمليات المحافظات، ويقدر عدد مقاتليه ب (١٢) الف مقاتلاً انخرط معظمهم في مؤسسات الدولة الأمنية وزارة الداخلية والدفاع وجهاز الاستخبارات ، فمع اندلاع الحرب العراقية الإيرانية وبعد عام واحد من فقط من تأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، عهدت إيران الى مُحَمَّد باقر الحكيم الاشراف على الفيلق وساعده السنوات عدة مُحَمَّد الهاشمي احد أعضاء مجلس القضاء الإيراني، وكانت البداية بلواء نظم أليه ممن رفضوا القتال ضد الثورة الاسلامية في الحرب العراقية الإيرانية[2].

٢- عصائب أهل الحق :تعد عصائب أهل الحق أحد أكثر الفصائل الشيعية قوة ،وظهرت عام ٢٠٠٤ م،كأحد الفصائل التابعة لجيش المهدي تحت أسم (المجاميع الخاصة) وتولى قيادة المجموعة منذ تأسيسها " قيس الخزعلي " مع عبد المهدي الدراجي وأكرم الكعبي.ومع بداية عام ٢٠٠٦ كانت تعمل بشكل أكثر استقلالية عن بقية سرايا جيش المهدي حيث بدأت بالعمل بشكل مستقل تماماً بع إعلان تجميد جيش المهدي ويقدر عدد أفرادها بثلاثة ألف مقاتل عند الإعلان عن تأسيسها الرسمي عام ٢٠٠٧ في . وتنشط عصائب أهل الحق حالياً في محافظة ديالى وفي مناطق حول سامراء و صلاح الدين وعلى المشارف الغربية والجنوبية لبغداد[3].

3- حركة حزب الله النجباء :أنشق حركة حزب الله النجباء عن عصائب أهل الحق سنة ٢٠١٣ م،ويقوده أكرم الكعبي الذي كان أمين العام لعصائب أهل الحق ويقود لواء عمار بن ياسر في سوريا، ويتمز أفرادها وعددهم بضعة آلاف بتدينهم الشديد، و بولائهم للمرشد الأعلى للثورة الاسلامية في ايران اية الله العظمى السيد علي الخامنئي، وقد شاركوا بفعالية في معارك النباعي والضابطية وسامراء ، ابان سيطرة عصابات داعش الارهابية على تلك المناطق ،بسلاحهم الخفيف والمتوسط مع تغطية نارية من قبل الجيش العراقي بالأسلحة الثقيلة ،ويعرفون أنفسهم بأنهم احد فصائل المقاومة الإسلامية في العراق التي تهدف الدفاع عن الوطن والمقدسات وخصوصاً في العراق[4].

---

[1] د. علي العبيدي، تاريخ الصراع العراقي - الإيراني الطائفية غطاء المشروع الإيراني - العراق أنموذجا ، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، ٢٠١٦ ، ص ١٣.

[2] مجدي، فتحية قوات فيلق بدر بملابسها السوداء، موقع مأرب برس، ورد زلغوط، حسن فصائل الحشد الشعبي الشيعية العراقية: من هي؟ ولمن تتبع؟، موقع رصيف ٢٢ : على الموقع التالي : http://marebpress.net/articles.php?id=

[3] تقرير: أبرز الفصائل المسلحة في العراق ، الجزيرة نت، ودر على الموقع التالي http://www.aljazeera.net/news.

[4] زلغوط، حسن فصائل الحشد الشعبي الشيعية العراقية: من هي؟ ولمن تتبع؟، موقع رصيف ٢٢ :

المطلب الثاني/العلاقات العسكرية

ما تزال واشنطن وإيران تتنافسان على النفوذ في العراق بالرغم من انسحاب القوات الأمريكية، اذ ان أكثر ما تخشاه إيران هو أن نشؤ الدولة الإسلامية في العراق، قد يشكل فرصة للقوات الأمريكية للعودة الى العراق والحلول محل الإيرانيين.

وينقسم هذا المطلب الى فرعين وهما .

الفرع الأول/محاربة داعش

شكل نشؤ تنظيم داعش تهديدا"كبيرا" للجمهورية الإسلامية الإيرانية وفرصة لها في آن واحد ، فقد عرفت داعش بعداوتها الضارية للشيعة ،ربما أكثر من اي مجموعة اخرى معادية، فالحكومة الإيرانية التي هي نصير الشيعة الأول في العالم ،امام صعود الحركات الجهادية السنية في الشرق الأوسط تشكل احد أبرز أعداء داعش.

أن غزو داعش لثلث مساحة العراق تقريباً عزز قدرتها على تهديد بغداد كتهديد مباشر للمصالح الإيرانية ، غير أن الحكومة المركزية في بغداد التي تخضع لسيطرة الاغلبية الشيعية المنحازة لطهران، إن لم تكن مدينة لها ،إضافة الى ذلك يقع اثنان من المقامات المقدسة الشيعية في النجف وكربلاء بالقرب من المناطق التي تسيطر عليها داعش. بالتالي ليس من الغريب أن تضطلع إيران بدور رسمي عام في قيادة الحملة ضد داعش،و في الوقت عينه ،يعطي صعود داعش لطهران فرصة ظهار أهميتها ونفوذها في الشرق الأوسط ، فالحملة التي أطلقتها إيران ضد غزو داعش للموصل ومعظم مدن محافظات الانبار، والأداء السيء الجيش العراقي، كانا كفيلين بجعل العراق الشيعي أكثر اعتماد على إيران ، وبالنظر الى النقص في الجيوش النظامية التي يمكن الوثوق بها، اعتمدت الحكومة العراقية على الفصائل ذات الصلات الوثيقة بإيران لحماية بغداد ووقف مجازر داعش[1].

دور الحشد الشعبي في إفشال إقامة شرق أوسط جديد :أصبح الحشد الشعبي القوة الضاربة في سوح القتال ضد تنظيم (داعش) الإرهابي، والذي غير مسار العمليات الحربية وموازين القوى، وحقق الانتصارات الباهرة وتحرير الأراضي المغتصبة ومسك الأرض في جميع الجبهات ومنها: أمرلي وجرف الصخر وتلعفر وبلد والدور والعلم والبغدادي وتكريت وبيجي والضلوعية وحزام بغداد وديالى والموصل والأنبار ،ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد حشدت (٤٠) دولة لمكافحة تنظيم (داعش) الإرهابي، وبميزانية تُقدر بحوالي (٥٠٠) مليار دولار أمريكي، ولمدة مفترضة أمدها (٣) سنوات، ولم تتمكن من تحقيق هذه المهمة.

ولقد حقق الحشد الشعبي الكثير من الإنجازات لعل من أهمها ما يأتي:

١- تعزيز الروح المعنوية، مما مهد لتحقيق الانتصارات.

٢- إيقاف التمدد السريع لتنظيم (داعش) الإرهابي نحو بغداد وسامراء وكربلاء.

-militias-ttps://raseef22.com/politics/2015/02/25/iraqih/ affiliation-and-identity

[1] تشارلز لستر، تحديد معالم الدولة الإسلامية، معهد بروكجنز، الدوحة ، ٢٠١٤، ص٢٠.

3- إبقاء المدن المقدسة والعاصمة بغداد خارج دائرة خطر تنظيم (داعش) الإرهابي[1].

٤ - مساعدة الدولة على استعادة زمام المبادرة على الأرض المحررة بعد تحقيق الانتصارات العسكرية.

5- تدمير قدرات تنظيم (داعش) الإرهابي العسكرية المادية والمعنوية.

٦ - إفشال مؤامرة الاقتتال الداخلي القومي أو الطائفي.

7-إفشال السيناريوهات المرسومة لتمزيق وتقسيم العراق والمحافظة على وحدته وسلامته الإقليمية.

وعلى أساس ما تقدم، نخلص إلى أن انتصارات الحشد الشعبي قد ساهمت في إعادة خريطة الشرق الأوسط السياسية، ومن ثم المحافظة على وحدة العراق خاصة والدولة القائمة عامة، إذ أن انهيار أو تقسيم أحدها سوف يؤدي إلى تقسيم بقية الدولة وذلك لتشابه خصائصها الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية[2].

ولقد جاء في شهادة وزير الخارجية الأمريكي (برت ماكرك) للجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب الأمريكي بتاريخ ٢٤/٧/٢٠١٤ ،والذي كان في اربيل يوم ٧/٦/٢٠١٤ ،حيث جاء في شهادته :ان محافظ الموصل اثيل النجيفي ،ووزير الداخلية اقليم كردستان كريم سنجاري ابلغاه قبل شن هجوم داعش بثلاثة ايام على الموصل، ان داعش ادخلت قوات كبيرة من سوريا من منفذ ربيعة، وان مدينة الموصل هي المستهدفة، فقام وزير الخارجية الأمريكي بايصال هذه المعلومة الى رئيس الوزراء انذاك نوري المالكي وطلب السماح لقوات البيشمركة الدخول الى الموصل لحمايتها من هجوم داعش، ولكن الجواب الذي جاء من نوري المالكي هو: ان هذا الأخبار مبالغ بها وان الوضع تحت السيطرة[3].

الفرع الثاني: موقف إيران من الحرب على العراق

إن ايران قد ادركت النوايا الامريكيه المختلفة تجاه العراق ومنطقة الشرق الأوسط ككل، ولذلك فأنها بدأت تدير الموقف بما يحمي المصالح الايرانية والامن القومي ،وذلك عن طريق درء المخاطر قدر الامكان، والسعي الى تعظيم المكاسب ، ولهذا سعت ايران عشية الغزو الامريكي للعراق ،الى إعلان سياستها تجاه الأزمة فيمابعد، وعرفت هذا السياسة بسياسة الحياد تجاه العراق وتقوم هذه السياسة على الأتي:

1- معارضة القيام بعمل عسكري امريكي ضد العراق، والتأكيد على المخاطر الناجمة عن الإجراءات العسكرية الأمريكية بشأن على المنطقة كلها.

٢ - يمكن ملاحظة أن أيران قد عارضت خيار الحرب الأمريكية على العراق، ليس فقط ادركاً منها بطبيعة الخطر الأمني بل اعتقادها بأن ضرب بغداد قد يكون مقدمة لضرب طهران نفسها[4].

---

[1] د. علي هادي حميدي الشكراوي، دور الحشد الشعبي في إفشال مشروع[3] عبد الرحمن البكري، داعش ومستقبل العالم بين الوضع السياسي الشرق أوسط الجديد ، شبكة النبأ المعلوماتية ، الاربعاء ٢٣ تشرين الثاني والحديث النبوي الشريف ، دار الغرباء للنشر ، ٢٠١٤ ، ص ١٠٩ . ٢٠١٧، ، وردة على الموقع التالي :[4] ممدوح الجازي، النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في /https://annabaa.org/arabic/violenceandterror السياسة الأمريكية ، الأكاديميون للقشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، ٢٠١٤

[2] المصدر نفسه، ،ص٧٩.

٣- تنشيط سياسة خارجية فعالة اتجاه دول الجوار لرد الاتهامات التي وجهت لأيران في التدخل في الشؤون الخارجية للعراق، وذلك من خلال عقد المؤتمرات والاجتماعات والزيارات المتبادلة مع دول الجوار من اجل تحقيق الاستقرار في العراق[1].

كانت تحركات إيران في ما يتعلق بالاحتلال الامريكي العراق ،كانت تنطلق عن نظرة إيرانية واسعة ومصلحة تتعلق بالامن القومي الايراني، وقد سعت إيران من دعمها لقرارات الحكومة العراقية والتطورات السياسية في عملية بناء الدولة العراقية، بدءا" من تأييد الحكومة العراقية المؤقتة والتي كان يقودها أياد علاوي والتي هي ناتج للتدابير الايرانية لبناء ذلك رغم علاقة حكومة علاوي الرئيسية مع واشنطن ونظرتها العلمانية المعروفة وكذلك عدم اخفاء مشاعرها غير الودية تجاه إيران[2].

الخاتمة

أن العلاقات العراقية - الإيرانية بعد ٢٠٠٣ لها أهمية خاصة في تفاعلات المحيط الاقليمي لان اطار تلك العلاقات لها امتدادات مع ملفات ساخنة عدة داخل المنطقة ،كتطورات الملف السوري، والدور الخليجي في العراق بعد الاحتلال الأمريكي، ناهيك أن إيران لا زالت تنظر الى العراق كمصدر جيوبولتكي تجاه آية امتدادات عسكرية أمريكية انطلاقا من العراق، خاصة ان واشنطن وطدت علاقاتها مع العراق في المجال العسكري لسنوات لاحقة فضلا عن ذلك ان اي تقارب بين العراق وإيران او ابتعاد بينهما سينعكس على المحيط الإقليمي والدولي.

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة مع البحث الموسوم بـ ((السياسية الخارجية الايراني اتجاه العراق بعد عام (٢٠٠٣)) قد **توصل البحث إلى النتائج التالية:**

1- كانت هناك أهمية جيوسياسية يتمتع بها العراق أدت إلى احتلاله من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وذلك من أجل السيطرة على ثروته النفطية وأيضا الأهمية موقعه الجغرافي الاستراتيجي، وكونه عمقا بشريا واستراتيجيا لسوريا والأردن فيما إذا تمت مواجهة مع إسرائيل..

2- تعددت مستويات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق واهمها هو المستوى الديني والمتمثل بالبعد المذهبي الشيعي كنتيجة لوجود العديد من العتبات الدينية الشيعية داخل العراق وكذلك نسبة السكان الشيعة العراقيين. لذلك شهدت العلاقة بين البلدين تطورا كبيرا منذ العام 2006 ولحد الان.

3- ادى الاحتلال الأمريكي للعراق إلى ظهور العديد من القوى والتيارات الشيعية المتنفذة في العراق والتي تعمل مع السياسة الإيرانية من خلال إيجاد دور بارز لإيران في المنطقة العربية ويضمن مصالحها في منطقة الخليج العربي ويوقف الهيمنة الامريكية.

4- كانت السياسة الخارجية العراقية تتأثر بشكل مباشر بالتحولات الإقليمية وسياسات الدول المجاورة لها وعلى رأسها ايران وسوريا والمملكة العربية السعودية.

---

[1] حميدي تنسيق سوري إيراني ، صحفة الحياة ، العدد (١٤٨٩٢) ٤١,٢٠٠٤٠، ص ٦.

[2] د. خير الدين حسيب ، العراق من الاحتلال الى التحرير، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٥٩.

5- إن التحولات الإقليمية لن تؤثر بشكل واضح على السياسة الإيرانية تجاه العراق وذلك بسبب الترابط الديني والمذهبي القوي والمصالح المشتركة بين البلدين.

6- إن تعاظم قدرات إيران العسكرية وتنامي مشروعها النووي يدعم باتجاه أن تلعب إيران دورا أكبر في العراق والمنطقة لحماية مصالحها الاستراتيجية وامنها القومي.

9- إن سياسات الحكومات الإيرانية المتعاقبة تجاه العراق ثابتة ولا تتغير بتغير القوى والأحزاب الإيرانية الحاكمة سواء كانت من الإصلاحيين أو الجمهوريين.

المصادر :

أولاً - الكتب :

١ - مصطفى علي العبيدي ، صفحات احتلال العراق ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٧.

٢- مُحَمَّد حسين العلاقات العراقية الإيرانية بعد عام ٢٠٠٣ في المتغير السياسي والاقتصادي مركز العراق للدراسات مطبعة، الساقي ، ٢٠١٥.

3- غانم مُحَمَّد صالح ، خليج العربي وتطورات السياسية والنظم والسياسات ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩١.

٤ - د. علي أبو لخير ، الثورة الإسلامية الإيرانية من الثورة الى إلى الدولة ، مركز العراق للدراسات ، مطبعة الصنوبر ، ، ٢٠١٠.

٥- بوزي ، يحيى العلاقات العربية الإيرانية بعد عام ١٩٧٩ : قراءة في الخلفيات الأيدلوجية ، جامعة سيدي بلعباس كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر .

٦ - منصور حسن العتيبي ، السياسة الإيرانية تجاه دول مجلس التعاون الخليجي، مركز الخليج للأبحاث ، الإمارات ، دبي ، ، ٢٠٠٨.

7- مُحَمَّد علي ، إيران والعلاقات الدولية ، الامارات ، أبو ظبي ، ٢٠١٠.

8- د. إبراهيم الداقوقي ، أكراد تركيا ، دار المدى للثقافة والنشر ، بيروت ، ٢٠١٥.

٩- مُحَمَّد امين زكي بيك ، خلاصة تاريخ الكرد كردستان من أقدم العصور التاريخية ، ترجمة : مُحَمَّد علي عوني ، شركة نوابغ الفكر ، القاهرة ، ٢٠٠٩.

١٠- علي العبيدي ، تاريخ الصراع العراقي - الإيراني الطائفية غطاء المشروع الإيراني - العراق أنموذجاً ، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، ٢٠١٦.

١١- عبد الرحمن البكري ، داعش ومستقبل العالم بين الوضع السياسي والحديث النبوي الشريف، دار الغرباء للنشر ، ٢٠١٤ .

١٢ - ممدوح الجازي، النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياسة الأمريكية الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ٢٠١٤.

١٣ - خير الدين حسيب، العراق من الاحتلال الى التحرير ، مركز الدراسات الوحدة العربية . بيروت، لبنان ، ٢٠٠٦.

ثانياً- الرسائل الجامعية

١ - إسحاق يعقوب مُحَمَّد ، الموقف الإيراني من مبادرة الشرق الأوسط الكبير وأثره على العلاقات العربية - الإيرانية ، (رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسة ، ٢٠٠٨م

٢ - أحمد محمود ابراهيم حمدونه، السياسية الايرانية تجاه العراق في ظل الاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣ - ٢٠١٠ دراسة في المتغيرات الجيوسياسية، رسالة ماجستير في دراسات الشرق الاوسط (غير منشورة)، غزه - فلسطين عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، كلية الآداب والعلوم السياسية جامعة الازهر ، ٢٠١٢.

3- مُحَمَّد حسين شذر الوحيلي ، العلاقات العراقية الإيرانية بعد عام ٢٠٠٣ في المتغير السياسي والاقتصادي، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ٢٠١٥.

٤- احمد عانه حاشوش الزبيدي ، التوازن الإستراتيجي بين الدول مجلس التعاون الخليجي والعراق وإيران ، رسالة ماجستير ، معهد العلمين للدراسات العليا قسم الدراسات الدولية العراق النجف ، ٢٠١٦.

ثالثاً - الصحف والمجلات

١ - صحيفة الحياة اللندنية ، أكراد تركيا بين الحلم المندثر والصحوة الثائرة "، أسبوعية روداو الكردية الصادرة في كردستان ، الثلاثاء ٣ يناير ٢٠١٧.

٢- د. عبد خالق عبد الله ، التوترات في الإقليمي الخليجي، مجلة السياسة الدولية ، الصادرة عن مؤسسة الأهرام في القاهرة ، عدد ١٣٢ .

٣- حمزة مصطفى ، ما فشلت طهران في تحقيقه بالحرب مع العراق حققته بعد الغزو الأمريكي الشرق الأوسط (لندن) ، العدد (١٢٥٣) ٢٧٠/٣/٢٠١٣.

٤- أياد عبد الكريم ، العلاقات العراقية العربية ، مجلة السياسة الدولية ، الجامعة المستنصرية، 2010.

5- أنور مزهر حمد الله - أليات اصلاح الاقتصاد العراقي وجدلية ارتباطه بالريع النفطي ، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية ، كلية الإدارة والاقتصاد ، جامعة واسط ، العدد (٢٨) ، الجزء الأول ، كانون الأول / ٢٠١٧ .

رابعاً - المواقع الالكترونية :

١ - حسام سويلم ، مختارات إيرانية ، لتقيم الأمريكي للقوة العسكرية الإيرانية ، جريدة الأهرام الالكترونية ، ورد على موقع التالي : http;llwww.alahram.net

٢ - حجم التبادل التجاري بين العراق وإيران سيرتفع الى ١٤ مليار دولار ، موسوعة الاقتصاد ، ٧/٧/٢١٠٧ ، ورد على الموقع التالي: www.al_offak.com/main/avtidws.aspx artils_no=14335؟

3- ميزان التبادل التجاري بين العراق وإيران يصل الى ١٥ مليار دولار ، موسوعة العراق ، ٢٤/١١/٢٠١٣ ، ورد على الموقع التالي : www.facaraq.com/inews.php?id=22337 0

4 - حسام سويلم ، المواجهة القائمة والمحتملة بين إيران ودول الخليج ، مركز العربي للبحوث ولدراسات ، ٢٩/١٢/٢٠١٣ ، متاح على الموقع التالي . http://www.acrseg.org/list/37/studies

٥ - جريدة الشرق الأوسط ، العدد (١١٦٣٤) ، تاريخ : ٥ أكتوبر / ٢٠١٠ ، متاح على الرابط التالي : http://www.aawsat.com

٦- د. علي هادي حميدي الشكراوي، استفتاء إقليم كردستان في ضوء القانون الدولي وتأثيره السياسي ،

شبكة النبأ المعلوماتية ، ٢٧ /أيلول / ٢٠١٧ ، ورد على الموقع التالي : https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/12631

7- مجدي، فتحي قوات فيلق بدر بملابسها السوداء، موقع مأرب برس، ورد على الموقع التالي http://marebpress.net/articles.php?id=1235 :

8- تقرير: أبرز الفصائل المسلحة في العراق، الجزيرة نت ، ودر على الموقع التالي: http://www.aljazeera.net/news.

٩- زلغوط، حسن فصائل الحشد الشعبي الشيعية العراقية من هي؟ ولمن تتبع ؟، موقع رصيف ٢٢ : https://raseef22.com/politics/2015/02/-and-identity-militias-iraqi/25affiliation/

١٠- د. علي هادي حميدي الشكراوي، دور الحشد الشعبي في إفشال مشروع الشرق أوسط الجديد ، شبكة النبأ المعلوماتية ، الاربعاء ٢٣ تشرين الثاني ٢٠١٧، ، وردة على الموقع التالي : https://annabaa.org/arabic/violenceandterror/1326l.

11- شبكة المعلومات الدولية.(الانترنت). الموقع. https://www.ikhwanonline.com/article/77565

عادات وتقاليد الدفن بجبانة الكرو الملكية

د. الأمين عثمان شعيب
جامعة دنقلا – السودان

الملخص:
أسهمت المدافن الملكية الكوشية بقدر وافر من المعلومات التي ساهمت مع صروح أخرى في مدنا بقدر وافر من المعلومات التاريخية خاصة في مجال المعمار الجنائزي لفهم ومعرفة الأحداث وسيرها في تاريخ السودان القديم، تتناول هذا البحث جبانة الكرو الكوشية الملكية والتي تعتبر أول جبانة ملكية خالصة لدفن الملوك والملكات وأسلافهم، وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأنماط ومعايير تطور الدفن الذي شهدته الجبانة إضافة إلى العادات والتقاليد الدينية الجنائزية التي كانت متبعة فيه، وعالج البحث مشكلة التحول الذي طرأ على المدافن والمغزى من ذلك، وكذا التحول من العادات والتقاليد الجنائزية المحلية لعادات وتقاليد مختلفة. واتبع البحث منهج البحث التاريخي لمعرفة الأسباب والدواعي التي جعلت من الملوك يشيدون مراقدهم بجبانة الكرو، إضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي، وخرج البحث بعدد من النتائج والتوصيات نذكر منها: إن جبانة الكرو(المؤسسة الجنائزية) وفي موقعها الحالي تقع على مقربة من معابد البركل (المؤسسة الدينية) وهذا يؤكد على ارتباطها بالمعابد التعبدية. وتوصي الدراسة بالتعمق في دراسة الأثاث الجنائزي ومحتوياته ومكوناته للوقوف على الحالة الاقتصادية ومدى تمسك الملوك بالعقائد الدينية.

الكلمات المفتاحية: الجبانة الملكية-كوش- الكرو- السودان.

Abstract:
The Kushite royal cemeteries contributed and abundant amount of information that, along with other edifices in cities, contributed an abundant amount of historical information, especially in the field of funerary architecture, to understand and know the events and their course in the ancient history of Sudan. And their ancestors, and this study aims to define the patterns, standards and development of burial in the cemetery in addition to the funeral religious customs and traditions followed. The research followed the historical research approach to find out the reasons and motives that made the Kings build their tombs in the Al-Kurru cemetery, in addition to the analytical descriptive approach. The recommendations, including: religious, and this confirms its association with devotional temples. The study recommends in-depth study of funerary furniture and its contents and components to determine the economic situation and the extent of the kings' adherence to religious beliefs.

Keywords: Royal Cemetery. Kushite. Al-Kurru. Sudan.

مقدمة:

تقع جبانة الكرو الكوشية الملكية جنوب جبل البركل على بعد حوالي 15 كيلومتراً حيث اتخذها ملوك الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت وادي النيل (السودان ومصر) لفترة تمتد لحوالي القرن من الزمان مقراً لهم ودفن بها كل الملوك عدا الملك تهارقا الذي اختار لنفسه جبانة نوري. تطور الدفن في هذه الجبانة من حيث البناء العلوي ومر بعدة مراحل (الكومة الدائرية المحاطة بحجارة من أعلى، والكومة المسورة بسور يشبه حدوة الحصان أو الشكل المستطيل – مع وجود الكوم الدائري المحاط بالحجارة – ثم الدفن تحت مسطبة، وأخيراً الدفن تحت الهرم). أما البناء السفلي فتحول اتجاه القبر من شمال – جنوب، إلى شرق – غرب، مع هذا التحول تغير فن البناء التحتي حيث أصبح غرفة منحوتة في الصخر – زادت بعد الملك بعانخي إلى غرفتين - وزينت بالنصوص والمناظر الدينية المأخوذة من متون الأهرام والفصل السادس من كتاب الموتى.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في هذا التحول الذي طرأ على المدافن والمغزى من ذلك، وكذا التحول من العادات والتقاليد الجنائزية المحلية لعادات وتقاليد جنائزية مغايرة.

أسئلة البحث:

1. لماذا تم اختيار الكرو لتكون جبانة دون المناطق حولها؟
2. لماذا رجع الملك تانوت أمني واختار جبانة الكرو مع العلم أن الملك تهارقا السابق له اختار جبانة نوري؟
3. هناك هرم مازال منتصباً وسط الجبانة، يعتبر حديث نسبياً مع بقية المدافن، لماذا اختار هذا الملك جبانة الكرو؟
4. ما هو المغذي وجود جبانة خاصة بالخيول بجبانة الكرو الملكية؟.

أهداف البحث:

بناء على ما تقدم في مشكلة البحث وأسئلته السابقة تشكلت مجموعة من الأهداف والغايات التي تسهم في توضيح هذه الأهداف:

1. التعريف بجبانة الكرو الملكية وموقعها وخصائصها وما تحتويه من تطور.
2. الوقوف على تطور البني العلوية والسفلية للمدافن بالجبانة.
3. التعريف بعقائد الموتى مع إيضاح الأثاث الجنائزي الثمين الذي صاحب الميت وعلاقته بقيمة المدفون.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أن هذه الجبانة شهدت كل مراحل التطور والانتقال في أنماط وعادات وتقاليد الدفن.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث منهج البحث التاريخي لمعرفة الأسباب والدواعي التي جعلت من الملوك يشيدون مقارهم الأبدية بجبانة الكرو الكوشية، والمنهج الوصفي التحليلي لوصف الأبنية والصروح الحضارية للجبانة وتطورها.

1- لمحة عن طبوغرافية المنطقة:

اضطلع لبسيوس بأولى الدراسات في هذه الجبانة عام 1844م، وبالرغم من عدم اكتمال الخريطة التي رسمها لهذا الموقع إلا أنها توضح أهمية هذه الجبانة، وقد أجرى رايزنر حفريات بها في عام 1919م، في الواقع، كان رايزنر قد قلل من أهمية الموقع في بداية الأمر أثناء عمله في المنطقة في الفترة بين (1916-1920م)، وهو آخر المواقع التي جرى تنقيبها في الإقليم. أدى– دون شك – الاختفاء الكلي تقريباً للجزء العلوي من هذه القبور إلى تقليل رايزنر من شأن هذا الموقع، غير أن أهميته ظهرت باكتشاف قبور الأسرة الخامسة والعشرين، بذلك وجد رايزنر نفسه مجبراً على الرحيل عن جبل البركل إلى منطقة الكرو حيث أقام معسكراً جديداً ليشرف بنفسه على الحفريات. يوجد الموقع على هضبة صخرية جانبها الغربي منحدر بشكل واضح بخلاف جانبها الشرقي الذي يتميز بانحدار خفيف يميل نحو الشرق[1]، أما موضع الجبانة فهو رابية في الطرف الشمالي من القرية ترتفع قمتها إلى نحو 13.5 متراً وتنحدر إلى كل الاتجاهات، ويقطعها واديان قديمان شقتهما الأمطار في عصور قديمة، يقسمان الموقع إلى ثلاثة أجزاء "أوسط، وشمالي، وجنوبي". والرابية تبدو عادية للغاية وليس لها ما يميزها عن الروابي المنتشرة على مسافة الخمسة عشر كيلومتراً التي تفصل الكرو عن البركل، أو حتى تلك التي تقع إلى الجنوب من الكرو. حوى الجزء الأوسط من الجبانة – وهو الأقدم – مدافن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وأسلافهم، وحوى الجزء الجنوبي مدافن زوجات ملوك تلك الأسرة، أما الجزء الشمالي فقد شمل مدافن خيول بعض ملوك الأسرة[2]. (انظر الخريطة رقم 1 الي توضح توزيع المدافن بالجبانة).

(1) علي أحمد قسم السيد، الأهمية الأثرية والتاريخية لجبانة الكرو الملكية 1982م، ترجمة سارة حسن مُحَمَّد إسماعيل البيلي، جامعة الخرطوم، 1998م، ص38.

(2) تيموثي كندال: "ملوك الجبل المقدس، نباتا وأسرة الكوشيين، في معرض السودان ممالك على النيل، إشراف ديبتريش فيلدونغ، ترجمة بدر الدين عروكي، باريس 1996-1998م، ص61.

مثلت الستة عشر مدفناً الأقدم تواتراً غير منقطع لأسلاف غير مسميين، تحولت مدافنهم بانتظام في الشكل، تقهقرياً في الزمن، إلى نوع تقليدي كوشي من المقبرة التلية (Tumulus) أما المقبرة الأولى من هذا النوع، فتحتل الموقع الأعلى في الجبانة، نسبها رايزنر إلى مؤسس الأسرة وأرخها ببواكير القرن العاشر قبل الميلاد[1].

1-1 توريخ الجبانة:

تحتل جبانة الكرو المكانة الأولى طالما كونها الأقدم، فهي تضم مقابر الأسلاف المباشرين لملوك نبتة وتقدم دليلاً لإعادة إحياء التقاليد الجنائزية الكوشية في فترة زمنية لم تقدم سوى القليل من البنية التاريخية المتماسكة – كما في كرمة. يشغل المدفن حفرة مغطاة بردمية فوقية (كوم) ويرقد المتوفى في وضع مقرفص على جانبه الأيمن على عنقريب؛ يحتل الرأس الجزء الشمالي والوجه نحو الغرب، وهو ما قد تم تبنيه من قبل لدى أهل المجموعة الثالثة خلال فترة المملكة المصرية الوسطى[2].

يشتمل القبر الكوشي الملكي على سلسلة من الغرف السفلية الكائنة تحت الأرض والتي يواريها هيكل فوقي ثقيل، والمتطلبات الرئيسة للجبانة الملكية كانت تتمثل في مساحة منبسطة بمستوى معقول ذات شرائح من صخر صالح ذي متانة يقوم مباشرة تحت السطح، هذه الشروط مستوفاة بأماكن وفيرة في المنطقة النبتية، في كلتا المنطقتين الواقعتين إلى الشمال والجنوب من السهل الفيضي النيلي، فالأماكن التي تم اختيارها بالفعل، في الكرو ونوري وجبل البركل كانت قد حددت قطعاً باعتبارات التركيب الجيولوجي من جهة، لكن عوامل أخرى لا بد أنها لعبت دوراً مماثلاً[3].

استغرق التنقيب في هذا الموقع موسماً واحداً عام 1919م، واتضح من الحفريات التي أجراها رايزنر أن الجبانة الوسطى تتكون من عشرين قبراً، في أعلى الهضبة، ستة عشر منها تؤرخ لفترة المائة ونيف السابقة للملك بعانخي (بيي)، (751-716ق.م) ودرج المختصون على تسميتها بقبور الأسلاف، وبالقرب منها أربعة قبور تم التعرف على أصحابها وهم حسب الترتيب الزمني، الملك بيي والملك شباكا (716-702ق.م) والملك شبتاكا (702-690ق.م) والملك تانوت أمني (664-656ق.م). حكم هؤلاء الملوك – يضاف إليهم الملك تهارقا (690-664ق.م) – مصر والسودان لذلك أعطاهم المؤرخ المصري مانيتون مكانتهم الطبيعية في قائمة ملوك مصر فصاروا يكونون الأسرة الخامسة والعشرين[4].

تتكون جبانة الكرو من هضبة مقسَّمة بفعل الواديين اللذين يشقانها إلى ثلاثة أقسام، ويبدو أن

(1) تيموثي كندال: "أصل الدولة النبتية: الكرو والبيئة الخاصة بالأسلاف الملكيين" مجلة الآثار السودانية، العدد الثامن، يوليو 2006م، ترجمة أسامة عبد الرحمن النور http://www.arkamani.org، ص11.

(2) Dunham. D. 1950. The Royal Cemeteries of Kush . Vol. 1. El Kurru, Harvard. University Press, Cambridge. P. 9. فرانسيس جيوز: "عادات الدفن في وادي النيل الأعلى: لمحة عامة" مجلة الآثار السودانية، العدد الرابع، فبراير 2003م، ترجمة أسامة عبد الرحمن النور http://www.arkamani.org، ص17.

(3) وليام آدمز، النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، مطبعة الفاطيا، مصر، 2005م، ص266.

(4) سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبتة، دار هايل للطباعة والنشر، الخرطوم، 1999م، ص308.

الدفن في هذه الجبانة قد مرَّ بأربع مراحل، فقد كانت قبور الأسلاف عبارة عن أكوام ترابية دائرية الشكل تعلوها حفرة بيضاوية أو دائرية أضيف إليها في وقت لاحق سور في شكل حدوة الحصان، وإلى جانب البناء فوق سطح الأرض في بعض مدافن الأسلاف يلاحظ أن بعضها احتوى على مقصورات جنائزية بنيت من الطوب اللبن كما في القبر (Ku.tum.1). وقد بنيت هذه المقصورات في الجانب الشرقي، وهنا لا بدَّ أن نذكر أنه على الرغم من أن مدافن الأسلاف قد تعرَّضت خلال الحقبة الطويلة التي مرَّت عليها إلى عمليات مستمرة من النهب، إلاَّ أنها كانت تحمل تشابهاً واضحاً مع حضارة المجموعة (ج)، فتقليد بناء هذه المقصورة سبق أن ظهر في آخر فترة حضارة المجموعة (ج) حيث بنيت حجرات مستطيلة من اللبن في الجانب الشرقي لتوضع بداخلها القرابين[1].

إن الكيفية التي اتبعت في طريقة بناء مدافن الكرو الأولى، والعادات الجنائزية التي مارسها الزعماء الأوائل الذين دفنوا هناك كانت امتداداً للعادات الجنائزية التي كانت سائدة في الحضارات الكوشية القديمة خاصة حضارة المجموعة (ج) في النوبة السفلى وحضارة كرمة في النوبة العليا، خاصة عادة الدفن على عنقريب[2]. وكان اتجاه الدفن في القبور الأولى في الكرو "شمال جنوب" لم يكن تقليداً مصرياً، مما يدل على أنهم كانوا متمسكين إلى حد كبير بالتقاليد المحلية في الدفن، فالاستمرار في مثل هذه التقاليد أو العادات ربما يؤكد أهميتها المحلية واستمرارها لأمد طويل[3]. تحولت البنى العلوية في هذه الأضرحة التلية منذ وقت مبكر إلى بنى عليا مستطيلة ذات مقصورات جنائزية، وحلت الحجارة المنحوتة بعناية محل الحجارة غير المشكَّلة، وظهرت فيما بعد الأهرامات ذات المنحدر والمدافن الفسيحة بدلاً عن الأضرحة الضيقة المحفورة في الصخر، وكان الموتى المحنطون يدفنون فيها داخل توابيت[4]. انظر الصورة رقم (1).

(صورة جوية توضح توزيع المدافن وطبروغرافية جبانة الكرو، تصوير الباحث، 2020م)

ظهرت الكتابة في مدافن الملوك بعانخي (بيي) وشباكا وشبتاكا وتانوت أماني بالإضافة إلى الملك تهارقا. ومما يجب أن نلفت إليه النظر أن التاريخ الذي وضعه رايزنر لمقبرة الكرو هو منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، قد وجد تعزيزاً في البحث الذي قدَّمه تيموثي كندال بعد أن كلَّفته لجنة المؤتمر السابع

(1) Dunham. D., 1953: Form Tumulus to pyramids and back Archaeology. Vol. 6. Boston. P.88. Adams. W.Y., 1984: The first Clonial Empire, Egypt In Nubia 3200-1200BC, CSSH. Vol. 26. No. 1, University of Kentucky. P. 87. وليام آدمز، المرجع السابق، ص157.

(2) Arkell. A.J., 1961, A History of the Sudan From the Earliest Time to 1821. Second Edition. London. P.119.

(3) Trigger. B.G., 1967: Nubia under the Pharaohs. Thames and the Hudson. London,. P.142.

(4) تيموثي كندال ، 1996-1998م ، ص60.

للدراسات المروية بمراجعة المادة الأثرية في جبانة الكرو المحفوظة في متحف بوسطن، وقد أرسل بناءً على هذا التكليف عينات من المواد العضوية لمعامل متخصصة داخل الولايات المتحدة الأمريكية لتحديد تاريخ جبانة الكرو، وكانت النتيجة أن المختبرات أعطت تاريخاً مطابقاً للتاريخ الذي حدده رايزنر من قبل[1] ، (انظر الخريطة رقم 2).

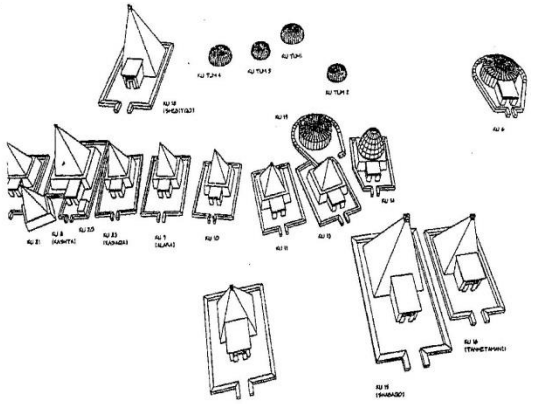

خارطة رقم (2) تبين تصوُّر ما كانت عليه جبانة الكرو - عن تيموثي كندال 1999م

إن القبور الأولى – أي الأقدم – كانت تأخذ أفضل الأماكن في الهضبة وهي الأماكن الأعلى، ولتأكيد صحة هذه الفرضية قام رايزنر بترقيم القبور التي في الأماكن العالية قبل بداية التنقيب وأعطى أعلاها الرقم (1)، وبعد الحفر وبمقارنة الطرز المعمارية المستعملة تأكد فعلاً أن هذا القبر (Ku-Tum1) هو الأقدم[2] ، (انظر الشكل رقم 1).

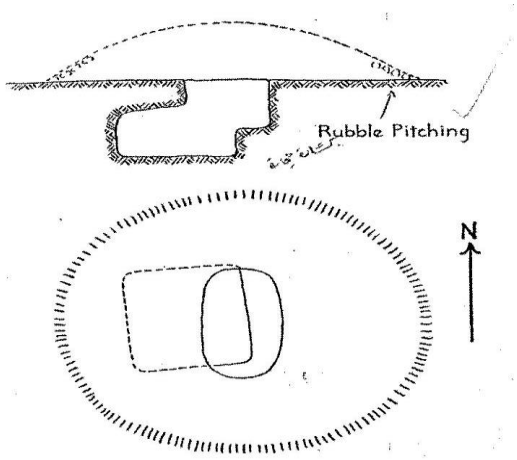

شكل رقم (4) يبين المدفن التلي رقم (Ku.Tum.1)1 (عن دانهام 1950م)، ص12

لا بدَّ أن نذكر أن جبانة الكرو تكاد تكون الموقع الوحيد الذي قدَّم أكبر دليل على استمرار تقاليد الدفن في الحضارات السودانية القديمة بدءاً من الحضارات المبكِّرة إلى بداية فترة المملكة المروية.

كان الدفن الأخير في تواتر المدافن هو الخاص بالملك تانوت أمني آخر ملوك نبتة الذين حكموا مصر (664-653ق.م). اختار الملوك اللاحقون، متبعين نهج عم تانوت أمني وسلفه الملك تهارقا، أن يشيّدوا أهراماتهم بالقرب من هرمه في نوري على بعد 25 كيلومتراً تقريباً بأعلى مجرى النهر على الضفة المعاكسة، أصبحت مدافنهم الآن أكبر بأربعة مرات من حيث الحجم مقارنة بمدافن الكرو. بعد أن دفن الملك التاسع عشر في نوري اختار الملك العشرون – الذي لم يعرف اسمه – أن يكسر التقليد ويشيد هرمه وهرم زوجته في الكرو، ويبدو أن اختياره موقع الهرمين لم يكن أمراً عشوائياً، إذْ وضع هرم زوجته مباشرة أمام مدافن الملكات العظيمات للأسرة الخامسة والعشرين، أما مدفنه فأقامه أمام صف مدافن الأسلاف مباشرة

(1) Kendall T. 1996 : "The Origins of the Napatan State A Paper Presented In the 7th International Conference" for Meroitic Studies, Berlin, P. 11-16.

(2) سامية بشير دفع الله ، 1999م ، ص309.

بالقرب – وعلى الجانب الأيمن – لمدفن الملك بعانخي (بيي). هذان الهرمان المتأخران (Ku.1) و (Ku.2) كانا الأخيرين بين المدافن الملكية التي شيدت في الكرو، ولكنهما يقدمان إثباتاً لاستمرار الأهمية السياسية للموقع والتوقير الذي حظي به على مدى ثلاثة قرون بعد أن توقف استخدامه[1]، (انظر الصورة رقم 2).

صورة رقم (2) توضح الهرم رقم (1) بالكرو، تصوير الباحث 2018م

تقف خمس مقابر هرمية للملكات على الجزء الجنوبي من الجبانة، تصطف أربعة منها من الشمال إلى الجنوب على ارتفاع عشرة أمتار، والخامسة بين العشرة أمتار وتسعة أمتار ونصف[2].

2- البناء العلوي للقبور

توجد في أقصى الجزء الغربي من جبانة الكرو تلة صغيرة – تمثل أعلى وأول موقع بُنيت عليه كومة دائرية من الحصى هي القبر (Ku.Tum.1). تعد هذه الكومة –وفقاً لرأي رايزنر أولى الكومات التي بنيت في الجبانة – وهي عبارة عن مرتفع صغير من الحصى يبلغ قطره حوالي 7 أمتار، وليس بها أي نوع من البناء سواء من الطوب أو الصخر، وتقوم كومتان آخرتان على ذات النسق هما (Ku.Tum.4) و (Ku.Tum.5). تقدم تلك الكومات الثلاث أبسط أشكال البنيات العليا لقبور الجبانة يضاف إليها القبر (Ku.Tum.2) وتعرف بقبور المجموعة الأولى[3].

تمكن أفراد الجيل التالي من تحسين هيئة كومات قبورهم بفضل توفر طبقة من الحجر الأسمر على الهضبة يصل سمكها إلى حوالي 0.23 متراً، وقد غطيت الكومة بطبقة من الأحجار غير المشذبة وضعت بشكل أفقي على سطح الكومة مباشرة، ولم يلاحظ أي استعمال للملاط في الربط بينها، على أننا نلاحظ استعمال ألواح مستطيلة من الحجر الرملي للمرة الأولى في الطبقة العليا، وقد استخدمت هذه الألواح مع مواد أخرى لسد حفرة الدفن التي وجد قربها عدد من كتل الحجر الرملي التي تمثل – على الأرجح – محاولة لبناء مسطبة مسطحة تحت الكومة[4].

المجموعة الأولى : المقابر الركامية غير المسورة: وهي تحتل أعلى الرابية، حيث يقع القبر الركامي الأول (Ku.Tum.1) في أعلى جزء منها، على ارتفاع 13.00 متراً، يليه القبر الركامي (Ku.Tum.5) على ارتفاع 12.00-12.50 متراً، فالقبر الركامي (Ku.Tum.4) على ارتفاع 11.50-12.00 متراً وأخيراً القبر الركامي (Ku.Tum.2) على ارتفاع 11.25متراً[5].

(1) تيموثي كندال ، 2006م ، المرجع السابق ، ص3.

(2) العباس سيد أحمد مُحَمَّد علي وعبد القادر محمود عبد الله ، "أصل الأسرة الخامسة والعشرين لمصر كما تعكسه الجبانة الملكية السودانية في الكرو" مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة دنقلا، كلية الآداب والدراسات الإنسانية، العدد الثالث، يناير2010م، ص32.

(3) على أحمد قسم السيد ، 1982م ، ص53.

(4) نفسه، ص53.

(5) العباس أحمد مُحَمَّد علي وعبد القادر محمود عبد الله ، 2010م ، ص31.

المجموعة الثانية المقابر الركامية مسورة بسور كالحدوة: تأتي في المرتبة الثانية من حيث الارتفاع يقع مدخل القبر في اتجاه الجنوب الشرقي ، أو جنوب الجنوب الشرقي ، وتتألف من قبرين هما: (Ku.Tum.19) الذي يقع على ارتفاع 11.25-11.00 متراً ، (Ku.Tum.6) على ارتفاع 11.00-1050متراً ، (انظر الشكل رقم 5).

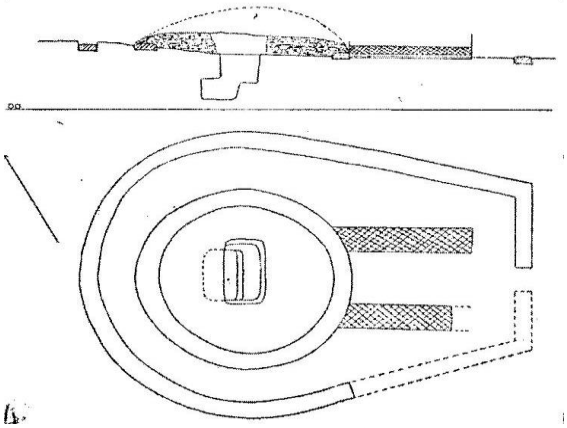

الشكل رقم (5) يبيِّن المدفن التلي رقم 6 (عن دانهام 1950م)، ص21

المجموعة الثالثة: المساطب: هي ضمن المقابر غير الهرمية وتأتي ثالثة في الترتيب من حيث الارتفاع عن السطح، تقسم هذه المساطب من ثلاث فئات، تتكون الأولى من خمس مقابر مصطفة في ترتيب من الشمال إلى الجنوب ، وهي المساطب 14 ، 13 ، 11 ، 10، 9 وتقع على ارتفاع يتراوح بين 10.50-11.00 متراً. أما الفئة الثانية هي تشمل المسطبتان رقم 23 وهي قبر كاسقا زوجة آلارا ، والمسطبة رقم 8 حيث قبر الملك كاشتا، تقع المسطبتان على ارتفاع 10.50-10.00 متراً. هنالك فئة ثالثة تشمل المسطبتين 7 وهي قبر الملكة باباتما زوجة كاشتا، والمسطبة 21 ويتراوح ارتفاع القبرين بين 9.50-10.00متراً ، (انظر الشكل رقم 6).

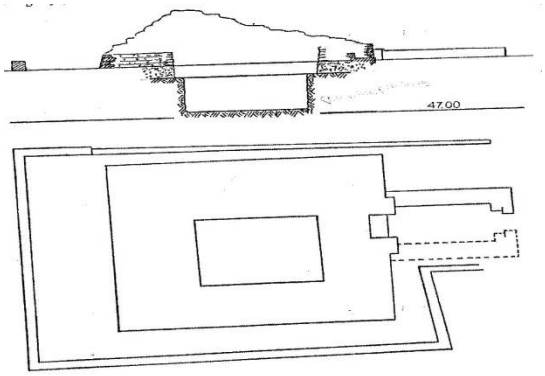

شكل رقم (6) يبيّن مدفن الملك كوشتو Ku.8 (عن دانهام 1950م) ص46

المجموعة الرابعة المقابر الهرمية: تأتي في أدنى ارتفاع نسبياً، وهي مقابر لأربعة ملوك هي الهرم 17 المنسوب لبيي، والهرم 15 لشباكا على ارتفاع يتراوح بين 9.50-10.50 متراً، ويقع الهرم 16 لتانون أمني على ارتفاع 9.50 متراً ، ويحتل الهرم رقم 18 لشبتاكا موضعاً في الرابية على ارتفاع يتراوح بين 9.50-10.00 متراً ، وعلى الجزء الجنوبي من الجبانة تقع خمس مقابر هرمية ، تصطف أربع منها من الشمال إلى الجنوب على ارتفاع 10.00متراً ، والخامس بين 9.50-10.00 متراً[1].

من الأوضاع المختلفة لهيئة البناء الفوقي نخلص إلى القول بأن تطور البناء الفوقي للمدافن بدأ بكومة دائرية أو بيضاوية الشكل كما في القبر (Ku.Tum.1)، ثم تطور ليأخذ شكل البناء العلوي الذي بدأ بمقصورة جانبية وسور كحدوة الحصان ، في محور شمالي غربي أو جنوبي شرقي تقريباً ، ثم صار البناء الفوقي مسطبة بمقصورة جانبية وسور مستطيل[2].

(1) العباس سيد أحمد مُحَمَّد علي وعبد القادر محمود عبد الله ، 2010م ، ص31.

(2) Dunham. D., 1950. op. cit. P.13.

كانت الصخور غير المشذبة في قبور الأجيال السابقة توضع أفقياً على سطح الكومة لإعطائها شكلها الخارجي ، فيما بعد في القبور (Ku.tum.6) و (Ku.tum19) بدت الكومة محتفظة بالهيئة القديمة ، أي أنها ظلت تتكون من كوم من التراب تغطيه صخور غير منتظمة القطع أخذت من الطبقة السمراء للهضبة ، وضعت هذه الصخور – التي تشكل الجزء العلوي من الطبقة العليا – في هيئتين مختلفتين : في البداية رصت الصخور التي تغطي الكومة كلياً بشكل أفقي كما في الكومات(Ku.tum.2)،و(Ku.tum.4) و(Ku.tum.5) ، ثم وضعت فوقها صخور أخرى من نفس النوع بشكل عمودي. أعطت هذه الهيئة الجديدة ارتفاعاً واضحاً للكومة ، التي بلغ قطرها ثمانية أمتار ، بيد أن الطبقة العليا لهذه القبور مثلت مرحلة جديدة في تطور قبور الكرو، تميزت بوجود أربع ظواهر جديدة، تمثلت في استعمال نوعين جديدين من مواد البناء ، هما كتل الحجر الرملي المشذب نسبياً ، والطوب الأخضر. أما التطوران الأخيران فكان يقتضيهما تطور المفاهيم الدينية الكوشية ، وهي تتعلق بحماية القبر وما يحويه، وذلك ببناء سور من الحجر الرملي حول القبر وبناء مقصورة جنائزية في داخل هذا السور حيث توضع العطايا[1] ، (انظر شكل رقم 7)

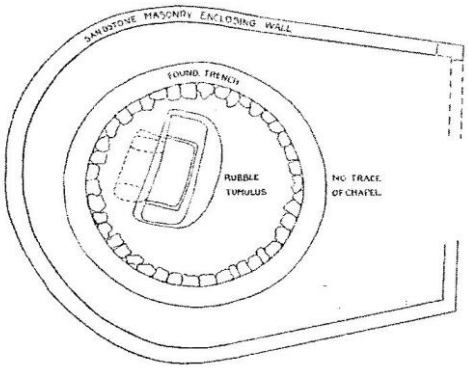

شكل رقم (7) يبين القبر الركامي رقم 19 (عن دانهام 1950م) ص72

يمثل بناء هذه القبور الحركة الحقيقية نحو تجويد العمارة الجنائزية الكوشية، فقد اختفت الكومة المقفولة داخل الجُدر الخمسة للمسطبة رقم 14، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الطبقة العليا في هذه المساطب تبدأ بقفل الحفرة بواسطة ألواح حجرية مستطيلة كبيرة وضعت بشكل أفقي فوق حفرة الدفن، وأصبحت القاعدة الأولى تغطي كل المساحة المخصصة لبناء المسطبة التي يزيد حجمها قليلاً عن أحجام المساطب الأولى[2].

يمثل قبر كاشتا (Ku. 8)، آخر قبر ملكي بُني في هذا الجزء من الجبانة ، وهو من جهة يعد أكبر مسطبة في الجبانة حيث تبلغ أبعاده (10×9.75متراً) ومن جهة أخرى يبدو مما تبقى من طبقته العليا أنه كان أيضاً أكثرها ارتفاعاً إذْ بلغ ارتفاعه أكثر من 1.60 متراً.

تتكون الطبقة العليا في هذا القبر على ما يبدو من سطح مقبب يمثل غطاء القبر ، تبين هيئته الحالية أن المعماري قد بدأ بوضع القواعد الأولى حول حفرة الدفن. أما المواد المستعملة في هذا البناء فهي صخور من الحجر الرملي غير المنتظم ، وصخور مأخوذة من الطبقة السمراء والطوب الأخضر. غطي هذا

(1) علي أحمد قسم السيد ، 1982م ، ص54.

(2) المرجع نفسه، ص56.

المزيج بصخور رملية منتظمة القطع لإعطاء القبر شكله الخارجي ، ومع ذلك، فإن ميل جوانب هذه المسطبة ووجود ثلاث طبقات ، على الأقل ، من الحجر الرملي مبنية تحت المقصورة وكذلك الخطوط ذات الميل الشرقي أمام المقصورة ، تدفعنا للتساؤل إن كان هذا البناء مسطبة أم أنه كان محاولة لإعادة بناء في شكل هرمي نفذه بيي في فترة لاحقة[1].

تجيء الأهرامات في المرحلة الأخيرة من حيث تطور البناء العلوي ، ونعني بها المقابر 1 ، 15 ، 16 ، 17 ، 18 ، فيما عدا الهرم 1 الذي يقف شامخاً في أسفل الجبانة، والذي يعتقد أنه بني في فترة متأخرة نسبياً، نحو 370-350ق.م فإن المقابر الأربع الأخرى يحتوي بناؤها العلوي على هرم، بني من حجارة منتظمة الشكل والحجم من الحجر الرملي، ويحيط بالأساس سور مبني أيضاً من ذات النوع من الحجارة، ويقف البناء العلوي على حجرة أو حجرتين للدفن تحته مباشرة، ولعل هذا ما قاد لصوص المقابر في البدء إلى إزالة البناء العلوي رغبة في الوصول إلى حجرة الدفن، تماماً كما حدث في مدافن المساطب[2].

1-2 خصائص الهرم في جبانة الكرو:

تمثل دراسة الأهرام في جبانة الكرو أصعب مراحل دراسة تطور العمارة الجنائزية الكوشية لسبب بسيط هو عدم وجود الطبقة العليا للمدافن، ومع ذلك تلقى الأدلة الأثرية الضعيفة الموجودة في الموقع ببعض الضوء على هذا التطور[3].

يعتبر الهرم عنصراً أصيل من عناصر الحضارة المصرية القديمة، استخدم في زمن الدولة المصرية القديمة مع الملوك زوسر وخوفو وخفرع ومنقرع، ويلاحظ أن أهراماتهم تحتوي على غرف وممرات وسراديب بداخلها. استمر استخدام الهرم حتى نهاية الأسرة السابعة عشر، وبعد ذلك استخدمه النبلاء فقط، فكانت مدافنهم مقطوعة في الصخر تحت الأرض يصل إليها عبر سلم (في وادي الملوك). إذن عندما قامت مملكة نبتة لم يكن الهرم مستخدماً لدى الملوك المصريين، هذا يعني أن الملك (بيي) وخلفاءه لم يقلدوا معاصريهم من المصريين؛ لكن يبدوا أنهم شاهدوا أهرامات النبلاء المصريين فأعجبوا بها وقلّدوها[4].

بدأ التغير يظهر في البناء فوق سطح الأرض بجبانة الكرو بعد غزو الملك كاشتا مصر، فقد تميزت مقبرة كاشتا (Ku.8) بأنها كانت في شكل مسطبة مستطيلة الشكل أبعادها (10×9.75م) بنيت من الحجر الرملي وأحاط بها سور من الحجر الرملي أيضاً[5].

إن أول قبر بُني في شكل هرمي في هذه الجبانة ربما كان قبر بيي (Ku-17) إلا أن ما تبقى من طبقته العليا، وتعرض الهرم للدمار منذ القدم أزال معالمه، ولم يبق منه إلا ما لم ير فيه الناهبون قيمة[6]، (انظر الصورة رقم 3).

ينتصب هذا الهرم مباشرة فوق غرفة الدفن الوحيدة، حتى أن قاعدته الأولى موضوعة على الجدار

(1) نفسه، ص56.

(2) العباس سيد أحمد محمد علي وعبد القادر محمود عبد الله، 2010م، ص34.

(3) علي أحمد قسم السيد، 1982م، ص57.

(4) سامية بشير دفع الله ، تاريخ مملكة كوش، دار الأشقاء للطباعة والنشر، الخرطوم بحري، ط1، 2005م ، ص170-171.

(5) Dunham. D., 1950. op cit. P.11.

(6) عبد القادر محمود عبد الله، بيي "بعانخي" أول ملكاً للسودان وصعيد مصر، الرياض، فهرسة المكتبة الوطنية، 1424هـ، ص38.

الشرقي الذي يبين الحدود الغربية للدرج النازل. إن حجم قاعدة هذا الهرم تبلغ 8 أمتار مربعة أصغر نسبياً من أهرامات تلك الفترة ويُعزى ذلك إلى دقة التقنية المستخدمة في بناء هذا القبر[1]. بخاصة أنه أول قبر يبنى في شكل هرمي. لم يكتف بيي بأن يدفن وفق التقاليد المصرية فحسب؛ بل اختار لنفسه أن يُقبر في هرم، وهو شكل تمّ الإقلاع عنه في مصر منذ أزمان الدولة القديمة، يبدو أنه أراد بذلك إرساء سياسة الأسرة الخامسة والعشرين التي تشدِّد على شرعية حقها في حكم مصر[2].

بعد أن تولى بيي الحكم بعد وفاة أبيه كاشتا، أخذ يتطلع إلى الاستيلاء على مصر، فجرد عليها حملة قوية نجحت في تحقيق أهدافها، وعاد إلى نبتة واستقر بها حتى وفاته[3].

أما في هرم الملك شباكا فقد أضيف نفق في نهاية السلم أخذ شكل حجرة دفن ثانية، قطعت حجرة الدفن في الصخر، وقد دلت الدراسات على أن قبر الملك شباكا كان مطلياً بالجير وزينت جدرانه بالنصوص الدينية والمناظر الجنائزية[4]. يبلغ حجم الهرم في القاعدة حوالي 11 متر مربع[5]. وقد ظل النموذج العام للقبر كما هو منذ عهد شبكو ولم يتغير جذرياً، إذْ احتوى قبر شباكا على حجرتين، وقطع السلم في الشرق[6]. يقدر حجم الهرم في القاعدة بحوالي 10.70 متراً مربعاً ، وبه سلم يتكون من 18 عتبة يقود إلى حجرتي الدفن[7].

دفن تانوت أماني في الكرو في القبر (Ku.16)، حيث بنى هرماً صغيراً من الحجر الرملي، يبلغ حجمه عند القاعدة 8.25 متراً مربعاً، وبه سلم وحجرتان للدفن[8].

أصبح تانوت أماني ملكاً بعد وفاة عمه تهارقا حوالي عام 664 ق.م. بعد أن تراجع الآشوريون عن مصر قام بغزو مصر مجدداً. وسجَّل وصْف ذلك الغزو في مسلة عثر عليها بجبل البركل. يصف تانوت أماني في تلك المسلة مراسم تتويجه بجبل البركل، ويكتب أيضاً عن حلم رآه، فحواه أنه رأى ثعبانين فسرهما بثعباني التاج الملكي لكوش ومصر. واعتقد بأن حلمه يشير إلى أنه سيحكم كوش ومصر. ونجح في تحقيق حلمه ولو أن ذلك كان لفترة قصيرة لم تتجاوز السنتين. عندما علم الملك الأشوري (أشور بانيبال) بأن الكوشيين أعادوا سيطرتهم على مصر أرسل على الفور جيشاً للانتقام منهم. تراجع تانوت أماني إلى كوش بعد أن هاجم الأشوريين مدينة طيبة وقتلوا العديد من الناس ونهبوا أماكنها المقدسة. بعد ذلك لم تطأ أقدام الملوك الكوشيين مصر. وقد استمر تانوت أماني ملكاً في كوش حتى وفاته[9].

يوجد في جبانة الكرو أيضاً هرم جيّد البناء يقارب في مساحته أهرامات نوري، كان رايزنر قد

(1) علي أحمد قسم السيد، 1982م، ص57.

(2) أسامة عبد الرحمن النور، دراسات في تاريخ السودان، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، 2006م، ص354.

(3) جيمس بيكي، الآثار المصرية في وادي النيل، ترجمة نور الدين الرازي، 1988م، ص256.

(4) Edwards. I.E.S., 1961: The Pyramids of Egypt, London, P. 202

(5) Dunham. D., 1950. op. cit, P.55.

(6) Edwards. 1961, op. cit, P. 202

(7) Dunham. D., Id, P.67.

(8) Id. P.60.

(9) حسن سليمان محمود وجلال الجاويش، تاريخ السودان في العصور القديمة، مكتبة مصر، الفجالة، 1958م، ص114-115.

أعطاه الرقم (Ku.1) قبل أن يفتحه لهيمنته على الموقع، وخمّن أنه يتبع لفترة متأخرة. بعد أن فحص المعبد الجنائزي والدرج وبعض الأشياء المدفونة تحت أساس الهرم تأكد له صدق حدسه، وخلص إلى أن صاحبه حكم بين عهدي حكم حرسيوتف (369-404 ق.م) وأخراتان (340-353 ق.م)، وفي الجانب الآخر من الجبانة الذي خصص لدفن الملكات عثر رايزنر على هرم أعطاه الرقم (Ku.2) فكان يخص زوجة هذا الملك[1].

هنالك سؤال يطرح نفسه، لماذا اختفت هذه الأهرامات بشكل كامل، بينما نجد أهرامات في جبانات أخرى لا تزال ماثلة؛ بل أن بعضها لا يزال في كامل هيئته؟ يرى علي أحمد قسم السيد أن نوعية الصخور المستخدمة في بناء الطبقة العليا للأهرامات كانت تجتذب سكان المنطقة في العصور الوسطى، فقد أعادوا استعمال هذه الصخور لبناء بيوتهم وقلاعهم، وفي بعض الأحيان استخدموها لسد فتحات قبورهم، كما كانت التقنية المستخدمة في بناء الأهرامات عاملاً لا يقل أهمية في اختفاء الطبقة العليا للأهرامات، إذْ يبدو أن الصخور التي كانت تشكل كلاً من الغطاء الخارجي وقلب الهرم كانت ذات جودة عالية، مما أثارت طمع البنائين في العصور الوسطى[2].

أما فيما يختص بمدافن الملكات في جبانة الكرو، فنلاحظ أنها بنيت من الحجر الرملي، ولم يبق منها سوى الجزء التحتي، كما تميَّزت بوجود سور، لكن معظم هذه الأسوار مدمرة ولم يبق منها سوى التخطيط بالإضافة إلى وجود مقصورات جنائزية[3].

جدول رقم (1) يوضح اسم الملك وفترة حكمه ومساحة هرمه

من الجدول أعلاه نستنتج أن الفترة التي حكم فيها ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ابتداءاً من الملك كاشتا وحتى الملك تانوت أمني هي حوالي المائة وسبعة عام، أي قرن ونيف من الزمان حكموا فيها شطري وادي النيل شماله وجنوبه، ومن الجدول

رقم	اسم الملك	تاريخ الحكم	مساحة الهرم في القاعدة
١	كاشتا (Ku.1)	٧٦٠-٧٥١ ق.م	١٠×٩,٧٥ متراً وهي مسطبة وليست هرم
٢	بعانخي (Ku.17)	٧٥١-٧١٦ ق.م	حوالي ٨ أمتار مربعة
٣	شباكا (Ku.15)	٧١٦-٧٠١ ق.م	حوالي ١١ متر مربعاً
٤	شبتاكا (Ku.18)	٧٠١-٦٩٠ ق.م	حوالي ١٠,٧٠ متر مربعاً
٥	تانوت أمني (Ku.16)	٦٦٤-٦٥٣ ق.م	حوالي ٨,٢٥ متر مربعاً

نلاحظ كذلك عدك وجود ذكر للملك تهارقا الذي حكم بين الفترة (690-664ق.م) وذلك لأنه دفن بجبانة نوري الملكية التي أسسها هو وأصبحت مرقاً أبدياً لمن أتى بعده من الملوك عدا الملك تانوت أمني الذي عاد ودفن بالكرو. ويتضح كذلك أن فترة حكم كل من الملك كاشتا وشباكا وشبتاكا وتانوت أمني تكاد تكون متقاربة في الزمنية التي حكموا فيها ما بين العشرة سنوات والخمسة عشر سنة، بينما نراها طويلة في فترة حكم الملك بعانخي (بيي) 35 عاماً، والملك تهارقا 26 عاماً. وعليه يمكننا القول أنه كلما كانت فترة الحكم طويلة أدى ذلك إلى العديد من الانجازات المعمارية على الشقين الديني والجنائزي ويتضح ذلك من خلال ترميم الملكين الآخرين (بعانخي وتهارقا) للعديد من المعابد الدينية، وتشييد الملك تهارقا لهرم يعتبر أكبر صرح جنائزي في كوش قاطبة.

(1) سامية بشير دفع الله، 2005م، ص127-128.

(2) علي أحمد قسم السيد، 1982م، ص60.

(3) Dunham. D., 1950, pp. 38, 49, 86.

3- البناء السفلي للقبور وتقاليد الدفن

3-1 البناء السفلي:

نقصد بالبناء السفلي حجرة/حجرتي الدفن والمدخل الذي يقود إليها ، وجميعها محفور تحت السطح على الصخر الرملي.

تتمتع البنية التحتية لقبور هذه الجبانة – بخلاف البناء الفوقي – بحالة جيدة من الحفظ وتُعد واحدة من أفضل الآثار الموجودة في السودان تماسكاً وحفظاً، ومع ذلك فإن هذه القبور لم تفلت من النهب الذي كان يتم بطبيعة الحال بعد بعثرة محتويات القبور مما يؤدي إلى اختفاء معالم ترتيب أثاث القبور. ولفترة طويلة كان تسرب مياه الأمطار إلى داخل القبور أهم العوامل التي أدت إلى تدمير الجزء الأسفل منها. ومع ذلك استطعنا التعرف على الشكل النهائي لغرف الدفن بفضل قبر الملك تانوت أمني وأمه كلهاتا اللذين لم تتلفهما مياه الأمطار[1].

هنالك تطور تدريجي في شكل القبر ابتداءً من القبر البسيط الذي يحتوي على حفرة تحت بناء علوي تلي، وهي عبارة عن غرفة دفن واحدة محفورة في الجانب الشرقي، وقد شقت غرفة الدفن في منتصف الكومة الترابية[2]. يلاحظ أن البناء السفلي في المقابر الركامية غير المسورة (Ku. Tum.1,4,5) يتكون من حفرة بسيطة تحت السطح هي غرفة الدفن، وليس عليها غطاء حجري، وتأخذ الحجرة شكلاً بيضاوياً في المقبرة (Ku. Tum.1) تحول إلى شكل مستطيل في بقية المقابر الركامية، أما المقبرة الركامية (Ku. Tum.2)، فتتميز عن بقية المقابر الركامية بسقف من الحجارة على السطح يغطي حجرة الدفن[3].

كان الميت يوضع على هيئة القرفصائي "Contracted"، باتجاه الرأس شمالاً والوجه غرباً، ثم مدفن تلي مُحسَّن بقالب من بناء الحجر الرملي، وحجرة صغيرة بنيت من الطوب اللبن تعرف بالمعبد الجنائزي، وسور محيط به على شكل حدوة الحصان، ولم يوجد أي دليل في مقابر الأسلاف على ممارسة أي من التقاليد الجنائزية المصرية مثل التحنيط أو الدفن على تابوت؛ بل كان الميت يوضع على عنقريب الدفن.

مما سبق اتضح أن مقابر الأسلاف في الكرو كانت تلتزم بالتقاليد المحلية، وإنْ دلَّ ذلك على شيء إنما يدلُّ على أصلها المحلي وعدم دخول أي أثر مصري على ثقافة هؤلاء الأسلاف[4]، ثم تطورت عمارة القبور فصارت مسطبة مبنية في شكل مربع دون تدقيق من فوق قبرٍ في حفرة له غرفة من بناء، ويحيط بالكل سور مستطيل، ثم جاء نوعٌ مؤخراً من المسطبات توجد بأسفله حفرة الدفن شرق – غرب، وهو توجه كل القبور الملكية الأخيرة[5].

تغير اتجاه القبر بدءاً بالملك كاشتا وأصبح شرق/ غرب، بدلاً عن التقليد السابق شمال/ جنوب. احتوى القبر من الداخل على حفرة للدفن مستطيلة الشكل أبعادها حوالي (4.45×3.50م)[6].

(1) العباس سيد أحمد مُحَمَّد علي وعبد القادر محمود عبد الله ، 2010م، ص35.

(2) Reisner. G.A., 1919: " Reisner. G.A, "Outline of the Ancient History of the Sudan. The First Kingdom of the Ethiopia its Conquest of Egypt and its Development into a Kingdom of the Sudan", SNR. Vol. 2, P. 71.

(3) علي أحمد قسم السيد، 1982م، ص63.

(4) Dunham. D. 1950, p. 88.

(5) وليام آدمز، 2005م، ص63.

(6) Dunham. D., 1950. p.49.

خلال الجيل اللاحق من "بيي" فصاعداً حلَّ الهرم محل المسطبة، لكنه ظل محتفظاً بالمقصورة في طرفه الشرقي، هذا التحول كانت له أهمية حيث أضحى الهرم مستخدماً كبنية فوقية لمدافن ملوك نبتة – مروي على مدى ما يزيد عن الألف سنة، في الوقت نفسه تم استبدال الحفرة بحجرة على هيئة سرداب مع سلم مدرج طويل يقع في الجانب الشرقي للبناء الفوقي، بدءً من شبكو أصبحت المقبرة مكونة من غرفتي دفن، وبعد أجيال أصبحت تضم ثلاث غرف[1].

مع ظهور الأهرام تبدأ سيادة طقوس الدفن المصرية، بما في ذلك التحنيط، رغم أن الجثمان ظل يسجى على عنقريب . ساعدت النقوش على التماثيل الجنائزية في التعرف على أسماء أولئك المدفونين في تلك الأهرام، ملوك وملكات الأسرة الخامسة والعشرين بدءاً من بيي وزوجاته[2].

حُفِر القبر (Ku.17) في أرض أقل صلابة، ولإصلاح هذه العلة اضطر المعماري إلى استخراج حوالي 0.70 متراً من التربة المفتتة حول البئر حتى ربع العمق الأصلي للقبر، أي حوالي 1.15 متراً، حيث توجد طبقة من الصخر الصلب، وعند حفر الأبعاد المطلوبة للبئر في هذه الطبقة استخدمت هذه الأخيرة كجسر طبيعي وضعت عليه الكتل التي تكون القاعدة الأولى، هذه القواعد تتصل ببعضها البعض حتى السطح، حيث تأخذ شكلاً مقبباً متصلاً بالجدار الغربي بواسطة ألواح حجرية مركبة من 10-12 سم في الجدران[3].

حُفِر قبر الملك بيي أكثر عمقاً من القبور التي سبقته، إذْ وصل عمقه إلى ستة أمتار، وجُعل للقبر سلماً قطع في الصخر من الجهة الشرقية لحجرة الدفن، وبهذا يُعدُّ قبره أول قبر في السودان ينزل إليه بسلالم، وكانت هذه الخطوة هي بداية لتطور معماري عظيم في بناء المقابر التي تلت هذا العصر. بنى المعبد الجنائزي لقبر الملك بيي فوق السلم، وعليه فإنه لم يستطع أن يشرف على بناء معبده الجنائزي بنفسه، إذْ لا بدَّ من أن يقفل القبر أولاً ثم يشيد بعد ذلك المعبد الجنائزي على الجهة الغربية فوق التراب الذي على السلم فاحتاط الملك شباكا لهذا الأمر[4].

احتوت مقبرة الملك بيي على حجرة دفن واحدة كان محور اتجاهها شرق غرب وتكون سقفها من ألواح من الحجر الرملي وضعت متراصة في شكل قبو أو سرداب[5].

يُعد مدفن بيي (Ku.17) أول مدفن هرمي في كوش يحتوي بنائه التحتي على حجرة واحدة بعمق 5.5م × 13.15م، وسط المقبرة وهي مسقوفة بالحجارة، وهي بذلك لا تختلف كثيراً عما سبقها، "ونعني هنا المسطبات"؛ ولكن الجديد هو كيفية الوصول إليها؛ فلأن اكتمال الهرم سابق للدفن، كان لا بد من نفق مائل في شكل درج من تسع عشرة درجة، مدخله بعيد عن الهرم نسبياً، يدخل به الجثمان

(1) Dunham. D., 1950. p. 7.

(2) أيسيدور كاتسنلسون: "البحث الآثاري في النوبة الشمالية والسودان" ترجمة أسامة عبد الرحمن النور، مجلة الآثار السودانية، العدد الأول، أغسطس 2001م. ص5.

(3) علي أحمد قسم السيد، 1982م، ص66.

(4) Reisner. G.A., 1918 : op. cit, p. 78.

(5) مُحَمَّد إبراهيم بكر ، "العلاقات الحضارية بين السودان ومصر في في العالم القديم" ، مجلة الدراسات السودانية ، شعبة أبحاث السودان ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، العدد الثاني ، المجلد الأول ، 1969م ، ص74-75.

إلى غرفة الدفن. وبدخول الهرم كعنصر في الجزء العلوي، دخل النفق المدرج كعنصر في الجزء السفلي، وكلاهما بتأثير مصري مع وجود بعض أوجه الاختلاف التي تتمثل في أن النفق ليس من جسم الهرم كما هو في مصر، وأن حجرات الدفن مقطوعة في الصخر تحته[1].

قُطع مدخل الغرفة في جدارها الشرقي، وينزل إليه سلم مدخله من الجهة الشرقية. ثم قلَّد بقية الملوك والملكات الملك بيي في بناء الأهرام في المدافن الملكية في الكرو ونوري والبركل ومروي بعدها[2] (انظر الشكل رقم 8).

نُحت الدرج في (Ku.17) من الشرق حتى الواجهة الشرقية للحجرة، وهو خطأ أدى إلى صعوبة تشييد المقصورة الجنائزية أمام الهرم، ولتفادي هذا الخطأ لاحقاً قام المعماري الذي شيَّد القبر (Ku.15) – وهو للملك شبكو – بحفر الجزء العلوي من الدرج في الطرف الشرقي وجعله بدون سقف، وعندما وصل إلى الثلث الأخير من طول الدرج قام بفتح مدخل لغرفة القرابين في أسفل الدرج على عمق خمسة أمتار ثم بعد ذلك شيد الغرفة ذاتها، ثم شيد المقصورة على سطح صلب فوق غرفة القرابين مباشرة، فأضاف حجرة دفن خارجية تبلغ أبعادها (4×2.1 متراً) وأرضيتها جزء من الدرج. وتقود الدرجات السبعة التي قطعت على طول هذه الغرفة إلى غرفة الدفن ذات الأرضية الممهدة، وهي أيضاً محفورة داخل الصخر ذي السقف المقبب[3] وتقدر أبعادها بحوالي 6.35×4.60 متراً[4].

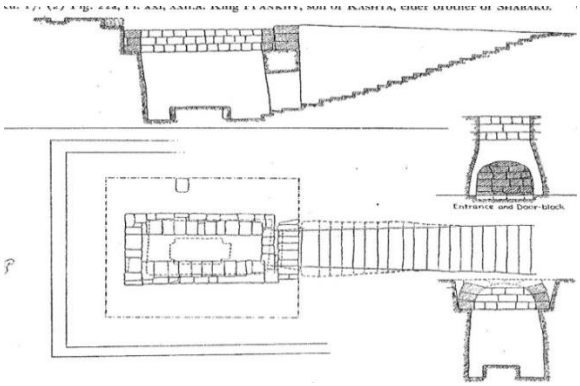

شكل رقم (8) قبر الملك بيي Ku.17 (عن دانهام 1950م)، ص64

القبر التالي هو قبر الملك شبتاكا (Ku.18)، خريطة بناء هذا القبر تجمع بين طريقة قبر بعانخي (بيي) (Ku.17) وخريطة قبر الملك شباكا (Ku.15) فمن جهة يشبه هذا القبر (Ku.17) في كونه محفور على نفس المستوى، وهو ما قاد المعماري إلى إتباع الخطة المنفذة في بناء غرفة الدفن في (Ku.17) ، (انظر الشكل رقم 9).

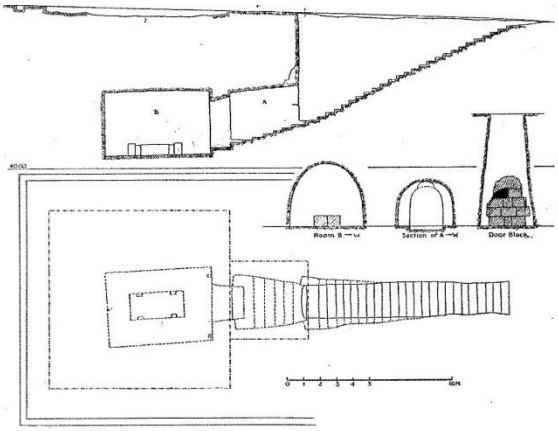

شكل رقم (9) هرم الملك شباكا Ku.15 (عن دانهام 1950م) ص55

(1) العباس سيد أحمد مُحَمَّد علي وعبد القادر محمود عبد الله ، 2010م ، ص35.

(2) عبد القادر محمود عبد الله ، 1424هـ ، ص41.

(3) علي أحمد قسم السيد ، 1982م ، ص67

(4) Dunham. D., 1950. op. cit. P.55.

من ناحية ثانية يشبه قبر شبتاكا قبر شباكا، لكنه تميز عنه بوجود غرفتين، حيث تقوم غرفة القرابين كممر يفضي إلى غرفة الدفن. في الواقع أن القبر (Ku.18) عبارة عن نسخة محسنة من (Ku.15)، توجد بعض قطع من الجص تحمل آثار طلاء على جدران (Ku.18)، اضطر المعماري إلى تحويل اتجاه الدرج بسبب وجود القبر (Ku. 8) أمام هذا القبر فوجه الدرجات التسع الأولى نحو الشمال ثم أعاده إلى اتجاهه الأصلي نحو الغرف تحت الأرضية غرباً[1]، (انظر الشكل رقم 10).

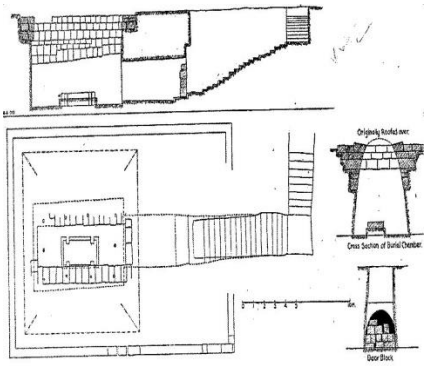

شكل رقم (10) هرم الملك شبتاكا Ku.18
(عن دانهام 1950م) ص67

لم يدفن الملك تهارقا (690-664ق.م) بالكرو إذْ انتقل بالدفن إلى نوري – التي تعتبر الجبانة الملكية الثانية – وشاد هرمه (Nu.1) بها وانتهى الدفن بقبر الملك نستاسن (335-315ق.م)[2]. فبنى الملك تهارقا هرمه مستعملاً نفس خرطة البناء في هرم سلفه شبتاكا، أنهى شبتاكا النفق إلى حيّز مسطح يقود إلى غرفة الدفن، أما تهارقا فقد زاد مساحة الحيز المسطح وجعل له باباً من ناحية السلم فصار بذلك غرفة قبل غرفة الدفن أو ثمة دهليز يقود إليها[3].

آخر هرمين في سلسلة أهرامات الكرو التي تبدو متطابقة تقريباً من الناحية المعمارية هما للملك تانوت أمني (Ku.16)، (انظر الشكل رقم 11) ووالدته الملكة كلهاتا (Ku.5)، (انظر الشكل رقم 12) فغرفتا الدفن في هذين القبرين محفورتان بكاملهما داخل الصخر، وكما في (Ku.15) تعلو غرفة الاستقبال غرفة الدفن بثلاث درجات ولكن نلاحظ في (Ku.16) وربما لأول مرة في قبور ملوك الأسرة الخامسة والعشرين اختفاء الدكة الحجرية، خلافاً لمدفن تهارقا (Nu.1) تميزت حوائط حجر القبران بمشاهد من كتاب الموتى تتعلق بحياة الملك ووالدته في العالم الآخر كما في (Ku.15) و (Ku.18) وربما (Ku.17)[4].

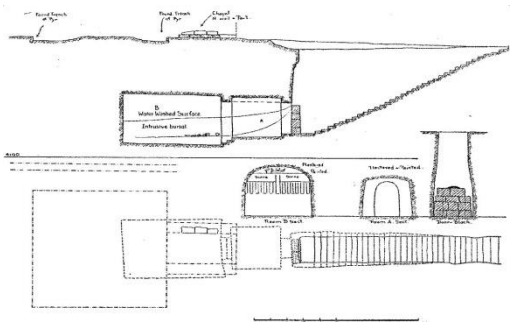

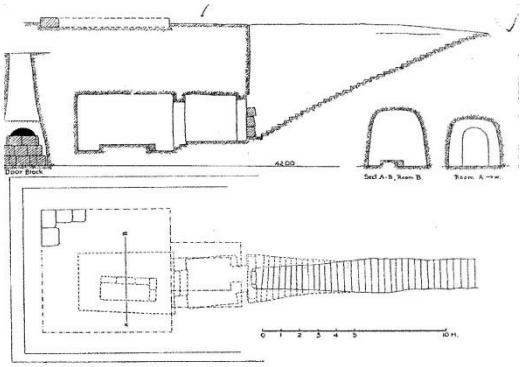

(1) Reisner. G.A., 1918. op. cit. P.76

(2) Dunham. D., 1950. op. cit, p. 49.

(3) المرجع نفسه ، ص67-68

(4) علي أحمد قسم السيد ، 1982م ، ص68-69.

شكل رقم (11) هرم الملك تانوت أمني (Ku.16) (عن دانهام 1950م)، ص60

اسم الملك وهرمه	مساحة غرف الدفن بالمتر	
	الغرفة الأولى	الغرفة الثانية
بعانخي (Ku.17)	٣,١٥×٥,٠٥	غرفة واحدة فقط
شباكا (Ku.15)	٤,٢٠×٤,٢٠	٤,٦٠×٦,٣٥
شبتاكا (Ku.18)	٣×٦	٥,١٠×٦,٤٠
تانوت أمني (Ku.16)	٣×٣	٤,١٥×٦

من الجدول أعلاه يتضح لنا تفاوت حجم غرف الدفن من ملك لآخر، مع ملاحظة أن الغرفة الأولى أصغر من الغرفة الثانية بخاصة لدى الملوك الذين دفنوا بغرفتين، ومرد ذلك أن الغرفة الأولى هي غرفة لتقديم القرابين، والغرفة الثانية وهي غرفة الدفن التي تكون أكبر بشكل مقدر من الغرفة الأولى وذلك لأن وبها يوضع الأثاث الجنائزي.

2-3 التحنيط والأثاث الجنائزي:

أضحت مدافن الكرو متأثرة في معمارها كثيراً بالأساليب والرؤى المصرية في المدافن، وذلك منذ عهد الملك كاشتا، فصاروا يضعون الجثة في وضع ممتد بعد أن تحنط وتوضع في تابوت منقوش عليه صلوات باللُّغة المصرية، وأحياناً جمع الدفن بين وضعين – العنقريب والتابوت، ولم يعد اتجاه وضع الجثمان شمال – جنوب؛ بل أصبح شرق – غرب، وزوِّدت المدافن بأثاث جنائزي احتوى على جرار كانوبية وتماثيل جنائزية "أوشابتي" وتعاويذ مصرية الصنع[1].

لا نستطيع تحديد الفترة التي بدأ فيها الكوشيون تحنيط أجساد موتاهم بسبب اختفاء المومياوات، ومع ذلك يشهد على ممارسة التحنيط وجود الجرار الكانوبية التي تحفظ فيها أحشاء الموتى عندما تستخرج أثناء عملية التحنيط. فوجود تلك الجرار في قبر الملك بعانخي (بيي) (Ku.17) يدل على أن الكوشيين قد تبنوا هذه الممارسة المصرية بعد احتلالهم مصر، وقد وجدت هذه الأوعية في قبور الملوك التالين للملك بعانخي (بيي) المدفونين في هذه الجبانة[2].

تعتبر مقبرة الملك تانوت أمني (Ku.16) ومقبرة والدته كلهاتا (Ku.5) من الأمثلة والشواهد الدامغة على ممارسة التحنيط في جبانة الكرو، حيث توضح النقوش الجنائزية والنصوص على جدران حجرتي دفن كل منهما ممارسة التحنيط[3]. ومن الشواهد أيضاً تصوير الملك تانوت أمني في حجرة الدفن في صورة أوزيريس مضطجعاً على بطنه ويتنسم عبير الحياة من ابنه حورس، كما نجد مشهداً مشابهاً لذلك في حجرة دفن الملكة كلهاتا، وقد صورت هي الأخرى في شكل أوزيريس المحنط وهي مسجية على عنقريبها الجنائزي[4]، (انظر الصورة رقم 3).

(1) فرانسيس جيوز ، مرجع سابق، 2003م ، ص11.

(2) علي أحمد قسم السيد ، 1982م ، ص69.

(3) Dunham. D., 1950. op. cit. p. 86-87.

(4) Ibid. p. 86-88.

صورة رقم (3) تبين الملكة كلهاتا محنطة في شكل أوزوريس 2020م

مزج الملك تانوت امني ربما بين الدفن على العنقريب والتابوت، إذْ يظهر ذلك جلياً من تصاوير الملك في غرفة دفنه فأنه وضع في تابوت، فربما استعمل العنقريب إلى جانب التابوت مازجاً بين التقليدين المحلي والمصري معاً[1].

على الرغم من أن أسلاف ملوك الأسرة الخامسة والعشرين عملوا على بعث كثير من التقاليد الجنائزية التي عرفت خلال حضارة المجموعة (ج) وحضارة كرمة، إلا أنه لم يوجد أي دليل على ممارسة التضحية بالحيوان في تلك الجبانة، فقد وجدت مقبرة خاصة بخيول أربعة من ملوك الأسلاف هم: بيي وشبكو وشبتكو وتانوت أمني، وخصصت لها مقابر منفصلة[2]، كما خلت مدافن الملوك في الكرو من الضحايا البشرية، ولم يوجد أي دليل يشير إلى ممارسة التضحية بالإنسان في تلك الفترة[3].

احتوت معظم المدافن الملكية في جبانة الكرو على الأواني المنزلية، وتعددت أنواعها وأشكالها، وقلما يخلو منها قبر، وكان معظمها من الجرار الطويلة التي تتميز بالمقابض المثبتة على الجانبين، وعثر على مثل ذلك النوع من الأواني بصفة أخص في مدافن الملكات[4].

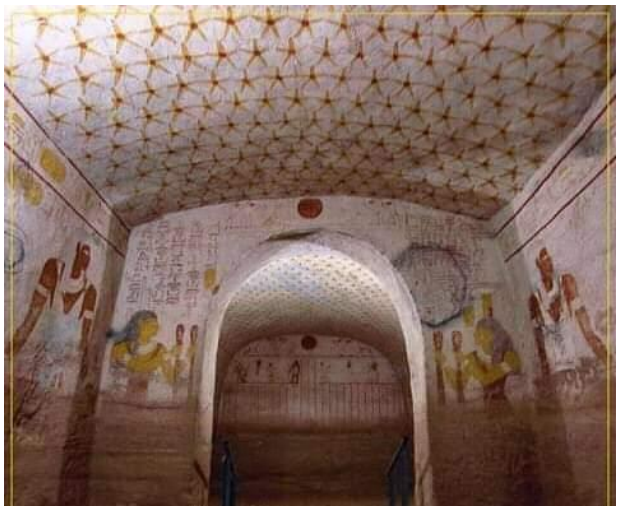

صورة رقم (4) توضح مناظر جنائزية من مدفن الملك تانوتي أمني، تصوير الباحث 2023م

وجدت في معظم مدافن الملوك الجرار الكانوبية، ففي قبر الملك بعانخي (بيي) (Ku.17) وجدت جرار كانوبية مصنوعة من الحجر الجيري، ووجدت في قبر الملك (شباكا) (Ku.15) غطاء جرة في شكل رأس آدمي مصنوع من المرمر[5]، أما قبر الملك شبتاكا (Ku.18) فقد احتوت على أغطية الجرار الكانوبية في شكل رأس آدمي ورأس قرد ورأس

(1) Dunham. D., 1950, P.66.
(2) Id. P. 111.
(3) Shinnie. P.L., 1967: Meroe a Civilization of the Sudan, London., P.150.
(4) Dunham. D., Ibid. P.86.
(5) Dunham, 1950., P.65.

نسر[1]، أما مقبرة الملك تانوت أمني (Ku.16) فقد وجدت فيها الجرار المصنوعة من المرمر والتي احتوت على نقوش هيروغليفية. كانت أغطية الجرار في هذا القبر على أشكال رؤوس الآلهة الأربعة[2] وهم: أمستي، وحعبي، ودواموتف، وقبح سنوف، الذين يعتبروا أبناء حورص[3].

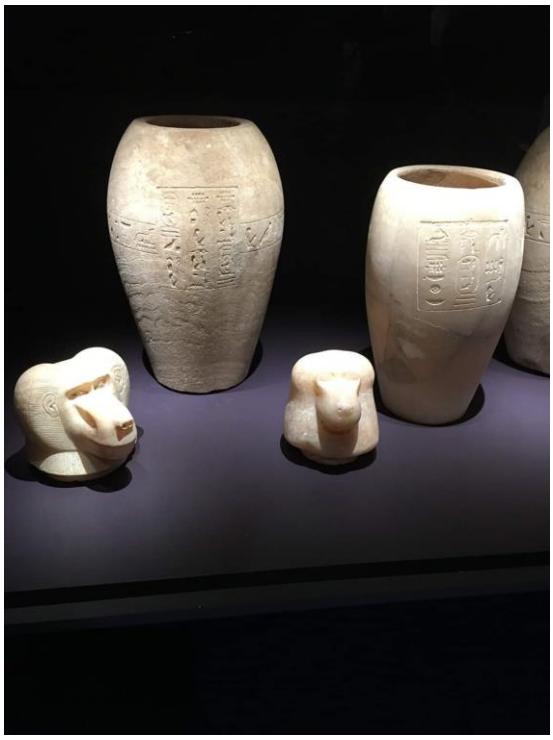

صورة رقم (6) تبين مدافن الخيل بجبانة الكرو، تصوير الباحث

رار الكانوبية بأغطية رؤوس حيوانات

4- مقبرة الخيول:

تم اكتشاف مقبرة للخيول على الطرف الشمالي للهضبة على بعد مائة وعشرون متراً شمال قبر الملك بعانخي (بيي) ، بها حوالي أربعة وعشرين حصاناً مدفوناً، تتكون هذه الجبا أربعة خيول، وصفين في كل منهما ثمانية خيول. كانت قبور الخيول في مسافة متساوية تفصل بعضها عن البعض، ودفن كل حصان واقفاً ورأسه نحو الجنوب. تنسب خيول الصفين الثاني والثالث من تمائمها إلى الملكين شباكا وشبتاكا، أما خيول الصف الأخير فترجع إلى تانوت أمني، بينما تعود خيول الصف الأول للملك بعانخي (بيي). تعرَّضت جُل المحتويات في قبور الخيول للنهب ولم تترك سوى بعض الشكائم وحاملات الرياش ورباط الرأس الفضية وحبات العقود والتمائم، تشير إلى أن الخيول كانت تؤلف فرقاً من العربات الملكية، رغم أنه لا توجد أدلة على دفن العربة مع الخيول، خاص أن القبور كانت ضيقة جداً[4].

ختاماً لذلك يمكننا القول أن الكشف والتنقيب الذي تمَّ في جبانة الكرو على يد رايزنر هو الذي وضع الأ الدفن الكوشي الملكي، كما وضع الملوك، فما توصل إليه من معلومات عن التقاليد الجنائزية وما عثر عليه من مخلفات مع الموتى ساعد في وضع تاريخ لتلك الجبانة الملكية[5]. فتكاد تكون جبانة الكرو الموقع الوحيد

(1) op. cit. P. 68.

(2) Id. 61-63.

(3) أرمان ، أدولف وهرمان رانكة ، مصر والحياة في العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، د.ت ، ص330.

(4) Reisner. G.A., 1918. p.38.

(5) Dunham. D., Id. P.12.

الذي قدم أكبر دليل على الاستمرارية في الحضارة الكوشية بدءاً من الحضارات السابقة لها إلى نهاية المملكة المروية.

الخاتمة:

صفوة القول إن جبانة الكرو هي الوحيدة بين الجبانات الكوشية التي قدمت الدليل على التطورات السياسية والحضارية في هذه البلاد بين (900-653 ق.م)، لذلك مرّت قبورها بعدة مراحل تؤكد هذا التطور. وبعد أن شارفت مساحتها على الامتلاء تحول الدفن الملكي إلى نوري في عهد تهارقا.

وقد اشتملت هذه الدراسة على عدد من النتائج نجملها في الآتي:

1. إن جبانة الكرو(المؤسسة الجنائزية) وفي موقعها الحالي تقع على مقربة من معابد البركل (المؤسسة الدينية) وهذا يؤكد على ارتباطها بالمعابد التعبدية.
2. شهدت مراحل تطور البنى العلوية والسفلى للمدافن باختلاف أشكالها وأحجامها وأنماطها وتقديمها على الأدلة الدامغة على هذا التحول وارتباطها بمراحل للدفن في الحضارات السابقة.
3. شهدت هذه الجبانة تشييد أول بناء هرمي ببلاد كوش وغرفة دفن مقطوعة في الصخر، وكان لهذا التحول أثر كبير في عادات وتقاليد الدفن الكوشي الملكي، إذا أصبحت غرف الدفن كبيرة الحجم لاسايعاب الأثاث الجنائزي الفخيم.
4. كان للملكات مدافن كما للملوك، وهي تقع في الجزء الجنوبي من مدافن الملوك، يفصل بينهما مجرى مائي، فكان لهن مكانة عظيمة وتبجيل من الملوك لهن إذْ تم تخليد أسمائهن في المدافن التي تكونت من غرفتين زينت بالمناظر الجنائزية والنقوش والنصوص الجنائزية.
5. اهتم الملوك الكوشيين الذين دفنوا بالكرو بالخيول اهتماماً بالغاً وخصصوا لها جبانة تؤكد ذلك، وهذه الجبانة الخاصة بالخيول لم توجد في أي موقع آخر سواء بشمال الوادي أو جنوبه – وادي النيل.

المقترحات:

1. تكثيف الدراسة حول هذه الجبانة وتتبع مراحل التطور والمغزى في من ذلك.
2. التعمق في دراسة الأثاث الجنائزي ومحتوياته ومكوناته للوقوف على الحالة الاقتصادية ومدى تمسك الملوك بالعقائد الدينية.

المصادر والمراجع:

1. أرمان، أدولف وهرمان رانكة، مصر والحياة في العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، د.ت.
2. أسامة عبد الرحمن النور، دراسات في تاريخ السودان، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، 2006م.
3. أيسيدور كاتسنلسون : "البحث الآثاري في النوبة الشمالية والسودان" ترجمة أسامة عبد الرحمن النور، مجلة الآثار السودانية، العدد الأول، أغسطس 2001م.
4. تيموثي كندال: "أصل الدولة النبتية: الكرو والبيئة الخاصة بالأسلاف الملكيين" ترجمة أسامة عبد الرحمن النور، مجلة الآثار السودانية، العدد الثامن، يوليو 2006م.

5. تيموثي كندال: "ملوك الجبل المقدس: نباتا وأسرة الكوشيين" في معرض السودان ممالك على النيل، إشراف ديبتريش فيلدونغ، ترجمة بدر الدين عروكي، باريس 1996-1998م.
6. جيمس بيكي، الآثار المصرية في وادي النيل، ترجمة نور الدين الرازي، ج5، 1988م.
7. حسن سليمان محمود وجلال الجاويش، تاريخ السودان في العصور القديمة، مكتبة مصر، الفجالة، 1958م.
8. سامية بشير دفع الله، تاريخ مملكة كوش، دار الأشقاء للطباعة والنشر، الخرطوم بحري، ط1، 2005م.
9. سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبتة، دار هايل للطباعة والنشر، الخرطوم 1999م.
10. العباس سيد أحمد محمد علي وعبد القادر محمود عبد الله، "أصل الأسرة الخامسة والعشرين لمصر كما تعكسه الجبانة الملكية السودانية في الكرو" مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة دنقلا، كلية الآداب والدراسات الإنسانية، العدد الثالث، يناير 2010م.
11. عبد القادر محمود عبد الله، بيي "بعانخي" أول ملكاً للسودان وصعيد مصر، الرياض، فهرسة المكتبة الوطنية، 1424هـ.
12. علي أحمد قسم السيد، الأهمية الأثرية والتاريخية لجبانة الكرو الملكية 1982م، ترجمة سارة حسن محمد إسماعيل البيلي، جامعة الخرطوم، 1998م.
13. عمر حاج الزاكي، مملكة مروي التاريخ والحضارة، مطابع الصلحاني، الخرطوم، 2006م.
14. فرانسيس جيوز: "عادات الدفن في وادي النيل الأعلى: لمحة عامة" ترجمة أسامة عبد الرحمن النور، مجلة الآثار السودانية، العدد الرابع، فبراير 2003م.
15. محمد إبراهيم بكر، "العلاقات الحضارية بين السودان ومصر في العالم القديم"، مجلة الدراسات السودانية، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم ، العدد الثاني، المجلد الأول، 1969م.
16. وليام آدمز، النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، مطبعة الفاطيما، مصر، 2005م.
17. Adams. W.Y., The first Clonial Empire, Egypt In Nubia 3200-1200BC, CSSH. Vol. 26. No. 1, University of Kentucky. 1984
18. Arkell. A.J., A History of the Sudan From the Earliest Time to 1821. Second Edition. London.1961.
19. Dunham. D., Form Tumulus to pyramids and back Archaeology. Vol. 6. Boston. 1953
20. Dunham. D., The Royal Cemeteries of Kush . Vol. 1. El

Kurru, Harvard. University Press, Cambridge.1950.

21. Edwards. I.E.S.,: The Pyramids of Egypt, London, 1961.
22. Kendall T.: "The Origins of the Napatan State A Paper Presented In the 7th International Conference" for Meroitic Studies, Berlin. 1996.
23. Reisner. G.A, "Known and Unknown Kings of Ethiopia" Museum of Fine Art Bulletin, Vol. 97, Boston, 1918. pp 67-81.
24. Reisner. G.A, "Outline of the Ancient History of the Sudan. The First Kingdom of the Ethiopia its Conquest of Egypt and its Development into a Kingdom of the Sudan", SNR. Vol. 2, 1919. pp 35-67.
25. Shinnie. P.L., Meroe a Civilization of the Sudan, London.1967.
26. Trigger. B.G., Nubia under the Pharaohs. Thames and the Hudson. London, 1967.

التنظيمات الارهابية في الشرق الاوسط ،دراسة تاريخية في اساليبها واستراتيجياتها داعش انموذجا"

م.د.غفران محمد صيهود الشبلي
جامعة الكوفة

المقدمة

أنشئ الإرهاب في العراق قاعدة قوية ومنطلق أساسي لأفكاره وعملياته الإجرامية ،وتبنت عدة فصائل مسلحة الفكر التكفيري ،وكان قمة ما وصلت إليه المنظمات الإرهابية ظهور تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وتتنوع الأسباب المؤدية إلى ظهور العنف والإرهاب التطرف، وقد تضافرت كلها أو أغلبها في إنشاء تنظيم الدولة الإسلامية، إن من أهم آثار الإرهاب زعزعة المجتمع والسلم الأهلي الذي يعد من أهم الضروريات الإنسانية لدى البشر. ولذلك فأن معرفة آلية عمل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، يتطلب التعمق بما أنشأه من مؤسسات ساهمت بقيام كيانه في مناطق غرب العراق وشرق سوريا وتضمنت استراتيجيات عمل لكافة المجالات العسكرية والأمنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وقام بتأسيس عدة مجالس (وزارات) للقيام بمهام إدارة هذه المؤسسات.

ومواجهة التنظيم يتطلب العمل ضمن استراتيجيات متعددة أولها استراتيجية التحرك العسكري والصدام المباشر كذلك استراتيجيات متوسطة وطويلة المدى من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة إذ يعد الجانب الاقتصادي أحد أهم الجوانب المساعدة لديمومة المورد البشري، وكذلك فإن الجانب السياسي والسجالات والخلافات السياسية إحدى أهم عوامل التطرف. وتجنب العمل على تفعيل مؤسسات المجتمع المدني ومراكز الحوار والقيام بالمصالحة المجتمعية الحقيقية وإعلاء مفهوم المواطنة على اعتبار هي الهوية الجامعة.

اهمية البحث: تتجلى أهمية البحث من اختيارنا لأحدى اهم الظواهر والتي تعتبر من الفواعل من غير الدول وهي : ظاهرة (داعش) تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، حيث تعد من الظواهر التي يجري الحديث عنها وتحليلها في كل ميادين الحياة العامة السياسية والاجتماعية والفكرية، فضلاً عن الخطورة التي ينطوي على الإرهاب وأثره في الفرد والمجتمع والمؤسسات والدولة وحتى المجتمع الدولي بأسره.

فرضية البحث:يقوم البحث على فرضية أن معرفة الية عمل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) ومعرفة مصادر التمويل المالي وكذلك ومعرفة الوسائل التي يتبعها لتجنيد، فتؤدي هذه المعرفة الى سهولة المواجهة المباشرة وتقليل من خسائرها وكذلك التبوء بتحركاته والقضاء عليه.

إشكالية البحث: يحاول البحث بناء أطار تحليلي لدراسة معمقة عن هيكلية والية واستراتيجية وميكانيكية (داعش) الدولة الإسلامية في العراق والشام وماهي ابرز العوامل التي أدت الى صعود هذا التنظيم ونطرح بعض الأسئلة التي يتناولها موضوع البحث وسنحاول الإجابة عليها:

١. ما هو أصل النشأة لتنظيم (داعش) الدولة الإسلامية في العراق والشام؟

2. ماهي الية عمل الدولة الإسلامية في العراق والشام؟

3. كيفية مواجهة هذا التنظيم؟

منهجية البحث: لقد تطلب استخدام عدة مناهج من أجل الوصول إلى هدف البحث، حيث تم استخدام المنهج التاريخي لمعرفة التاريخ الأيديولوجي لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، وكذلك استخدام المنهج المقارن لمقارنة تنظيم داعش مع التنظيمات الجهادية الراديكالية الأخرى، وكذلك تم استخدام المنهج التحليلي لتحليل آليات عمل التنظيم واستراتيجيات التي يتبعها خصوصاً في الجانب العسكري، وكذلك استخدام المنهج الوصف لوصف بعض الأحداث التي حدثت في المناطق التي سيطر عليها التنظيم.

هيكلية البحث:استناداً إلى منطلقات ومدركات الفرضية والاشكالية التي تمت صياغتها تم تقسيم هيكلية البحث إلى ثلاثة مباحث :

تناول المبحث الأول مفهوم الإرهاب وأنواعه وكذلك نشأة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش).

وفي المبحث الثاني نتناول آلية عمل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام داعش ومعرفة الهيكلية ومصادر التمويل والبنية العسكرية، وكذلك دور العامل الدولي في دعم وتقوية هذا التنظيم.

أما المبحث الثالث نبين الكيفية التي ممكن اتباعها لمواجهة هذا التنظيم سواء بالمواجهة المباشرة أو المواجهة الناعمة.

المبحث الأول

مفهوم الإرهاب وكيفية تشكيل تنظيم الدول الإسلامية (داعش)

إن مفهوم الإرهاب أصبح من المفاهيم المتداولة بشكل كبير وبكافة الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى دخل هذا المفهوم بإطار العلاقات الدولية وقد تصاعد التأثير للتنظيمات الراديكالية والإرهابية في العقود الثلاثة الماضية وبالذات لمنطقة الشرق الأوسط ويعد (داعش) تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام آخر مراحل التطور لمفهوم الإرهاب عالمياً، وسنبين في هذا المبحث على شكل مطلبين سنتناول في الأول مفهوم الإرهاب، والثاني داعش النشأة والتشكل.

المطلب الأول/ مفهوم الإرهاب

تعد ظاهرة الإرهاب من مظاهر العنف الذي تفشى في المجتمعات الدولية فمنذ أوائل السبعينات من القرن الماضي وكلمة الإرهاب ومشتقاتها مثل «إرهابي» و «الإرهاب المضاد» قد غزت أدبيات جميع فروع العلوم الاجتماعية، وعلى الرغم من عدم وجود اتفاق جدول مفهوم محدد للإرهاب فسنحاول تحديده من خلال توضيح مفهوم الإرهاب لغة واصطلاحاً[1].

١ - الإرهاب لغة:أتت كلمة الإرهاب من رهب ،رهباً ،رهبة ولقد أقر المجمع اللغوي كلمة الإرهاب ككلمة حديثة في اللغة العربية أساسها (رهب)

---

[1] عبد السلام بوهوش جريمة الإرهاب، ط1، مطبعة الكرامة، الرباط، ٢٠٠٤، ص ٢١.

بمعنى خاف[1]. وأرهب ثلاثاً بمعنى خوفه وفزعه[2]، والإرهابيون وصف يطلق على اللذين يسلكون سبل العنف لتحقيق أهدافهم، ويتفق ما تقدم من معنى الإرهاب في اللغات القديمة كاليونانية واللاتينية إذ يعبر عنه حركة من الجسد تفزع الغير وانتقل هذا المعنى إلى اللغات الحديثة.

2- الإرهاب اصطلاحاً: يعرف الإرهاب اصطلاحاً بأنه الأفعال الإجرامية الموجهة ضد الدولة والتي يتمثل غرضها أو طبيعتها في إشاعة الرعب لدى شخصيات معينة أو جماعات من الأشخاص، أو عامة الشعب وتنسجم هذه الأفعال بالتخويف المقترن بالعنف، مثل اعمال التفجير وتدمير المنشآت العامة وتحطيم الشكوك الحديدية وتسميم مياه الشرب ونشر الأمراض المعدية والقتل الجماعي[3]. وكذلك يعرف تعريفاً حديثاً بأنه "استراتيجية عنف خرم دولياً تحفزها بواعث عقائدية، وتهدف إلى أحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين، لتحقيق الوصول إلى السلطة أو المطالبة بمطالب خاصة أو لدفع مظلمة بغض النظر إذا كانوا مقترفوا العنف يعملون من اجل أنفسهم أو نيابة عن دولة من الدول"[4].

3- أنواع الإرهاب

النوع الأول: الإرهاب الفردي والإرهاب الجماعي

الإرهاب الفردي: هو الإرهاب القائم من قبل أفراد ويسمى أيضاً «الإرهاب السلطوي» وهو يوجه إلى فئة أو طائفة أو دولة أو إحدى مؤسساتها يتخذ الإرهاب الفردي هدفاً دينياً أو سياسياً أو شخصياً أو هارباً ومن أولى هذه العمليات التي ما أخبرنا به القرآن الكريم في قصة هابيل وقابيل ومن أشهر العمليات الإرهابية الفردية هي ما قام به الإرهابي العالمي «كارلوس» في النمسا سنة ١٩٧٥ حينما أحتجز (١١) وزيراً من وزراء النفط العرب كرهائن وقد تنازلت عصبة الأمم حدثت هي الإرهاب الفردي في المادة ٣٢/1.

أما **الإرهاب الجماعي:** فهو الإرهاب القائم من قبل جماعات معينة بدوافع عقائدية أو سياسية أو اجتماعية وانتشرت هذه الظاهرة في سبعينات القرن الماضي بعد نجاح هذه الجماعات في تحقيق أهدافها وقد تنوع هذا النوع من الإرهاب من ناحية الأهداف والأشكال حيث شملت الجماعات السياسية وأشهرها الجماعات اليهودية والإسلامية واليسارية واليمنية وتأخذ أسلوب العنف السياسي في الوصول لأهدافها وكذلك شملت الجماعات الاقتصادية والاجتماعية التي اتخذت من الإرهاب وسيلة لتحقيق مصالحها الاقتصادية والمالية أو حمايتها ومن أشكالها العصابات والمافيات حيث تقوم هذه الجماعات بالأعمال غير المشروعة كالقتل والاختطاف والتهديد وكذلك القيام بأعمال غير مشروعة كالإتجار بالأسلحة والسرقة والجريمة المنظمة ومن أشهرها المانيا الإيطالية والأمريكية وأجهزة الاستخبارات التابعة إلى بعض الدول وتأخذ هذه الأجهزة أسلوب القتل والتخريب

---

[1] مجمع اللغة العربية، (مجموعة مؤلفين)، المجمع الوسيط ،ط1، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩١، ص٣٩٠.

[2] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ٢٠٠٣، ج ١، ص155.

[3] محمود صالح العادلي، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب، ط1، دار الفكر ، بيروت، ٢٠٠٣، ص٢٨.

[4] عبد السلام بدهوش، مصدر سابق، ص ٤٣.

والخطف وتدبير المؤامرات وأحداث الفوضى لتحقيق أهدافها[1].

النوع الثاني: الإرهاب الدولي

أولاً: مفهوم إلارهاب الدولي: يقصد بالإرهاب الدولي الأعمال التي تهدف للاحتلال أو التخريب أو الاعتداء أو التدمير وزعزعة كيان الدولي وبث الرعب والخوف لدى مواطني دولة ما، وكذلك يأخذ شكل القتل الجماعي مما يثير الاضطراب والقلق في المجتمع الدولي وهذا ما دفع منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٧٢ إلى إضافة لنظم دولي إلى مصطلح الإرهاب وبذلك أصبح هذا المصطلح يستخدم للتعبير عن تلك العمليات الإرهابية وإلى إنشاء لجنة متخصصة لدراسة الأسباب والدوافع الكامنة وراء عمليات الإرهاب الدولي[2] ويعد القرار الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٧٢/12/18 القرار الأبرز الذي تنازل موضوع قمع الإرهاب بشكل تفصيلي.

ثانياً : أركان الإرهاب الدولي

1 - **الركن المادي:** وفقاً للمادة الأولى الفقرة الثانية من اتفاقية جنيف الخاصة بمكافحة ومعاقبة الإرهاب إن الركن المادية يتمثل : الأعمال الإرهابية التي يتجلى منها أفعال التخويف المقترن بالعنف ومنها أعمال التفجير وتدمير المنشآت والقتل الجماعي والخطف وتسميم مياه الشرب.... الخ.

2- **الركن المعنوي:** ويمثل هذا الركن تقصد الجاني «الإرهابي» إلى تحقيق فعله من خلال إشاعة الرعب والإرهاب لدى شخصيات معينة أو مجموعات من الأفراد أو لدى عموم الشعب سواء كان الباعث على جريمة الإرهاب تحقيق أهداف سياسية أو مالية أو شخصية.

3- **الركن الدولي:** وذلك عندما تقوم دولة بأعمالها الإرهابية تنفيذاً لخطة مرسومة ومعلومة ضد دولة أخرى سواء كانت أفعال الإرهاب دفعة واحدة ضد الدولة الأخرى وأعمال إرهابية متعاقبة وسواء كان المنفذ فرداً أو مجموعة أشخاص أو من قبل الدولة أو أحد أجهزتها، وتنتفي صفة الإرهاب الدولي في حالة قيام الإرهابي بتنفيذ الأفعال الإرهابية بإرادته المنفردة أو لمصلحة شخص معين أو مصلحته الشخصية.

إن قيام الأركان الثلاثة تؤدي إلى إدراج تلك الجرائم ضمن جرائم الإرهاب الدولي ويجب محاكمة الجاني وفقاً للقانون السائد والقضاء الدولي إضافة إلى إمكانية إحالته إلى المحكمة الجنائية الدولية وأتجه الفقه الدولي إلى اعتبار الإرهاب جريمة إرهاب دولية يوجد فيها مرتكبوا هذه الأعمال أو بدعم دولة أجنبية حسب (المادة الثانية من اتفاقية المعاقبة على تحويل الإرهاب)[3].

٤- تطور واتساع ظاهرة الإرهاب الدولي:

كانت نقطة البداية في أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن حيث تعتبر نقلة نوعية في تطور ظاهرة الإرهاب وبدت أقرب

---

[1] عبد الأحمد يوسف، الجريمة المنظمة، دار الكلمة، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٢٣.

[2] Wikinsionp: Three questions on terrorism in Goremment and op Dsition, vol k No3. London, 1973, p292.

[3] http://www.broonzyah.net/vb.

ما يعرف بالإرهاب الجديد»[1]، حيث شمل هذا التطور مضمون وطبيعة ونوع العمل الإرهابي حيث بدأ يأخذ متغيرات البيئة الدولية التي يتحرك فيها والانطلاق إلى أبعد الدول للقيام بعملياته. وكذلك بأن ظاهرة الإرهاب الدولي في تطور مستمر في الوسائل والأساليب واستخدام الأسلحة المتطورة والمحرمة دولياً (كما في التهم المتبادلة في الحرب السورية حول استخدام أسلحة الدمار الشامل)، وكذلك تجنيد الأطفال وتدريبهم للقيام بكافة الأعمال وأن يصبح هؤلاء عماد التنظيمات وتعد ظاهرة ما يعرف تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام قمة ما وصلت إليه التنظيمات الإرهابية من ناحية الوسائل والآليات ووسائل السيطرة واستخدام الإمكانيات المادية والمعنوية المتطورة وقدره هذه التنظيم على تأسيس دولة شملت أجزاء واسعة من سوريا والعراق وربط المناطق في كلا الدولتين تحت قيادة مركزية موحدة وسنحاول التركيز على بداية نشوء هذا التنظيم ومراحل تطوره وكيفية إدارته إلى المناطق التي خضعت له وسبل مواجهة هذا النوع من التنظيمات.

المطلب الثاني/ داعش النشأة والتشكيل

على الرغم من العناوين الرئيسية اليومية المتعلقة بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) إلا إن الغموض لازال يكتنفها في نظر العديد من الناس وبحسب اعتراف الجنرال (مايكل ناجاتا) قائد العمليات الخاصة في القيادة المركزية الأمريكية في أواخر ديسمبر ٢٠١٤، **" نحن لا نفهم الجماعة - يقصد تنظيم الدولة الإسلامية - وقبل أن تفهمها لن نستطيع هزيمتها»**، وعن ايديولوجية الجماعة (داعش) علق قائلاً «**نحن لن نهزم الفكرة، لأننا لم نفهما لحد الآن**»[2]. ومن هذا الغموض يجب معرفة الملامح الرئيسية لأيديولوجية تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) عن طريق تتبع مسارها التاريخي عن طريق معرفة ما يلي:

أولاً: المعتقدات الدينية والسياسية الأساسية ووصفها في سياق الفكر السياسي الإسلامي.

ثانياً: التاريخ الأيديولوجي للدولة الإسلامية «داعش» بما في ذلك مناظرة الجهاديين أنفسهم وهذا الجزء ينقسم إلى أربع مراحل.

المرحلة الأولى: مرحلة فكرة تنظيم الدولة الإسلامية من سنة (٢٠٠٢-٢٠٠٦) وهي فترة صعود الجهاد في العراق تحت قيادة أبو مصعب الزرقاوي (قتل سنة (٢٠٠٦).

المرحلة الثانية: مرحلة تأسيسي ـ تنظيم الدولة الإسلامية في العراق (٢٠٠٦-٢٠١٣) وهي محاولة فاشلة لإنشاء الدولة تزامنت مع ضمن الجهاد في البلاد.

المرحلة الثالثة : مرحلة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (٢٠١٣-٢٠١٤) والتي شهدت

[1] مفهوم وجد في الأدبيات السياسية خلال التسعينات وشاع استخدامه من جانب اللجان العديدة التي شكلها الكونغرس الأمريكي مثل لجان برايمر وجيني مورو درتش والتي حذرت تقاريرها إن هذا النوع من الإرهاب يتم اللجوء إليه لتنفيذ هجمات واسعة النطاق في الولايات المتحدة بمزيد من التفصيل أنظر : أحمد إبراهيم محمود الإرهاب الجديد الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٣٧ السنة الثامنة والثلاثون يناير ٢٠٠٠، ص ٤٤.

[2] Eric Schmitt, in Battle to Defang ISIS, u.s. Targets its psychology, The new yourk Times, 28 December 2014.

والنجاح المتأخر لفكرة تنظيم الدولة الإسلامية من خلال توسيع الجماعة (داعش) لتشمل سوريا.

المرحلة الرابعة : هي مرحلة تنظيم الدولة الإسلامية باعتبارها الخلافة الصحيحة ابتداءاً من حزيران ٢٠١٤ فصاعداً[1].

أولاً: المعتقدات الدينية والسياسية للدولة الإسلامية "داعش":

لو وضعنا السلفية الجهادية على طيف سياسي فسنجد إن تنظيم القاعدة يقع إلى يمين الطيف وتنظيم الدولة الإسلامية إلى يساره، فمن حيث المبدأ تلتزم كلا المجموعتين بالعقيدة السلفية وتضربان مثالاً حياً على الطبيعة السلفية المتنامية للحركة الجهادية، ولكن تنظيم الدولة الإسلامية تعتبر أكثر تزمتاً، وعلى عكس تنظيم القاعدة، يعد تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» متصلبة جداً فيما يتعلق بالمسائل العقائدية، معطية الأولوية لإنشاء طراز عديم الرحمة من الفكر السلفي الجهادي[2].

وفي سنة ٢٠٠٧ خاطب زعيم تنظيم الدولة الإسلامية وقتها (أبو عمر البغدادي) أهل السنة بشكل عام وشباب السلفية الجهادية بشكل خاص في جميع أنحاء العالم[3].

وتتميز تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» بمرجعياتها الخاصة من العلماء والذين هم ينتمون بشكل أساسي إلى جيل المرجعيات الأصغر سناً من مرجعيات تنظيم القاعدة ولعل من أبرزهم البحريني "تركي البنعلي" ذو الثلاثين عاماً حيث كان أحد تلامذة أبي مُحَمَّد المقدسي حيث قام البنعلي بتوجيه نقداً لاذعاً إلى معلمه المقدسي بسبب رفض المقدسي لمشروع تنظيم الدولة الإسلامية[4].

لقد كانت وجهة نظر البنعلي هي اعتبار إن تنظيم الدولة الإسلامية، مثلها كمثل الدولة الوهابية من قبلها، فهي الحارس الأمين للتراث السلفي الوهابي وإن الجهاديين السلفين غير المؤيدين للدولة يقفون ضد مسار التاريخ.

ثانياً : معرفة التاريخ الايديلوجي للدولة الإسلامية «داعش»

المرحلة الأولى - مرحلة أبي مصعب الزرقاوي «٢٠٠٢-٢٠٠٦»

بعد الحرب التي شنتها أمريكا على أفغانستان سنة ٢٠٠١ وسقوط دولة طالبان، أنتقل أبي مصعب الزرقاوي إلى المناطق الكردية الواقعة شمال العراق عام ٢٠٠٢ حيث أسس جماعة التوحيد والجهاد وفي سنة ٢٠٠٤ بايع الزرقاوي أسامة بن لادن مسمياً الجماعة بتنظيم القاعدة في العراق[5]،

---

[1] مدته تحليلية صادرة عن مركز بدر كنجز في الدوحة شارع ١٣ تشرين الثاني ٢٠١٤، تحت عنوان Profiling the Islamic state – Charles Lister وعلى الرابط التالي: http://www.edu/media/Research/files/Reports/Files/Reports/2014/11/profiling%2isiamic%state%zolister/en-web-lister.pdf

[2] كوي بونزل ترجمة هند ،مسعد داعش والجماعات القتالية (دراسات عربية وغربية)، ط ١، مركز نماء للبحوث والدراسات الرياض، ٢٠١٦، ص ٢٥٧.

[3] أبو عمر البغدادي، وإن تنتهوا فهو خير لكم، مؤسسة الفرقان، ٨ تموز ٢٠٠٧.

[4] تركي البنعلي – "شيخي الأسبق"، ٣١ أيار ٢٠١٤، على الرابط : http://-?teBhp/www.qul

[5] كول ،بوئزل ترجمة هند ،مسعد مصدر سابق، ص ٢٦٧.

وتحدث الزرقاوي بوضوح عن استراتيجية تستهدف المجتمع الشيعي العراقي بنية تأجيج الحرب الأهلية، وفي خطاب أرسله الزرقاوي إلى تنظيم القاعدة، القوات الأمريكية لاحقاً، هاجم الزرقاي الشيعة على المستوى العقائدي والسياسي وظلت حبالاته حجر الزاوية في أيديولوجية تنظيم الدولة الإسلامية، وفي بيان صوتي صادر في شباط ٢٠١٢ لأبو مُحَمَّد العدناني أكد على المستعمين بأن محاضرات الزرقاوي تعتبر القول الفصل فيما يتعلق بالشيعة[1].

أرسل أيمن الظواهري في حزيران ٢٠٠5 خطاباً تمكنت القوات الأمريكية من اعتراضه حيث يؤكد الظواهري في خطابه إلى الزرقاوي على استراتيجية تنظيم القاعدة في العراق كونه من أربع مراحل طرد الأمريكيين من العراق، وإقامة دلة إسلامية، وتوسيع ساحة الجهاد لتشمل جيران العراق، ومواجهة إسرائيل في نهاية المطاف[2]، أما القائد الثالث فهو «عطية الله الليبي» حيث كتب إلى الزرقاوي في أيلول ٢٠٠5 إلى تدمير الدولة والسلطة الموجودتين وتشديد تنظيم الدولة الإسلامية أو تشييد ما يمكن اعتباره حجر زاوية فهو بناء تنظيم الدولة الإسلامية.

وفي نيسان ٢٠٠٦ ظهر الزرقاوي ولأول مرة مكشوف الوجه في شريط فيديو حيا فيه مجلس شورى المجاهدين باعتباره نقطة انطلاقة تأسيس تنظيم الدولة الإسلامية وبعد شهرين من هذا الفيديو وفي يوم 7 حزيران قتل الزرقاوي في غارة جوية أمريكية في ديالى، بعد وفاة الزرقاوي حث تنظيم القاعدة في العراق المجاهدين على المضي قدماً في تنفيذ استراتيجية الخلافة وهذا ما أكده الظواهري في رثاء الزرقاوي.

المرحلة الثانية : الدولة الافتراضية (٢٠٠٦-٢٠١٣)

أعلن تنظيم القاعدة في العراق في ١٢ حزيران ٢٠٠٦ إن أبا حمزة المهاجر أصبح خليفة للزرقاوي كقائد للتنظيم في العراق، ويعرف أيضاً بأبي أيوب المصري، كان شديد القرب من الزرقاوي، وعضواً بارزاً في جماعة الظواهري للجهاد والإسلام في مصر، إلا أنه لم يستمر في منصبه لفترة طويلة، إذ أنه في ١٢ تشرين الأول ٢٠٠٦ أعلن مجلس شورى المجاهدين عن تشكيل حلف المطيبين» وهو يشكل من عدد الفصائل الجهادي وزعماء بعض العشائر السنية والذي أعلن بعدها بثلاثة أيام إقامة «دولة العراق «الإسلامية وكانت الإمارات العراقية تحت إدراتهم هي «بغداد، ديالى كركوك، صلاح الدين ونينوى، وأجزاء من بابل وواسط» وتلا البيان الصوتي الذي كشف فيه إقامة تنظيم الدولة الإسلامية الناطق الإعلامي «محارب الجبوري» والذي تم إطلاق لقب أيمر المؤمنين على «أبو عمر البغدادي» وعين أبا حمزة المهاجر نائباً له ووزيراً للحرب في تنظيم الدولة الإسلامية، وتم استخدام

---

[1] أبو محمد العدناني العراق العراق يا أهل السنة»، مؤسسة الفرقان، ٢٤ شباط ٢٠١٢، على الرابط التالي: http://archive.org/download/nokbah672/iaq2d2.pdf

[2] http://www.foreignaffairs.com/articles/141976/william-mccants/stak-of-confusion.

مؤسسة الفرقان الإعلامي لمخاطبة العالم دون الظهور على العلن[1].

كان تنظيم الدولة الإسلامية قد خسر ـ أي مظهر من مظاهر الدولة بعد مقتل أبي عمر البغدادي وأبي حمزة المهاجر في غارة مشتركة للقوات الأمريكية والقوات العراقية قرب تكريت في ١٨ نيسان ٢٠١٠، وفي غضون شهر من مقتلها عين مجلس شورى تنظيم الدولة الإسلامية أميراً جديداً وهو أبي بكر البغدادي[2] تم تعيين أبي مُحَمَّد العدناني ناطقاً للدولة الإسلامية وهو سوري الجنسية.وفي كانون الثاني ٢٠١٢ بدا تنظيم الدولة الإسلامية على وشك العودة، وأعلن أبو بكر البغدادي إن تنظيم الدولة الإسلامية تعود من جديد وتزحف لتسيطر على الأرض كما كانت ،وان تنظيم الدولة الإسلامية لا يعترف بالحدود المصطنعة ولا بجنسية غير الإسلام، وفي هذه الأثناء أرسل البغدادي مجموعة من المقاتلين المختارين بعناية إلى سوريا لتشكيل جماعة جهادية اسمها «جبهة النصرة»، والتي اشتهرت كأهم جماعة سنية ثائرة في الحرب الأهلية السورية ولم تجهر بعلاقتها مع تنظيم الدولة الإسلامية وعين أبو مُحَمَّد الجولاني زعيماً لهذه الجبهة[3].

المرحلة الثالثة : الدولة المتشرذمة ٢٠١٣-٢٠١٤

أصدر أبو بكر البغدادي في 9 نيسان ٢٠١٣ ،بياناً صوتياً يعلن فيه توسيع تنظيم الدولة الإسلامية إلى «الشام» وكشف إن جبهة النصرة ما هي إلى امتداد لدولة العراق الإسلامية وإن أميرها أبي مُحَمَّد الجولاني هو واحد من جنود الخلافة الإسلامية كان قد أرسل إلى سوريا مع مجموعة من زملاءه في مهمة سرية قد خلف «متوكلين على الله: إلغاء اسم دولة العراق الإسلامية، وإلغاء اسم جبهة النصرة وتعلن إقامة تنظيم الدولة الإسلامية، وإلغاء إسم جبهة النصرة، وتعلن إقامة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام لتصبح راية الجماعة هي راية الخلافة إن شاء الله». لم يقبل الجولاني وأصدر في ١٠ نيسان ٢٠١٣ بياناً، يرفض فيه حل «جبهة النصرة» وأكد على مبايعة أيمن الظواهري وأصبحت جبهة النصرة رسمياً تابعة على تنظيم القاعدة، وعلى كل حال انتقلت تنظيم الدولة الإسلامية إلى سوريا رغم اعتراض الجولاني، واستقطبت الآلاف من جبهة النصرة إلى صفوفها ولم يقبل أي من الطرفين تقبل الآخر في سوريا[4]. وفي أواخر أيار ٢٠١٣ تدخل الظواهري شخصياً لحل الخلاف في رسالة مكتوبة نشرتها الجزيرة في حزيران ٢٠١٣ حيث الغى الظواهري تأسيس دولة العراق والشام الإسلامية وطالب بفصل نطاق سلطاتها، رفض البغدادي هذا التدخل حيث أنه لا يعتبر أصدقائه على اعتبار أنه «أمير المؤمنين» لا يقال له ماذا يفعل وفي 15 حزيران ٢٠١٣ ، وصف البغدادي ما قاله الظواهري معلناً إن «تنظيم الدولة الإسلامية

---

[1] كول بونزل ترجمة هند ،سعد، مصدر سابق، ص٢٧٥.

[2] بيان مركز شورى دولة الفرات الإسلامية، مركز الفجر للإعلام ١٦ أيار ٢٠١٠.

[3] كول يونزل ترجمة هند ،سعد، مصدر سابق، ص ٢٨٩.

[4] المصدر نفسه، ص ٢٩٢.

في العراق باقية ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف»[1].

أدت هذه المواقف إلى حدوث اشتباكات دموية بين تنظيم الدولة الإسلامية وباقي الفصائل الإسلامية التابعة إلى تنظيم القاعدة في سوريا وفي ٢ شباط ٢٠١٤ أصدر تنظيم القاعدة بياناً رسمياً يقطع صلته تماماً بتنظيم الدولة الإسلامية، حيث أكد البيان على إن جماعة القاعدة ليست مسؤولة عن تصرفات تنظيم الدولة الإسلامية ولا يربطها بها علاقة تنظيمية، ورفض الإشارة إلى تنظيم الدولة الإسلامية على أنها دولة، رد تركي البنعلي على بيان القاعدة بقوله إن تنظيم الدولة الإسلامية ليست فرعاً ثابتاً للقاعدة، ولم تكن يوماً كذلك».

المرحلة الرابعة: الجهر بالخلافة (٢٠١٤)

قام تنظيم الدولة الإسلامية في حزيران ٢٠١٤ بتحرك مفاجئ هذه المرة في العراق، حيث اجتاحت غرب العراق بلا أي عوائق تقريباً، محتلة معظم المناطق السنية بما في ذلك مدينة الموصل وفي ٢٩ حزيران ٢٠١٤ أعلنت الخلافة الإسلامية في خطاب صوتي مبتهج بالنصر بثه أبو مُحَمَّد العدناني، وجاء فيه: **وليت عليكم، ولست خيركم ولا أفضل منكم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فأنصحوني وسددوني، وأطيعوني ما أطعت الله فيكم، وإن عصيته فلا طاعة لي عليكم**[2]. ومن هذا الحدث فصاعداً أصبحت «تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام» باسم «تنظيم الدولة الإسلامية» فقط لتشمل سيادتها العالم أجمع وليس العراق وسوريا فقط[3].

المبحث الثاني

البنية الهيكلية والتنظيمية للدولة الإسلامي (داعش) والعوامل الخارجية

بعد سيطرة تنظيم (داعش) على مدينة الموصل والمناطق الشرقية من سوريا وإعلان تشكيل (الخلافة) تمكن التنظيم الإرهابي من إدارة هذه المناطق عسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وفرض آرائه وتوجهاته بالقوة في هذه المناطق وبنى هيكلية تنظيمية وأمنية وعسكرية واقتصادية لإدارة دولته المزعومة وهذا منا سنوضحه في المطلب الأول آلية عمل تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» بإنشاء الهيكلي التنظيمي والدعم والتمويل المالي والتنظيم العسكري، والمؤسسة الإعلامية، وفي المطلب الثاني بينا استراتيجيات الدولية والإقليمية ومساهمتها في تمدد هذا التنظيم.

المطلب الأول/ آلية عمل تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»

أولاً: الهيكل التنظيمي: يعتبر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) من أكثر الحركات الجهادية العالمية تطوراً على المستوى الهيكلي التنظيمي والإداري: فقد تطورت بنية التنظيم بالاستناد إلى المزاوجة بين الأشكال التنظيمية الأساسية التقليدية في الفقه السلطاني الذي يقوم على الغلبة والإمارة والشوكة؛ والأشكال الحديثة التنظيمية لمفهوم الدولة الذي يستند إلى جهاز عسكري أمني وآخر أيدولوجي

---

[1] أبو بكر البغدادي، «باقية في العراق والشام»، مؤسسة الفرقان، 15حزيران ٢٠١٣.

[2] أبو بكر البغدادي، خطبة جامع النوري على الرابط : http://archive.org/download/kutbaik-j.pdf

[3] كول بوزل، ترجمة هند سعد، مصدر سابق، ص٣٠٢.

بيروقراطي وأهم أركان الهيكل التنظيمي للدولة الإسلامية (داعش) هي:

أ- «الخليفة»: إذ يتولى الخليفة سائر الوظائف الدينية والدنيوية المذكورة في التراث السياسي الإسلامي السني وفقه الأحكام السلطانية، بوصفه قائد ديني وسياسي له حق الطاعة بعد اختياره من قبل مجلس الشورى وأهل الحل والعقد ويجب أن يجمع شروط الولاية كالعلم الشرعي والنسب القرشي وسلامة الحواس. وتعتمد البنية التنظيمية للدولة الإسلامية (داعش) على هيكلية هرمية يعتبر الخليفة رأسها ويشرف إشرافاً مباشراً على «المجالس» وهي تسمية استخدمها البغدادي بدلاً عن تسمية الوزارات التي اعتمدها أبو عمر البغدادي.

دخلت تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في عهد أبو بكر البغدادي في طور تنظيمي عسكري أمني شديد السرية والارتياب إذ أسهم منذ توليه إمارة التنظيم في إعادة هيكلية معتمداً في الجانب العسكري على ضباط عراقيين سلفيين سابقين[1].

وأهم المفاصل التنظيمية للدولة الإسلامية «داعش» التي يديرها الخليفة بصورة مباشرة هي:

- أمن واستخبارات الولايات ومتابعة التنظيم.
- مجلس الشورى.
- المجلس العسكري.
- الإعلام «مؤسسة الفرقان للإعلام».
- الهيئات الشرعية.
- بريد الولايات.
- بيت المال.

إن جميع قيادات وأمراء هذه الوظائف يتم تعيينهم من قبل «البغدادي» في العراق وسوريا وكذلك يمكنه إصدار أوامره للمجلس العسكري وكذلك نقض أي قرار لا يتوافق مع توجهه[2].

ب- المجلس العسكري: أنشأه البغدادي بعد أن ألغى وزارة الحرب وهو يتكون من رئيس المجلس وثلاثة أعضاء، مهمتهم التخطيط وإدارة الأمراء العسكريين في ولايات التنظيم ومتابعة نتائج القرارات وأغلب أعضاء هذا المجلس من ضباط الجيش العراقي السابق[3].

ج- الهيئات الشرعية: ولها الدور الأبرز في صنع الحماسية والعاطفة القتالية وصياغة خطابات البغدادي وكذلك الإشراف على البيانات والتعليق على الأفلام والأناشيد الإعلامية وغالباً ما يكون أعضاء الهيئات الشرعية من المهاجرين العرب وبالخصوص المهاجرين السعوديون، تنقسم هذه الهيئات إلى قسمين رئيسين، أحداهما للقضاء والفصل بين الخصومات والنزاعات المشتركة وإقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثانية هي للإرشاد والتجنيد والدعوة ومتابعة الإعلام[4].

د - مجلس الشورى: من أهم واجباته تزكية الولادة للولايات وأفراد المجلس العسكري ويبلغ عدد أعضاء مجلس الشورى من ٩-١١ وهم من القيادات التاريخية في التنظيم ويتم اختيارهم من

---

[1] هيثم مناع، خلافة داعش من هجرات الدهر إلى بحيرات الدم المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان، الجزء الأول، على الرابط (http://sihr.net

[2] هشام الهاشمي، عالم داعش تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ، ط1، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٦، ص١٧٩.

[3] هشام الهاشمي، المصدر السابق، ص ١٨٠.

[4] المصدر نفسه، ص ١٨٠.

قبل البغدادي، ومن الناحية يستطيع هذا المجلس عزل الأمير إذا لم يقوم بمهامه على الوجه المطلوب.

هـ - مجلس الأمن الاستخبارات: وهو المسؤول عن أماكن ومواعيد وتنقلات البغدادي ومتابعة القرارات التي يقرها البغدادي ومدى الجدية لدى الولاة في تنفيذها، وكذلك يشرف هذا المجلس على تنفيذ أحكام القضاء وإقامة الحدود، وكذلك الإشراف على صيانة التنظيم من الاختراق، ولديه مفارز في كل ولاية تقوم بنقل البريد وتنسيق التواصل بين مفاصل التنظيم في جميع قواطع الولاية، وكذلك لديه مفارز خاصة للاغتيالات السياسية والنوعية والخطف وجمع الأموال، فيكون هذا المجلس من ثلاثة أعضاء وجميع من يتولى العضوية فيه هم من ضباط الأمن والاستخبارات للنظام السابق[1].

ثانياً: الدعم والتمويل المالي للدولة الإسلامية (داعش):

المصدر الأول: تجارة الطاقة: سعى تنظيم داعش إلى تشغيل البنية التحتية النفطية المحلية المسيطر عليها حيث استفاد التنظيم من استخدام النفط والمنتجات النفطية عكس العائدات من خلال بيعها للعملاء المحليين، حيث يتم بيع برميل الواحد لهؤلاء بسعر يتراوح من 10 إلى ٢٠ دولاراً وهؤلاء بدورهم يقوموا بيعه في الأسواق المجاورة. وقد سيطر التنظيم على حقول نفطية مهمة بالعراق وهي (نجمة القيارة وبطمة، وعين زالة وعجيل وحمرين) أي ما يعادل ٤٠ ألف برميل يومياً من النفط الخام، وينتج حقل عجيل بمفرده غاز مصاحب بمقدار ١٥٠ ألف قدم مكعبه، ومصفاة القيارة تنتج ١٦ ألف برميل من المشتقات النفطية كذلك سيطر التنظيم على أنابيب تصدير النفط الخام العراقي، ومع سيطرة التنظيم على الآبار النفطية في شرق سوريا ارتفعت مبيعاته من النفط إلى ٨٠,٠٠٠ برميل يومياً، منها ٣٠٠٠٠٠ من النفط العراقي و ٥٠,٠٠٠ ألف من النفط السوري وبلغ دخله حوالي 3 ملايين دولار يومياً[2].

المصدر الثاني: تجارة الآثار: تعد تجارة الآثار المنهوبة من المصادر المالية الرئيسية لتنظيم داعش حيث يقوم بنهب الآثار والمقتنيات والاتجار بها، وأحياناً يعمل في نظام «الطلبية» حيث يقوم بتأمين طلبات تجار الآثار، وتتضمن كل من العراق وسوريا مواقع أثرية كثيرة يرجع تاريخها إلى ستة آلاف سنة، وقد عمد تنظيم داعش إلى عملية التطهير، والتي تدخل ضمن أفكار التنظيم القائمة على التخلص من الآثار عن طريق بيعها حتى تتمكن البلدان الإسلامية من التخلص من الآثار الوثنية، وقد حصل التنظيم نتيجة لعمليات الاتجار بالآثار على عشرات الملايين من الدولارات[3].

المصدر الثالث: الفدية والاتجار بالبشر: بعد سيطرة تنظيم داعش على مساحات شاسعة من الأراضي، قام بممارسات مهينة وقاسية ولا إنسانية،

---

[1] هشام الهاشمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١.

[2] د. حسين علاوي خليفة، إدارة التوحش لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وخطورته على الأمن الوطني العراقي، مجلة قضايا سياسية، العددان ٣٧، ٣٨، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٤، ص ٣٤٠.

[3] عبدالباري عطوان، تنظيم الدولة الإسلامية الجذور التوحش المستقبل، ط1، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٥، ص٣٣.

مثل تشويه الأعضاء التناسلية للفتيات والنساء والجهاد الجنسي (جهاد النكاح). كذلك قام بإنشاء كتائب الخنساء» والتي تتكون فتيات تتراوح أعمارهم من ١٨ سنة و ٢٥ لأغراض الزواج فيما يعرف «بزواج النكاح»، وكانت أسوء الأعمال التي قام بها التنظيم هو اختطاف الآلاف من الفتيات الايزيديات والمسيحيات والشبكيات والتركمانيات والكرديات واغتصابهن وكذلك الإتجار بهن في سوق النخاسة، وقد بلغ سعر الفتاة ٨٠ دولار[1].

المصدر الرابع: التمويل الدولي: أكد إدوارد جوزيف سنودن المتعاقد السابق لدى وكالة المخابرات الأمريكية (CIA)، إن هناك مجموعة من الدول مهدت لظهور تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وكان الهدف استقطاب المتطرفين إلى مكان واحد في عملية يرمز لها «عش الدبابير»، ويكشف الكاتب (توني كارتالوشي) إن تنظيم داعش أنشيء بمساعدة السعودية وقطر اللتين تربطها علاقة سرية بالتنظيم، وإنه رأس الحربة لتوظيف الهجوم الطائفي التكفيري، وكذلك بأن الولايات المتحدة ستحقق المكاسب المدية من خلال السيطرة على الدول النفطية في الشرق الأوسط من خلال عملية بيع السلاح إلى دول الخليج العربي ونشر الاقتتال الداخلي في عدة دول مثل سوريا والعراق ومصر وليبيا ولبنان[2].

أما الدور التركي فقد اعتبر الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل إن تركيا هي (الراعي الأعظم لتنظيم داعش)، وأكد على إن التنظيم قد أصدر مجلة بلغات عدة يظهر فيها تودده إلى تركيا، حتى وإن اسم المجلة هو دابق، وبالإضافة عن إفراج التنظيم لـ ٤٩ رهينة تركية قد احتجزهم التنظيم عند اجتياحه للموصل. والتي قال الرئيس التركي اردوغان إن الإفراج جاء بعد عملية سرية لا يمكن الكشف عنها أو التحدث عن تفاصيلها[3].

المصدر الخامس: مجموعة من المصادر المختلفة التي يعتمدها التنظيم: أ- أخذ الأموال وابتزاز الأغنياء والأتاوات على شاحنات البضائع الكبيرة وعلى كبار الموظفين، وأصحاب الشركات والمقاولين وأصحاب المصانع وشركات الاتصالات مثل شركة آسياسيل، أذر وصل ما حصل عليه التنظيم من تلك الشركة في شهر واحد حوالي ٦٨٠ ألف دولار باعتراف مناف الراوي والي بغداد سنة 2010[4].

ب- الاستيلاء على المصارف في المناطق التي سيطر التنظيم عليها مما مكنه من الحصول على حوالي ٤٢٠ مليون دولار من المصرف المركزي في الموصل وحده[5].

ج- مصادرة أموال المذاهب والأديان المخالفة له، فضلاً عن الأقليات الدينية وعمل على تهديد

---

[1] صادق علي حسن الهياكل المالية للتنظيمات الإرهابية العراق نموذجاً، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٨٧، ص٧٧

[2] صادق علي حسن، مصدر سابق، ص ٨٣ و ٨٤.

[3] رفعت السيد أحمد، داعش خلافة الدم والنار ، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، ٢٠١٥، ص ٣١٥.

[4] هشام الهاشمي، مصدر سابق، ص ١٥٧.

[5] علي بكر، العلف في العراق وصعود النمط الداعشي مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٨، المجلد ٤٩ مركز الأهرام للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مصر، ٢٠١٤، ص ٩٤.

الشركات والمشروعات التجارية وابتزازها، ونصب نقاط تفتيش على الطرق البرية الطويلة لأخذ الاتاوات وصلد بعض الأحيان إلى ٢٠٠ دولار[1].

د - تميزت الأراضي التي سيطرت عليها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) بأنها أراضي خصبة للزراعة حيث تعتبر محافظتي صلاح الدين والموصل من أكثر الأراضي انتاجاً للقمح حيث يبلغ انتاجها ٣٠٪ من الإنتاج الكلي، فضلاً عن إن التنظيم سيطر على صوامع القمح الحكومية في محافظتي الموصل والرمادي وهي تحتوي على ١.١ مليون طن من القمح، وإن جزءاً من هذا القمح ينقل إلى سوريا ويحول إلى مادة الطحين ويباع في الأسواق المحلية وتبلغ العائدات الزراعية المختلفة ١٢٠ مليون دولار[2].

هـ - ضرائب الوقود والمركبات والرسوم المدرسية على الأطفال وضرائب السحب النقدي والتبرعات المحلية وتأجير الآلات الزراعية وعبور المهربين والرسوم الكمركية التي تفرض على الشاحنات التي تدخل الأراضي العراقية، والضرائب التي تفرض على رواتب الموظفين إذ إن الحكومتان السورية والعراقية لم تقطع هذه الرواتب من مناطق سيطرة التنظيم[3].

ثالثاً: التنظيم العسكري للدولة الإسلامية (داعش)

أولاً: المورد البشري - عناصر التنظيم - خلفياتهم:

إن أبرز ما تميزت به تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) هو أسلوب المناورة والمباغته في معظم المعارك التي خاضها التنظيم مما يدل على إن هناك بصمة أيديولوجية وسياسية وخبرات عسكرية في طبيعة أرض المعركة، وعند التعمق في قيادات التنظيم وخصوصاً في المواقع العسكرية والأمنية والاستخباراتية نجد إن معظمهم هم من ضباط الجيش السابق، إذ يشكل هؤلاء مركب القوة العسكرية والأمنية الأساسية لتنظيم (تنظيم الدولة الإسلامية) داعش، حيث إن هناك أكثر من مائتي عنصر من ضباط الجيش السابق تولوا المسؤوليات العسكرية وإمارة الولايات وإن هؤلاء تجمعهم عناصر نفسية واجتماعية وثقافية مشتركة أهمها[4]:

١- **عصاب الدول**: حيث يشرك الضباط السابقين في ضرورة إنهاء الدولة والجيش كنهج وحيد لمواجهة قرار الاحتلال في حل مؤسسات الدولة العسكرية والأمنية ورفض فكرة إعادة البناء العسكري والأمني على يد قوات الاحتلال الحكومات والقوى السياسية التي يصفونها بالولاء لإيران، ولهذا السبب بأن هؤلاء تركوا القاعدة وأنظموا إلى تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» على اعتبار أنها خلافة ويجب أن تقوم ببناء جيش قوي لبسط نفوذها ومد سيطرتها.

2- **العداء لإيران**: يعتبر هذا الجيل من الضباط إيران دولة عدوة قاتلت الجيش والشعب العراقي وهي تسعى عبر أخطاء الاحتلال في السيطرة

---

[1] محمد علوش، داعش وأخواتها من القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية، ط1، رياض الويس للكتب والنشر بيروت، ٢٠١٥، ص ١٦٥.

[2] صادق علي حسن، مصدر سابق، ص٨٨.

[3] المصدر نفسه، ص ٨٩.

[4] هيثم مناع، خلافة ، داعش، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥، ص ٤٨.

على العراق من خلال المكونات السياسية الشيعية وكانت هذه أيضاً إحدى نقاط الخلاف مع تنظيم القاعدة.

3- الشعور بوجوب الانتقام من المجتمع العراقي (الشيعة، الأكراد) وإن الحكومة الجديدة إنما هي تمثلهم، أما السنة فهم الطرف الوحيد المؤهل لحكم العراق وعامة الشيعة يتحملون مسؤولية «إبعاد السنة» عن الحكم، وبالتالي فهم كفرة يرفضون حكم أهل السنة والجماعة[1].

4- إن وجود عدد من الضباط السابقين في الهيئات الشرعية والإرشاد قد عزز من فكرة بناء الدولة على أساس الهوية القائمة على العقيدة، دولة ترفض الحدود وتعتبر «المسلم السلفي الحق» عراقياً كان أو غير عراقياً، وإن الفكرة من جمع العراق (مناطق السنية) مع مناطق من بلاد الشام، هي إن هذه الأرض ذات طبيعة سنية، لذا إن الحرب على الديمقراطية ليس لأسباب فقهية وعقائدية فقط، إنما هذا الحرب تعبيراً عن رفض «حكم الأغلبية غير السنية»، ورفض فكرة المواطنة المشتركة التي زرعها النظام السابق في صفوف أنصاره التي أصلتها تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»[2].

ثانياً: استراتيجية التحرك العسكري: وتنقسم إلى ثلاثة مراحل[3]:

أ- مرحلة البناء : وتعتمد على السرية في كل شيء، وترفع شعار (البناء من خلال المعركة) وتحدث في هذه الفترة عمليات تدريب وإعداد الكوادر المقاتلة وبناء شبكات الرصد وتشييد البنى التحتية للمرحلة القادمة، والتي تتطلب امتلاك وتخزين كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر، وأهم ما يحدث في هذه المرحلة هو، بناء الأنفاق وتوزيع الأسماء الحركية وتوزيع المهام وتعيين القادة والأمراء وعدد المجاميع وهيكليتها التنظيمية.

ب - مرحلة القتال: تبدأ هذه المرحلة بعد أوضاع عدم الاستقرار كالمظاهرات والفوضى حيث تعمل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على إثارة هذه الأوضاع، لسببين رئيسين أولهما التغطية على المرحلة السابقة وثانيهما هي إدعائه عدم جدوى المظاهرات السلمية فيدعو إلى القتال والدعوة إلى إسقاط الحكومة، ولا تبدأ هذه المرحلة إلا بعد أن يحصل على دعم السكان المحليين في هذه المناطق[4]:

ثالثاً: قدرة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على التجنيد: تتمتع تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على تنمية وزيادة قدرتها القتالية، فهي تستطيع زيادة قوتها البشرية من خلال اقتحامات السجون وتدفقات المقاتلين الأجانب، وكذلك من خلال التجنيد المحلي، فداعش لم يقتصر تنظيمها الأمني والعسكري على القوات القتالية فقط، بل قامت بتأسيسي- جهاز للشرطة، هذا الجهاز يمكن أن يحقق مزيداً من الجذب لغرض الانتماء إلى هذا التنظيم، ومن خلال الانتصارات العسكرية التي حققها (داعش)، فهي تستطيع المحافظة على

---

(1) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(2) هيثم مناع، مصدر سابق، ص50.

(3) محمد علوش، مصدر سابق، ص ٢٤.

(4) محمد علوش، مصدر سابق، ص25.

شهرتها وجاذبيتها، وإن هذه الانتصارات تؤدي إلى مزيد من الأسس الملموسة للتجنيد.[1].

رابعاً: المؤسسة الإعلامية للدولة الإسلامية (داعش)

أ- الوسائل الإعلامية المستعملة

١- مواقع التواصل الاجتماعي : إن (داعش) استخدمها باحترافية عالية جداً واستطاع استخدام هذه المواقع للتجنيد ولجذب أكبر عدد ممكن من المقاتلين في كافة أنحاء العالم، حيث قام التنظيم باستخدام تقنيات الفيلم الرقمي)، عبر اليوتيوب وغيره من الوسائط الفلمية لتسويق الكثير من شعاراته وأدبياته وتوجهاته، بل وحتى عملياته التي يقوم بها ضد القوات الأمنية، حيث يقوم برفعها وتصديرها عبر الانترنت وأقراص الـ CD كجزء من الدعاية ورفع المعنويات وتسجيل الانتصارات والتقدم على الأرض من خلال بث الرعب إلى أي قوة أمنية موجودة في أي منطقة يخطط التنظيم لاقتحامها[2].

٢- توظيف بعض وسائل الإعلام في تسيير عملياته وإثارة أنشطته:

ب- أنواع الطيف الدعائي في خطابات تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)

1- خطاب العنف والوحشية: وهو الخطاب الأبرز في خطابات تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وربما هو يطغى على الجوانب الأخرى المهمة في خطاباتها، وكما تقول [نابليوني] فإن تنظيم الدولة الإسلامية تقدر قيمة دعاية العنف» فمن خلاله تؤكد على خطابها الاقتصادي، والذي يتميز عن خطاب القاعدة والتي كانت تتبنى خطاباً تحريضاً.

حيث إن تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» توظف خطابها العنيف والوحشي- حيث تظهر قدرتها على الرد بالمثل والدفاع عن المسلمين السنة والتنكيل بأعدائهم الذين ظلموهم، ومن هنا يقابل خطاب العنف والوحشية خطاب المظلومية، فمثلاً فديو حرق الطيار الأردني «معاذ الكساسبة» وهو من أعنف المشاهد التي قام بها التنظيم، فهذا المشهد يمثل خطاب العنف والوحشية، ولكنه سبق نشر- هذا الفيلم عرض التنظيم مشاهد لأثر الدمار الذي سببه القصف الجوي الذي شارك فيه، وهذا يمثل خطاب المظلومية...

٢ - خطاب المظلومية: هو خطاب رئيس عند الجماعات الإسلامية بمختلف أنواعها، فالغرب عند الجماعات الإسلامية هو السبب في الحالة التي وصل لها المسلمون من فرقة وضعف وتخلف عن طريق تقسيمه الاستعماري للأمة الإسلامية، وتفتيت الخلافة ودعمه سياسة الحكام الديكتاتوريين الموالين له، وعن طريق سياسته الاستعمارية في السابق، أو الداعمة لإسرائيل في الوقت الحاضر ، وكذلك مناهضة حكم الإسلاميين بعد ثورات الربيع العربي.

---

[1] جيسكالويس ،وآخرون ترجمة فهد حسين، داعش والجماعات القتالية دراسات عربية وغربية، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات ،بيروت ٢٠١٦ ص ٤٠٣.

[2] كامل القيم، حرب الرموز وتسويق مثيرات العنف والإرهاب، رؤية في تسويق الدعاية والحرب النفسية لتنظيم ،داعش، مجلة حمورابي للدراسات العدد ١٠ ، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية العراق ٢٠١٤، ص ١٠٠.

إن خطاب العنف يمنح غطاءاً شرعياً ومبرراً للأعمال التي يقوم بها، وخصوصاً الأعمال العنيفة والوحشية، وإن خطاب المظلومية يستخدم بشكل رأسي من الإعلام الرسمي لـ (داعش) وذلك في إصداراتها المصورة، وفي أعداد مجلة (دابق) وغيرها من وسائل الإعلام الرسمية للتنظيم، وكذلك يستخدم هذا الخطاب بشكل أفقي، حيث يستخدمه المؤيدون لـ (داعش) في تبرير أفعالهم وكذلك في الترويج لقضيتهم أثناء نقاشاتهم مع المخالفين والمعترضين سواء على وسائل التواصل الاجتماعي أو في الحياة اليومية[1].

المطلب الثاني/ الاستراتيجيات الدولية والإقليمية وتمدد الإرهاب في العراق

من المعروف إن "العرب الأفغان"، وبعد انتهائهم من الحرب السوفيتية، هاجروا بغالبيتهم العظمى إلى أوروبا وإلى بلدان عربية، بإمرة مجموعة من الدول. وقد استخدمتهم الأجهزة الاستخبارية وسواها كأداة ضغط سياسية ضد خصومها، إذ قاتلوا مع الحركة الشيشانية مقابل حصولهم على أموال طائلة. يصاحب ذلك غالباً عملية "غسل دماغ" أولئك المأجورين. وتقوم الأجهزة الاستخبارية بتجنيد عملاء لها داخل العراق أو خارجه، بمن فيهم «العناصر الإرهابية المتطرفة»، مقابل حصولهم على مبالغ خيالية، إذا يكلفون تفجير السيارات المفخخة أو القيام بعمليات انتحارية وسواها من الأعمال الإجرامية. وتهدف تلك الأجهزة بذلك إلى إشاعة الحروب والقلق لدى المواطنين العراقيين. ذلك أن هذا الأسلوب الإجرامي والمدان لا يمكن القيام به وتنفيذه إلا بإشراف أجهزة متخصصة لديها خبراء مختصون ويمكن القول إن المعادلة التي يرتكز عليها هذا الأسلوب هي: جهات عدة + عملاء مأجورون + رأسمال خيالي + جهة سياسية راعية أو صديقة. ولكل هذه أهدافها خاصة سواء كانت أهدافاً مشتركة أو متقاربة)[2].

وقد ارتبطت أكثر العمليات الإرهابية في العراق بالتنظيمات المتطرفة وعلى رأسها جماعة التوحيد والجهاد» بقيادة أبي مصعب الزرقاوي وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وهذه العمليات لها أهداف إستراتيجية لمصالح خارجية، هي[3]:

1- تشويه الإسلام المعتدل، ونبذ التعايش السلمي بين المكونات المتعددة، وضربه في كل مكان في العالم الإسلامي بحجة «إرهابية الإسلام».

٢- إثارة الفتنة الطائفية بين طوائف المسلمين ومذاهبهم لاستنزافهم من الداخل انطلاقاً من العراق.

3- استدراج عناصر إسلاميين من العالم إلى الساحة العراقية، بهدف تصفيتهم والتخلص منهم.

٤- إثارة الفرقة بين الطوائف والكتل السياسية العراقية وضرب عناصر القوة بينها لتبقى ضعيفة

---

[1] مجموعة مؤلفين، داعش والجماعات الفتالية، المصدر السابق، ص ١٥٧.

[2] إنعام عبد الرضا سلطان تصعيد الإرهاب في العراق وتأثيرها على منطقة الشرق الأوسط، المجلة السياسية والدولية، العدد ١٦، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠، ص ١١٤، ١١٥.

[3] مهدي حسن الخفاجي أميركا مصدر الإرهاب في العراق، ط٣ ، مركز العراق للدراسات ٢٠١٥، ص ٦١،٦٢.

متناحرة. وهذا الصراع وهذا التناحر يسهمان في زيادة وتيرة الإرهاب لتمرير مشروعاتهم الإرهابية.

5- إدامة الحروب الخاصة وصناعة مناخ النزاعات والانقلابات والصراعات لإشاعة الاضطرابات الأمنية والسياسية. وهذا المناخ يحقق ولوجاً حراً إلى الدوائر والشركات القابضة وينعش الأسواق المتعددة ولاسيما العسكرية، ليكون علاجاً للأزمة الاقتصادية والركود والديون والعجز المالي[1].

ولتحقيق كل هذه الأهداف الاستراتيجية، كان لابد من وجود مجموعات تقوم بهذه الأدوار. وهذا ما عملت عليه أطراف دولية مختلفة، حين احتضنت ودعمت الجماعات مالياً ولوجستياً وبشرياً، وكان كل طرف يقوم بوضع الخطط والأهداف التي تعمل على خدمة مصالحه الاستراتيجية والتكتيكية ومن الجدير بالذكر أن تنظيم القاعدة مخترق أساس من الموساد الإسرائيلي »[2].

ويمكن وصف استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية بأنها قد اعتمدت على جيل الحروب غير المتماثلة، وهو الجيل الرابع فالحرب تهدف إلى الإكراه على قبول إرادة العدو، بينما تهدف الحروب غير المتماثلة إلى الإنهاك والتآكل ببطء لإرغام العدو على تنفيذ إرادتك، عن طريق زعزعة الاستقرار، وليس عن طريق إرسال قوات عسكرية. ويحدث ذلك باستخدام القدرات العقلية الذكية لتنفيذ هذه الاستراتيجية عن طريق مواطني البلد المستهدف. والفكرة الأساسية من هذه الحروب هي إنشاء دولة ضعيفة، يخرج عن سيطرتها إقليم أو منطقة من مناطقها، حيث تقوم مجموعات عنيفة خارج نطاق الدولة بفرض سيطرتها على ذلك الإقليم أو تلك المنطقة. ولا تنشأ هذه الدولة الضعيفة بشكل عرضي أو طبيعي، بل نتيجة عملية تحدث بخطوات تنفذ ببطء وهدوء تام وباستخدام مواطني الدولة المستهدفة، وهكذا يستيقظ عدوك ميتاً[3].

الدور القطري: وفر الاحتلال الأمريكي للعراق الدافع للجماهير المعادية للغرب ولبعض الأيديولوجيات المختلفة في جميع أنحاء العالم كي تنضم إلى الجماعات الإرهابية، ولاسيما بين العامين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٧، نتيجة لانفتاح الصراع، ونشر المتطرفين رواية مقاومة الاحتلال التي أثبتت أنها ذات جاذبية كبرى لجماهير متعددة في المنطق الإقليمية للعراق، الذي أصبح بؤرة لمعاداة الولايات المتحدة، وتصفية الحسابات مع بعض الأطراف، وبطبيعة الحال أسهمت بعض الأنظمة وبشكل متقطع في استلاب المواطنين، ودفعهم إلى العراق للقتال[4]، في محاولة لتفادي العنف في الجبهة الداخلية، فضلاً عن تأييد فكر القاعدة وأفراخها ودعم الاستراتيجية المخطط لها بنجاح، وتصوير

---

[1] صادق علي حسن، مصدر سابق، ص ٩١-٩٢.

[2] مهدي حسن الخفاجي، مصدر سابق، ص ٦٣، من ٦٤.

[3] د. محمد ياس خضير الاستراتيجية الأمريكية والجيل الرابع من الحروب، مجلة حمورابي للدراسات العدد ٦، مركز حمورابي لبحوث والدراسات الاستراتيجية العراق، ٢٠١٢، ص ١٤١ ١٤٢.

[4] By Frederic Wehrey ET al, The Iraq affect the Middle East after the Iraq War, RAND Corporation, Document Number: MG-892-AF, Series Monographs, 2010. p109, P110.

العراق على أنه المتعرض لغزو الكفار ، وأنه بلد عربي مسلم ويتعرض لغزو شبيه بالغزو المغولي. كل ذلك جعل كثيراً من الأشخاص ينظرون إلى العراق كموقع شرعي للجهاد «الجهاد» الدفاعي»، وفق تفسير المتطرفين، وفي الوقت نفسه «الهجوم «الجهادي»..

وكان ما يميز دولة قطر في بداية نشوئها من باقي القوى الإقليمية التقليدية، أنما هو طبيعة الأدوات التي كان توظفها ؛ لأنها دخلت ميدان السياسة الدولية والإقليمية ليس بالأدوات الصلبة، بل بدأت بالأداة الناعمة (الإعلام)[1]، وقد برزت قناة الجزيرة كظاهرة إعلامية في وقت أخذ فيه العالم يدرك أهمية التأثير في الرأي العام، باستخدام وسائل الإتصال[2].وقد جرى توظيف قناة الجزيرة سياسياً عن طريق الترويج لمجموعات أو فئات سياسية محظورة في مجموعة من البلدان، ولا سيما البلدان العربية، إلى حد أصبحت فيه إحدى أدواتها في السياسة الخارجية[3]،وما يدل على الدور القوي في صناعة داعش هو ما أكده الوزير الألماني غيرد مولر (Gerd Miller) المكلف بالمساعدة الإنمائية، اعتزام ألمانيا تسليح الأكراد في العراق لمحاربة «داعش». ورأى أن وضعاً كهذا يأتي دائماً بعد مسار سابق، في إشارة إلى الأعمال التي يقوم بها «داعش» في العراق، وقال حين تحدث عن الجهة التي تمول هذه القوى: «إنني أفكر في قطر»[4].

دور المملكة العربية السعودية:تحاول بعض القوى الإقليمية إضعاف الهوية الوطنية وتعزيز الهويات الطائفية والعرقية الفرعية في الوقت الذي تحرص فيه الولايات المتحدة لتؤكد أن العراق سيكون الحقة الأولى من سلسلة حلقات التغيير المفترض تحقيقه في الشرق الأوسط، الأمر الذي انعكس سلباً على فاعلية دور المحيط الإقليمي للعراق وصدقيته، لأنه سيثير حفيظة الدولة الإقليمية حول ما يخص حقيقة نيات المشروع الأمريكي في إعادة تشكيل الشرق الأوسط. فقد يكون تغيير نظامه الهدف التالي بعد العراق. وبهدف انتزاع دور إقليمي واعد قامت بعض الدول الإقليمية بمنح التسهيلات المباشرة وغير المباشرة للعناصر المتطرفة التكفيرية، عن طريق حدودها المشتركة مع العراق لاستمرار ديمومة الفوضى؛ ولاشك في أن العراق يدخل دائماً في الحسابات الإستراتيجية للمحيط الإقليمي لأنه متأثر ومؤثر في الوقت نفسه[5].

كتب نواف عبيد، أحد المستشارين السياسيين للعائلة الحاكمة في المملكة العربية السعدية، مقالاً

---

[1] صادق علي حسن، مصدر سابق، ص ٩٣.

[2] د. عماد مؤيد المرسومي: الدور القطري فوضى برائحة الغاز ، ط1، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العراق، ٢٠١٤، ص ٨٠.

[3] المصدر نفسه، ص 85.

[4] محمد حميد الهاشمي: مقالات في العمق من داعش – مقالات تحدد استراتيجيات داعش وخطره وأبعاده ودعمه ، ط1، مركز العراق للدراسات، ٢٠١٥، ص٣١٨.

[5] دنيا جواد: الدور الإقليمي العراقي – رؤية في الثوابت الإستراتيجية والتحديات المستقبلية، دراسة استشراقية للدور الإقليمي العراقي وقوماته الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، الفرص والتحديات والقيود المجلة السياسية والدولية، العدد ١٥ الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠، ص ٢٣٣.

في صحيفة الواشنطن بوست عام ٢٠٠٦ عنوانه «الدخول إلى العراق»، كشف فيه عن بعض الأفكار التي كانت تدور في بال الجناح المتشدد في العائلة الحاكمة. ومن هذه الأفكار توظيف الطائفية المنتشرة، والاستعداد للإقدام على تدخل واسع في العراق، بما في ذلك تأسيس ألوية وجماعات ودعمها بموارد الدعم المختلفة، مما يؤدي إلى إشعال لهيب حرب مستعرة في المنطقة. ورغم أن الحكومة السعودية قد استحدثت في السنوات الماضية بعض التشريعات المضادة للإرهاب، وتشريعات أخرى لإعادة تأهيل المجاهدين المتطرفين في السجون، فإن مواطنيها ما يزالون يشكلون أكثرية المنضوين تحت راية الجماعة الإرهابية. ففي العام ٢٠٠٩ ، وجهت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون (Hillary Rodham Clinton) مذكرة سرية إلى كبار الديبلوماسيين الأمريكيين كشفها موقع ويكيليكس، لاحظت فيها أن متبرعين من المملكة العربية السعودية شكلوا أكبر مصدر تمويل للقاعدة وطالبان في العالم. كذلك أقرت بمشكلة إضافية هي أن الحكومة مترددة في وقف سيل هذه التبرعات[1].

الدور التركي: أما القيادة التركية، فتؤدي دوراً مربكاً ومتناقضاً فيما يخص العراق، كونها استضافت عدداً من المؤتمرات المتعلقة بالشأن العراقي، ولأنها أيضاً مدافع عن مكون محدد في العراق. ومما يدل على ذلك رفع صورة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في الاعتصامات عام ٢٠١٢، والطلب إليه دعم المظاهرات والاعتصامات في محافظات الأنبار ، التي وصلت إلى قطع الطريق الدولي الرابط بين سورية والأردن، وعلى هذا الطريق الدولي ارتكبت مجازر التكفيريين المنتمين إلى تنظيم داعش بحق عراقيين وعرب. كذلك قامت تركيا بإيواء الكثير ممن يكنون العداء للنظام الجديد في العراق. ومن الجلي إن كل ذلك لا يوفر مساحة لإقامة علاقات متكافئة تقوم على احترام سيادة البلدين[2].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : لماذا دعمت تركيا هذه الجماعات؟ في الواقع، ثمة سببان رئيسان لهاذ الدعم، هما:

الأول: أن تركيا، ومنذ انطلاقة الأزمة السورية سعت إلى استخدام هذه الجماعات كأداة لإسقاط النظام السوري. ولذلك جعلت من أراضيها مأوى وممراً لها. كذلك تورطت الاستخبارات التركية في دعم هذه الجماعات بالتغاضي عن قدوم المقاتلين من مختلف مناطق العالم إلى سورية عبر الأراضي التركية.

الثاني: محاربة أكراد سورية عن طريق هذه الجماعات؛ ذلك أن تركيا، التي تعيش فوبيا القضية الكردية في الداخل والخارج، وجدت نفسها مع إقليم كردي في شمال شرق سورية، يديره حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي القريب من حزب العمال الكردستاني (PKK)، الذي يتزعمه عبد الله أوجلان المعتقل في سجن أيمرالي - Imral منذ نحو ١٥ عاماً. فقد كشفت معارك رأس العين وتل أبيض بين المقاتلين الأكراد وتنظيمي داعش

---

[1] عبد الباري عطوان، مصدر سابق، ص ١٣٦.

[2] روى خليل :سعيد تركيا إيقاعات مختلفة للتعامل مع العراق، مجلة حمورابي للدراسات العدد ٩ مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية والعراق، ٢٠١٤، ص ٩٠.

وجهة النصرة عن تورط تركي مباشر في هذه المعارك، حيث قدم عدد كبير من المقاتلين من داخل الأراضي التركية، وسط قصف مدفعي تركي للقوات الكردية التي أسرت أشخاصاً كانوا يحملون الجنسية التركية ويحاربون في صفوف النصرة وداعش

. أعلن رئيس الولايات المتحدة بارك أوباما ،في ١٠ أيلول / سبتمبر ٢٠١٤، ما سمي استراتيجية مواجهة تنظيم الدولة «داعش»، عبر خطاب وجهه إلى الشعب الأمريكي وتضمنت الاستراتيجية الوسائل التي سيجري اتباعها لمواجهة تنظيم الدولة. وبعد يوم واحد جرى الإعلان عن التحالف الذي سيقود عملية العزيمة الصلبة» ضد تنظيم داعش، وذلك في اجتماع عقد في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية. ولكن الجانب التركي رفض آنذاك التوقيع على البيان الختامي للاجتماع، ولم يتعهد بالمشاركة في العملية العسكرية[1].

المبحث الثالث

معالجة ظاهرة الإرهاب وسبل مكافحته

إن معالجة ظاهرة الإرهاب تتطلب العمل على النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية فالقضاء على مشكلة ظاهرة الإرهاب يجب أن تكون من البنية الأساسية سواءاً الفكرية أو المالية والبشرية مما يتطلب العمل وفق استراتيجيات قصيرة المدى تتمثل بالمواجهة المباشرة العسكرية وكما سنبينه في مطلبنا الأول لهذا البحث، واستراتيجيات متوسطة وبعيدة المدى من النواحي الاقتصادية والسياسية والتعليمية الذي سوف نتطرق إليه في مطلبنا الثاني.

المطلب الأول/ الخيارات الأمنية لمكافحة الإرهاب ومعالجته

لا تكفي الإجراءات الأمنية وحدها لمواجهة الإرهاب بل يجب أن تكون في الحلقات في مواجهة ظاهرة الإرهاب، مع الأخذ بالحسبان ألا تتسبب هذه الأوراق في تصعيد مشكلة الإرهاب أو حدوث ممارسات على المدى الطويل يمكن أن تكسب الإرهاب أرضاً جديدة، وبذلك لابد من دعم الأجهزة المتخصصة بمكافحة الإرهاب بكل الوسائل المتاحة لتناسب حجم التحدي القائم، ولممارسة مهماتها بفعالية وكفاءة[2].

أولاً: المبادئ العامة الضرورية لنجاح القوات الأمنية في مكافحة الإرهاب[3]

١- اعتماد استراتيجية فعالة لمكافحة الإرهاب والتخطيط لما بعد الفضاء عليه ووضع استراتيجية واضحة وقادرة على إيقاف التدهور الأمني.

2- وجدد قيادات ذات خبرة علمية وميدانية في فهم مبادئ مكافحة الإرهاب.

---

[1] علي حسين باكير، محددات السياسة التركية إزاء التحالف الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٩، المجلد ٥٠ مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، مصر، ٢٠١٤، ص ١١٢.

[2] سيف بن زايد آل نهيان وأخرون النظام الأمني في منطقة الخليج العربي، التحديات الداخلية والخارجية، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، ٢٠٠٨، ص ٢٤٣.

[3] د. عبد علي كاظم المعموري: إشكالية الانتماء والهوية الوطنية في مجتمعات التنوع (حالة العراق)، مجلة حمورابي للدراسات العدد ، مركز حمورابي للبحوث والدراسات أو استراتيجية، العراق، ٢٠١٣، ص ١٩٩.

3- وجوب أن تكون الخطط الموضوعية لمكافحة الإرهاب مستندة إلى العلمية والعقلانية أو ممارسة اشراك كافة المؤسسات الحكومية لاسيما الأكاديمية منها، في عمليات إبداء الرأي والمشورة والاستناد إلى البحوث الرصينة، والاستفادة من الخبراء والمتخصصين في هذا المجال.

4- تشكيل هيئة مركزية عليا ، مهماتها الاشراف على الأجهزة الاستخباراتية ووضع استراتيجية تتجاوز متطلبات الأمن الداخلي، لتمتد إلى الدول المجاورة، وإلى المحيط الدولي.

٥- تشكيل لجان متخصصة لإدارة الحدث الإرهابي، [1].

٦ - تعزيز عمليات جمع المعلومات الاستخبارية [2].

7- متابعة بؤر تجنيد المنظمات الإرهابية في العراق كدور العبادة والمنتديات الثقافية ومواقع التواصل الاجتماعي ورحلات الحج والعمرة، والنوادي الرياضية، خصوصاً نوادي بناء الأجسام والألعاب القتالية، والكليات والمعاهد الشرعية، والمدارس الدينية، وأماكن التوقيف والسجون الإسلامية[3].

8- زيادة قدرة رجال الأمن لمواجهة ظاهرة الإرهاب عن طريق زيادة الاهتمام بالحس الأمني والحصول على محاضرات تخص ظاهرة الإرهاب ومعرفة الاتجاهات الفكرية التي يتبناها الإرهابيون والقدرة على مناقشتها.

المطلب الثاني/القوى الناعمة لمعالجة الإرهاب ومكافحته

أولاً: الجانب السياسي: أظهرت الأحداث ما بعد العام ٢٠٠٣ وما تلاها إن العراق يعيش أزمات سياسية مختلفة، ويعاني صراعات داخلية على السلطة، واخفاقات لأنظمة الحكم المتتالية الأمر الذي أدى إلى تفاقم الانقسامات الطائفية في صفوف الشعب العراقي، وهذا يستوجب معالجة الأوضاع السياسية انطلاقاً من حل الخلافات السياسية التي تسببت في زيادة وتيرة الإرهاب[4]

وأبرز هذه المعالجات هي:

1- الاحتكام إلى الديمقراطية باعتبارها العلاج الشافي من الداء الثلاثي: الإرهاب والتخلف، والتطرف لأن المستقبل يعتمد على النتائج المترتبة من العلمية الديمقراطية وإن في الأزمنة المعاصرة تتوزع مسارات كل مجتمع سياسي إلى ثلاثة حقب، الأولى هي الماضي، والثانية هي الحاضر، والثالثة هي المستقبل، فالحقبتان الأولى والثانية تنطويان على محاسن ومساوى، لأن المجتمع يقدس الماضي بمحاسنه ومساوئه ويجب عن عودته مع رفضه وعدائه للحاضر بمحاسنه ومساوئه، قابله مجموعات من الحاضر، تقدس الحاضر بمحاسبة ومساومة وتتمسك به معا العداء والرفض للماضي، وهذا التقديس المتبادل للحقبتين الماضي والحاضر، تخص الوصول إلى الحقبة الثالثة وهي المستقبل

---

[1] نواف قطيش، الأمن الوطني وإدارة الأزمات طا ، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١، ص ٩٣.

[2] هشام الهاشمي، مصدر سابق، ص ٣١١.

[3] المصدر نفسه، ص ٣١١.

[4] انتوني كرد سمان، وآخرون، العراق في مدار الأزمات مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية، ترجمة حاتم العكيلي، مجلة حوار الفكر، العدد ٢٩، المعهد العراقي لحوار الفكر ، ٢٠١٤، ص ٧٦.

في حياة المجتمع السياسي، ويجعل المهمة المستقبلية صعبة وشبه مستحيلة[1].

٢- الاعتماد على الحوار والتفهم السياسي، وليس على الصراعات والتنافرات السياسية، لأن من الضروري الابتعاد كلياً عن قواعد اللعبة الفوية، بمعنى إن الرابح يأخذ كل شيء والخاسر يخسر كل شيء، إذ يجب أن تخدم اللعبة كل الأطراف والأطياف، وكذلك وضع مبادئ رئيسية تشكل مرجعيات لتنظيم شؤون الدولة والمجتمع وكذلك رفض القواعد السياسية، والعلم على وضع قداسة للمؤسسات حتى يتم القبول في السياسات والمسائل السياسية الخلافية سواء كان القبول عام أو عام[2].

3- سيادة القانون بأبسط مدلولاته، وعد الشعب مصدر السلطات كلها عبر اختيار السلطة السياسية عبر انتخاب حر من قبل الجماهير، وهذا المبدأ سوف يلغي فكرة تمسك الحزب الواحد أو الحزب المهيمن، فلابد أن يتخذ مساء الحكم في العراق طريق الديمقراطية وينتقل من مجموعة إلى أخرى ومن حزب إلى حزب ومن حقبة إلى حقبة بحسب رغبات الشعب، وكذلك يجب مراعاة الفصل بين السلطات واستقلال القضاء، وتعزيز الرقابة القضائية على دستورية القوانين[3].

4- تطوير مبدأ المصالحة الوطنية : إذ لابد أن يكون هذا المبدأ من الأسس التي تبنى عليها الجماعات السياسية في العراق فكرها وخطبها ورؤيتها، ولا بد التعلم من التجارب السابقة - من التجارب العالمية وكيفية حل الخلافات وحسم المشكلات، إن المصالحة الحقيقية ليست مقولة عابرة ولا مشروعاً يخص شريحة محددة أو منطقة محددة أو مرحلة زمنية محددة، بل هي عملية تقويم على أسس المكاشفة الثقافية القوية، وعملية نقد ذاتي تشترك فيه كل القوى والنخب العراقية من سياسيين ورجال دين ومثقفين من مختلف الطوائف والأديان، بروح وطنية مخلصة، تمنع إعطاء المؤثرات الخارجية أي دور[4].

5- الاهتمام بقوى الضغط المختلفة في النظام السياسي وفي المجتمع، فالدولة مسؤولة عن التحديد الرسمي للقيم، فالمجتمع يحتوي على مجموعات ذات مصالح معينة تحاول أن تؤثر في عملية صنع القرار لتحقق مصالحها، وتكون السياسة الخارجية هدفاً أهداف تلك المجموعات شأنها شأن السياسة الداخلية، وخصوصاً بالقضايا المتعلقة بالتجارة والجوانب الاقتصادية الأخرى، وكذلك قضايا

---

[1] د. عامر حسن فياض داعش، مشروع أمريكي صهيوني لتقسيم العراق إلى دويلات تطرف وتخلف، مجلس حمورابي للبحوث والدراسات العند ١٠ مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، العراق، ٢٠١٤، ص٦٣.

[2] حسنين توفيق إبراهيم عبد الجبار، أحمد عبد الله التحولات الديمقراطية في العراق القيود والفروض)، مركز الخليج للأبحاث، دراسات عراقية ،٣، 2005، دبي، ص ١٠٠.

[3] د. ماجد محمد خورشيد الداوودي هموم الشعب العراقي الاقتصادية والاجتماعية والخدمية في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق، ط1، شركة الديوان للطباعة، بغداد، ٢٠١٢، ص٩٠.

[4] محمد صادق الهاشمي: مشروع المصالحة الوطني، مستقبل العراق السياسي ،، مركز العراق للدراسات، ٢٠١٥، ص 95.

حقوق الإنسان والبيئة، إذ أن هناك الكثير من الجماعات النشيطة على مستوى العلام أو المنظمات الدولية المسؤولة عن هذه القضايا، مثل السلام الأخضر- أو منظمة العفو الدولية من وغيرها من المنظمات[1].

ثانياً: الجانب الاجتماعي: إن نقطة الانطلاق في تعزيز الأمن، وتجاوز مرحلة الإرهاب هي الإقرار بوجود الطائفية وعدم إنكارها، إذ لا أحد يعترف أنه طائفي على الرغم من إن هناك طائفية واضحة لذا يجب مواجهة حقيقة النظام الطائفي، وكشف الستار عن مقوماته الاجتماعية وأصوله التاريخية، لتأتي بعد ذلك المعالجة، والتي يجب أن تكون مساراً وإقراراً، بمعنى إن تجاوز الطائفية يقتضي- محوها من النفوس قبل محوها من النصوص، وبما إن ظاهرة الطائفية تعود إلى أسباب سياسية في الغالب، فلا ينبغي الإعفاء الجماعات السياسية من أحزاب ومؤسسات حزبية، أن تقوم بتصوير الطائفية للرأي العام الشعبي على أنه يعود إلى حجج دينية، لأن ذلك لا يضر بالأديان والمذاهب فحسب، بل يدمر بنية الدولة، ويفكك نسيجها الاجتماعي وقيمها الأخلاقية[2] وللخروج من

مشكلة الطائفية يجب مراعاة مجموعة من الاعتبارات على المستويات الآتية[3]:

١- مستوى الدولة: وذلك من خلال:

أ- ضرورة تفعيل الجانب التشريعي في مكافحة الطائفية ومعالجتها، عبر القيام بمراجعة دستور البعض البنود ، تعزيزاً لمبدأ الوطنية وحماية حقوق الإنسان العراقي.

ب- تفعيل إطار التعاون من المشروع العراقي والجهات العالمية المهتمة لضمان التعايش السلمي والمجتمعي وكالأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي، إصدار قانون يحرم كل قول أو فعل يفهم منه الحض على الكراهية والتميز العرقي والديني والمذهبي بين الناس، جرى هذا الفعل داخل البلد أو خارجه وسواء صدر من قرار مجموعة.

ج- زيادة تركيز السلطة التنفيذية في الحافظ على النسيج الاجتماعي واحترام التعددية الدينية والاعتراف بها، ومحاسبة كل من يهددها بصورة مباشرة أو غير مباشرة من داخل السلطة أو خارجها.

٢ - المستوى الاجتماعي والسياسي : هناك تأثير كبير للمستوى السياسي على المستوى الاجتماعي، والعكس صحيح لذا يجب مراعاة بعض الأمور لكل من يرغب بالعمل السياسي وإن تكون لهم وقفة مع أنفسهم قبل الإعلام عن أي أمر يخص المجتمع، من هذه الأمور[4]:

---

[1] د. حميد فاضل حسن إشكالية الطائفية السياسية في العراق بين الاستمرارية والانكفائية مجلة العلوم السياسية، العدد ٣٢ جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦، ص ١٨٩.

[2] د. عيسى إسماعيل عطية دور المصالحة الوطنية في تفعيل السياسة الخارجية العراقية، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٤٤ مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد المحلية العلوم السياسية، ٢٠١٢، ص ١٠٢.

[3] أسعد كاظم شبيب: نقد الطائفية في الفكر العراقي المعاصر، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد ٣٨، المجلد الأول، جامعة الكوفة، ٢٠١٥، ص ٢٠٣.

[4] د. أسعد كاظم شبيب، مصدر سابق، ص ٣٠٤.

أ- إن المجتمع العراقي في المجتمعات التي لا تزال تؤمن بالرمزية والزعامة للشخصيات في كثير من المناطق في العراق، لذا فمن الضروري التركيز وباستمرار على القنوات الدبلوماسية الشعبية الثلاث (التواصل الحوار، التفاوض) فيما بين هذه الزعامات سواء في حالات التراضي أو التوتر، ليرتقي المجتمع من حالة الإيمان الجزئية بالشخص أو القبلية أو الطائفية أو الدين إلى حالة الإيمان لمؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني الفاعلة، والتي من خلالها ستكون لدينا ثقافة مجتمعية واعظة وواعية تأخذ على عاتقها، تعد الظواهر السلبية في المجتمع، كالخرافة والشتيمة، والاستخفاف بآراء الآخرين ومعتقداتهم.

ب- القضاء على بعض الثقافات التي تضر بالمذاهب الدينية السياسية أكثر مما تفيدها، كالتبشير بالمذاهب الدينية والسياسية والقول بالفرقة الناجية، وإن هذه الأعمال والثقافات تجعل المذاهب الدينية في حالة صراع وتناس، إذ يجب ترك حرية المعتقد وعدها مسألة فردية، ويجب التركيز على العملية التعليمية والتربوية، ونشر مفاهيم تعمل على تعزيز التعايش السلمي مثل دولة المؤسسات، والحكم الديمقراطي والمواطنة، والتسامح، وثقافة الأخوة والوحدة والمودة.

ج تعزيز الأمن الفكري لمجابهة الغزو المضاد وتحقيق المناعة الفكرية والسلوكية، والأمن الفكري يرتبط ارتباطاً وثيقاً بطور الأمن المختلفة، إذ إن تحقيقه يؤهلنا تلقائياً لتحقيق الأمن في المجالات الأخرى، لأن تحويل الإرهاب فكرياً أخطر من تمويله المادي، ولابد من وضع حد للبنية الفكرية للإرهاب عن طريق تفعيل النسق الديني المعتدل المتسامح في هذه المجتمعات[1]:

ثالثاً: الجانب الاقتصادي: إن المشكلة الإسلامية والجوهرية ذات التأثير الواضح والأساسي في الوضع الأمني يتمثل في العامل الاقتصادي الهش، وفي الهياكل الاقتصادية المتخلفة، لذلك من الضروري السعي إلى تفسير الواقع الانتصاري وهذا يستلزم الآتي:

١- ضرورة منح الاهتمام والأولوية العليا لشؤون المجتمع العراقي، إذا ما أريد النهوض به، وذلك عن طريق تحريك الطبقات الوسطى والدنيا اقتصادياً واجتماعياً، حتى لا تبت أثر النخبة الحاكمة بالسطلة، ولا تتركز الثروة والوظائف في أيديهم، مع الأخذ بالحسبان عدم اللجوء المباشر إلى الاقتصاد الرأسمالي، بل يجب الاهتمام بالأسرة العراقية، فالأسرة أهم مكونات الطلب الملكي، وعلى الحكومة إيجاد عمالة كاملة عن طريق زيادة الاستهلاك والاستثمار، وهذا له انعكاس جوهري ومباشر على واقع الدول المتأخرة أمنياً[2].

٢- الرجوع إلى مبدأ العدالة الاجتماعية الذي جسده الإسلام، والذي يؤكد على تحقيق العدالة المجتمعية في توزيع الثروة، والعدالة الاجتماعية فتكون من مبدأين عامين أولهما: التكافل العام

---

(1) سيف بن زايد آل نهيان وآخرون، مصدر سابق، ص٣٥٨.

(2) د. سعد عملية حميد موسى السياسة المالية والاقتصادية وانعكاساتها على الوضع الأمني، الأسباب وسبل المعالجة، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، العدد ١٢ الجزء المجلد) جامعة كركوك، كلية القانون، ٢٠١٥، ص ٣٠٣.

وثانيها: مبدأ التوازن الاجتماعي، وبذلك يجب الاستفادة من الأنظمة الاقتصادية المختلطة والخروج بنظام اقتصادي معرفي مختلط يجمع بين سمات النظام الرأسمالي وسمات الاقتصاد الاشتراكي والإسلامي فمميزات الأول هي عيوب الثاني ومميزات الثاني هي عيوب الأول ومميزات الثالث هي عيوب الأول والثاني[1] لذلك فإن الأول + الثاني + الثالث - الرابع الذي يعمل على تحقيق المنفعة الاقتصادية والاجتماعية.

ب- تفعيل دور المؤسسات التعليمية في رفع مستوى حوار الثقافات من خلال الانطلاق من رياض الأطفال، وإعداد المناهج التثقيفية، واستخدام الشعارات الوطنية وقيم التسامح والعفو عند ارتكاب الأخطاء. وإنتاج الأفلام الكرتونية التي تكرس قيم التسامح ومساعدة الآخرين معززة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وإدخال معلمي رياض الأطفال والمدارس في دراسات تدريبية والاستفادة من التجارب العالمية المتميزة ومراعاة التنوع الثقافي والطائفي في تشكيل اللجان الخاصة بإعداد المناهج، وكذلك تجنب غرس الكراهية للمتخالفين في الدين والمذهب وتنمية المناهج التربية والتعليمية من إرث التميز والتعصب الديني والمذهبي، وكذلك التأكيد على دور منظمات المجتمع المدني في نشر ثقافة الحوار ترسيخ ثقافة «اللاعنف» والتسامح والمواطنة، وثقافة حقوق الإنسان، والقيام بحملات التوعية في الأحياء الشعبية المهمشة، والتي استهدفها العنف الطائفي، وكذلك بين الأسر التي تعرضت للتهجير القسري[2].

الخاتمة

مما تقدم من معرفة مفهوم الإرهاب وكيفية تشكيل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) يساعد على سهولة مواجهة والقضاء وتقليل الخسائر المترتبة والمواجهة المباشرة، إن تنظيم داعش يمارس الإرهاب بأنواعه الفردي والجماعي والدولي، مما يتطلب تظافر الجهود المحلية والإقليمية والدولية لأجل تجفيف منابعه الفكرية والاقتصادية ويجب إصدار قرارات على مستوى المحلي والدولي لتجريم كل من يروج أو يقدم الدعم أو تبرير الأعمال التي يقوم بها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وإنشاء اتفاقيات إقليمية ودولية للحد من خطورة الفكر والتنظيمات الراديكالية الجهادية والعمل على تخفيف التوتر والاحتقان الطائفي والمجتمعي في منطقة الشرق الأوسط على اعتباره أنها تشكل حواضن للاصطفافات المذهبية والعرقية والطائفية والعمل على تغليب مصالح الشعوب.

أولاً:- الاستنتاجات

1- إن الإرهاب يعد ظاهرة اجتماعية عالمية وتاريخية سادت الحضارات المختلفة وبصورة واشكال متعددة.

---

[1] محمد باقر الصدر، اقتصادنا، دراسة موضوعية متناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصادية، الماركسية والرأسمالية والإسلام في أسمها الفكرية وتفاصيلها ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٧.

[2] المصدر نفسه، ص ١٨٠.

٢- يعد الإرهاب ظاهرة مرفوضة من قبل المجتمع الإنساني كافة لأن فيه تدمير للتراث الإنساني وتعطيل مسيرة الحياة الفطرية.

٣- عدم وجود اجماع دولي في إيجاد تعريف محدد وواضح للإرهاب.

٤- لعبت المصالح الدولية دوراً كبيراً في توفير البيئة المناسبة لظاهرة الإرهاب.

5- بعد تنظيم الدولة الإسلامية داعش أكثر تنظيمات الإرهابية تطرفاً وتزمتاً ويمارس الرعب وزرع الخوف لإخضاع المجتمع في المناطق التي يسيطر عليها.

6- إن الفضاء على تنظيم داعش يتطلب جهداً إقليمياً ودولياً فضلاً عن الجهود الوطنية.

7- لا يقتصر عناصر تنظيم داعش على دولة أو منطقة إقليمية بل هو تنظيم يستقطب عناصر من كافة قارات العالم.

8- دور الضباط الجيش المنحل في الهياكل التنظيمية لتنظيم لداعش وخصوصاً المجالس العسكرية والأمنية.

٩- إن قوة تنظيم داعش تتمثل بالدعم والتمويل المالي الهائل سواء بمصادر التمويل الذاتية (الثورات الموجودة في مناطق سيطرته أو من خلال عمليات التهريب والدعم الخارجي).

١٠- قدرة تنظيم داعش على استخدام التقنيات الالكترونية المتطورة بشكل فعال ومؤثر ببناء الابروبغاندا الإعلامية والعسكرية والتسويقية لنشاطاته وفعاليته المختلفة.

١١- هناك غياب للتعاون والتنسيق الفعال الإقليمي والدولي مع العراق في مجال مكافحة الإرهاب وغياب التحالفات والاتفاقيات الاستراتيجية الطويلة القصيرة وطويلة الأجل.

12- تتناول وسائل العلام المختلفة ظاهرة تنظيم الدولة الإسلامية داعش بحيادية أو موضوعية تحت ضغوط المال أو السياسية.

ثانياً :- التوصيات

1- الاتفاق على تعريف موحد للإرهاب واعتبار كل مجموعة أو مؤسسة تمثل تتبنى الفكر المتطرف أو الإقصائي هو منظمة إرهابية.

٢- العمل على تحقيق المصالحة الوطنية الحقيقية بين أبناء الشعب العراقي ونبذ الفرقة والخلافات العرقية أو الطائفية.

3- الابتعاد عن السجالات السياسية التي سببت توتر بالاحتقان بين أبناء الشعب العراقي.

٤- القيام باتفاقيات طويلة وقصيرة الأجل إقليمياً ودولياً لتجفيف منابع الإرهاب بشرياً ومالياً وفكرياً.

5- التنسيق مع الشرطة الدولية (الانتربول) ومع وزارات داخلية الدول التي تعد مصدراً لعناصر التنظيم ومراقبة كل من يروج لهم ومعرفة الشبكات العالية لمصادر تجنيده.

6- العمل على عدم التعامل مع التنظيم اقتصادياً من خلال عمليات التهريب النفط والآثار المسروقة وكذلك عدم عقد الصفقات لتبادل الأسرى أو السجناء.

7- مراقبة شبكات التواصل الاجتماعي وخصوصاً فيسبوك تويتر ويوتيوب كونها تشكل أكبر مصادر لنشر فكر التنظيم والوسيلة الأكبر للتجنيد.

8- إيجاد الحلول لتحجيم ضباط الجيش السابق من خلال إحصائهم ودمجهم في مؤسسات الدولة الغير أمنية أو إحالتهم على التقاعد.

٩ - التركيز على دور الإعلام وعدم تسييسه والقيام بنقل الحقائق بما يتعلق بالأحداث السياسية في العراق وعدم بث الفرقة والصراعات الطائفية أو العرقية نتيجة الخلافات السياسية.

المصادر والمراجع

أولاً. الكتب العربية

١ -جمال الدين ابن منظور، لسان العرب ،ط ١ ، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣، ج ١.

٢- جيسكالويس وآخرون، ترجمة فهد حسين، داعش والجماعات القتالية دراسات عربية وغربية، ط 1 ، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٦.

3- حسنين توفيق إبراهيم عبد الجبار، أحمد عبدالله التحولات الديمقراطية في العراق القيود والفروض)، مركز الخليج للأبحاث دراسات عراقية ٣، ٢٠٠٥، دبي.

4- رفعت السيد أحمد، داعش خلافة الدم والنار ، ط 1، دار الكتاب العربي، دمشق، 2015.

5- سيف بن زايد آل نهيان وآخرون النظام الأمني في منطقة الخليج العربي، التحديات الداخلية والخارجية ط ١ ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، ٢٠٠٨.

6- صادق علي حسن الهياكل المالية للتنظيمات الإرهابية العراق نموذجاً، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٨.

7- عبد الأحمد يوسف الجريمة المنظمة، دار الكلمة، دمشق، ٢٠٠٢.

8- عبدالباري عطوان، تنظيم الدولة الإسلامية الجذور التوحش المستقبل، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٥.

٩- عبد السلام بوهوش، جريمة الإرهاب، ط 1، مطبعة الكرامة، الرباط، ٢٠٠٤.

١٠- عبدالله عبد الأمير : خفايا السياسة السعودية، سلسلة مقالات مركز البيان للدراسات والتخطيط رقم ٣ العراق، ٢٠١٥.

١١- عماد مؤيد المرسومي : الدور القطري فوضى برائحة الغاز، ط1، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العراق، ٢٠١٤.

١٢-كاظم شبيب المسألة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ٢٠١١.

١٣-كوي بونزل، ترجمة هند مسعد، داعش والجماعات القتالية (دراسات عربية وغربية، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، الرياض، ٢٠١٦.

١٤- ماجد مُحَمَّد خورشيد الداوودي هموم الشعب العراقي الاقتصادية والاجتماعية والخدمية في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق، ط 1 ، شركة الديوان للطباعة، بغداد، 2012.

١٥- مجمع اللغة العربية (مجموعة مؤلفين، المجمع الوسيط، ط1، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩١.

١٦- مجموعة مؤلفين داعش والجماعات القتالية، دراسات عربية وغربية، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت، ٢٠١٦.

١٧- مُحَمَّد باقر الصدر، اقتصادنا، دراسة موضوعية متناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصادية، الماركسية والرأسمالية والإسلام في أسسها الفكرية وتفاصيلها، ط٢٠، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٧.

١٨- مُحَمَّد حميد الهاشمي: مقالات في العمق من داعش - مقالات تحدد استراتيجيات داعش وخطره وأبعاده ودعمه، ط1 ، مركز العراق للدراسات ٢٠١٥.

١٩- مُحَمَّد صادق الهاشمي: مشروع المصالحة الوطني، مستقبل العراق السياسي ، ط ٣، مركز العراق للدراسات ٢٠١٥.

٢٠- مُحَمَّد عزيز شكري، الإرهاب الدولي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٩١.

٢١- مُحَمَّد علوش، داعش وأخواتها من القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية، ط1، رياض الويس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠١٥.

٢٢- محمود صالح العادلي، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب، ط1، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣.

23- مهدي حسن الخفاجي : أميركا مصدر الإرهاب في العراق، ط3، مركز العراق للدراسات، ٢٠١٥.

٢٤- نواف قطيش، الأمن الوطني وإدارة الأزمات ، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١.

٢٥ هشام الهاشمي، عالم داعش تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ط1، دار الحكمة لندن، ٢٠٠٦.

٢٦- هيثم مناع، خلافة داعش، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥.

ثانيا: الكتب الإنكليزية

1-Wikinsionp: Three questions on terrorism in Goremment and op Dsition, vol k No3, London, 1973, p292.

2- Eric Schmitt, in Battle to Defang ISIS, u.s. Targets its psychology, The new yourk Times, 28 December 2014.

3- Danial Lav, Radical Islam and the Revival of medieval Theology, "Cambridge: Cambridge university press, 2012.

4 -By Frederic Wehrey ET al, The Iraq affect the Middle East after the Iraq War, RAND Corporation, Document Number: MG-892-AF, Series Monographs, 2010, p109, p110.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح

1- هيفاء أحمد مُحَمَّد، ظاهرة العنف السياسي في الوطن العربي، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٨.

رابعاً: المجلات

1 - أحمد إبراهيم محمود الإرهاب الجديد الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية مجلة السياسة الدولية، العدد ١٣٧ السنة الثامنة والثلاثون، يناير ٢٠٠٠.

2- أسعد كاظم شبيب: نقد الطائفية في الفكر العراقي المعاصر، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد ٣٨ ، المجلد الأول، جامعة الكوفة، ٢٠١٥.
3- إنعام عبد الرضا سلطان تصعيد الإرهاب في العراق وتأثيرها على منطقة الشرق الأوسط، المجلة السياسية والدولية، العدد ١٦، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠.
4- انتوني كرد ،سمان وآخرون، العراق في مدار الأزمات، مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية، ترجمة حاتم العكيلي مجلة حوار الفكر، العدد ٢٩، المعهد العراقي لحوار الفكر، ٢٠١٤.
5- حسين علاوي خليفة، إدارة التوحش لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وخطورته على الأمن الوطني العراقي، مجلة قضايا سياسية، العددان ٣٧ ، ٣٨، جامعة النهرين كلية العلوم السياسية، ٢٠١٤.
٦- حميد فاضل حسن إشكالية الطائفية السياسية في العراق بين الاستمرارية والانكفائية، مجلة العلوم السياسية، العدد ٣٢، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦.
7- دنيا جواد الدور الإقليمي العراقي - رؤية في الثوابت الإستراتيجية والتحديات المستقبلية، دراسة استشراقية للدور الإقليمي العراقي وقوماته الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، الفرص والتحديات والقيود المجلة السياسية والدولية العدد ١٥ الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠.
8- رؤى خليل سعيد : تركيا إيقاعات مختلفة للتعامل مع العراق مجلة حمورابي للدراسات العدد 9 مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية والعراق، ٢٠١٤.
٩- سعد عطية حميد موسى السياسة المالية والاقتصادية وانعكاساتها على الوضع الأمني، الأسباب وسبل المعالجة مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، العدد ١٢، الجزء ١ ، المجلد ٤، جامعة كركوك، كلية القانون، ٢٠١٥.
١٠ - سهيلة عبد الأيش في معوقات التحول الديمقراطي دراسة المعوقات الداخلية، المجلة السياسية والدولية، العدد ٧ ، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٧.
١١- صلاح حسن أحمد دور الأمن الفكري في تحقيق السلم الاجتماعي، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، العدد ١٢، الجزء ١، المجلد ٤، جامعة كركوك، كلية القانون، ٢٠١٥.
١٢- عامر حسن فياض داعش، مشروع أمريكي صهيوني لتقسيم العراق إلى دويلات تطرف وتخلف، مجلس حمورابي للبحوث والدراسات العدد ١٠، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، العراق، ٢٠١٤.
١٣ - عبد علي كاظم المعموري: إشكالية الانتماء والهوية الوطنية في مجتمعات التنوع (حالة (العراق)، مجلة حمورابي للدراسات العدد ،، مركز حمورابي للبحوث والدراسات أو استراتيجية، العراق، ٢٠١٣.
١٤- عبير سهام مهدي، مفهوم الوحدة الوطنية وطرق تعزيزها في العراق، المجلة السياسية والدولية، العدد ٢٢، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، 2012.
١٥- علي بكر، العنف في العراق وصعود النمط الداعشي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٨ ،

المجلد ،٤٩ ، مركز الأهرام للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مصر، ٢٠١٤.
١٦- علي حسين باكير: محددات السياسة التركية إزاء التحالف الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد ،١٩٩ ، المجلد 50 مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية مصر، ٢٠١٤.
١٧- عيسى إسماعيل عطية دور المصالحة الوطنية في تفعيل السياسة الخارجية العراقية مجلة الدراسات الدولية، العدد ٤٤ ، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد المحلية العلوم السياسية، ٢٠١٢.
١٨-كامل القيم: قناة الجزيرة هجوم بالعنف الرمزي وتصدير القوة الناعمة مجلة حمورابي للدراسات العدد ٦ ، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية العراق، ٢٠١٣.
١٩ -كامل القيم، حرب الرموز وتسويق مثيرات العنف والإرهاب، رؤية في تسويق الدعاية والحرب النفسية لتنظيم داعش مجلة حمورابي للدراسات العدد ١٠، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، العراق، ٢٠١٤.
٢٠- مأمون أحمد مُحَمَّد : التنمية المقدامة مجلة الأمن والحياة، العدد ٣٦١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠١٢.
٢١- محسن صالح : الثورات العربية السياق والتحديات تدخل الدولة الإقليمية برعاية ومتابعة أمريكا (السعودية وقطر نموذجاً)، مجلة مركز حمورابي للدراسات، العدد ٢، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العراق، ٢٠١٢.
٢٢- مُحَمَّد ياس خضير الاستراتيجية الأمريكية والجيل الرابع من الحروب، مجلة حمورابي للدراسات العدد ٦ ، مركز حمورابي لبحوث والدراسات الاستراتيجية العراق، ٢٠١٣.
٢٣- ناظم عبد الواحد الجاسور : دور المؤسسات التعليمية العراقية الحكومية والأهلية في تعزيز حوار الثقافات في المجتمع العراقي، المجلة السياسية والدولية، العدد ١٤، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٤.

خامساً: الأنترنت

1- أبو بكر البغدادي، «باقية في العراق والشام»، مؤسسة الفرقان، ١٥ حزيران ٢٠١٣، على الرابط مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي . https://archive.org/search.php?query =creator:it

٢- أبو حمزة المهاجر، وزير الحرب في تنظيم الدولة الإسلامية، اللقاء الصوتي الأول معه، مؤسسة الفرقان ٢٤ تشرين الأول ٢٠٠٨ ، على الرابط: مؤسسة الفرقان للإنتاج https://archive.org/search.php?query =creator:it الإعلامي،

3- أبو عمر البغدادي، وإن تنتهوا فهو خير لكم)، مؤسسة الفرقان، ٨ تموز ٢٠٠٧، على الرابط مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي . https://archive.org/search.php?query =creator:it

4- بيان مركز شورى دولة الفرات الإسلامية، مركز الفجر للإعلام ١٦ أيار ٢٠١٠، http://studies.aljazeera.net/ar/files/is

il/2014/11/201411236381
6513973.html
٥- مدة تحليلية صادرة عن مركز بدر كنجز في الدوحة شارع ١٣ تشرين الثاني ٢٠١٤، تحت عنوان - Profiling the Islamic state Charles Lister
وعلى الرابط التالي:
http://www.edu/media/Research/files/Reports/Files/Reports/2014/11/profiling Islamic %state%zolister/en-web-lister.pdf
٦- أبو بكر البغدادي خطبة جامع النوري على الرابط:
http://archive.org/download/kutbaik-j.pdf
7- هيثم مناع خلافة داعش من هجرات الدهر إلى بحيرات الدم، المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان، الجزء الأول، على الرابط http://sihr.net
8- القائمة التي أعدها، تشارلز ليستر ، لقيادات تنظيم (داعش) في: تعريف القيادة العليا للدولة الإسلامية صادرة عن مركز بور كنجز ، الدوحة على الرابط:
http://brookings.edul"/media/Research/Files?reports/2014/11/p rofiling-ismalic-state-lister/ar-whos.pdf?la-ar
9- نشرت الـ CNN في ١٣ أيار ٢٠٠٨ على الرابط التالي:
http://www.cnn.com/2008/world/meast05/13/pentagon.
١٠ - بيان تأسيس مجلس شورى المجاهدين .http://www.tawhed.ws/r?i=5cqkqf05
11- أيمن الظواهري، حقائق الصراع بين الإسلام والكفر » مؤسسة السحاب، كانون الأول ٢٠٠٧، وعلى الرابط التالي:
http://www.fawhed.ws/r?i=kdmwdzhq
12- سيف العدل - «تجربتي» النص الذي كتبه سيف العدل من حواراته مع الزرقاوي
https://rewardsforjustice.net/arabic/saif_al_adel.html.
١٣ - أبوه مُحَمَّد العدناني العراق العراق يا أهل السنة»، مؤسسة الفرقان، ٢٤ شباط ٢٠١٢، على الرابط التالي:
http://archive.org/download/nokbah672/iaq2d2.pdf
14- تركي البنعلي - «شيخي الأسبق»، ٣١ أيار ٢٠١٤، على الرابط: http://-?teBfhp/www.qul

الأزمة الأوكرانية بين الأسباب والانعكاسات

م. أيسر علي جواد
جامعة الكوفة – كلية العلوم السياسية

المُلخص

عرفت المجتمعات البشرية ظواهر سياسية متشددة تتسم بالتوتر وصلت إلى مرحلة الانهيار في العلاقات ما يسمى بـ"الأزمة" التي تشكل طوراً متقدماً من الصراعات الدولية حيث تبدأ بالمجادلات بين الأطراف لتصل إلى مرحلة الصراع المسلح، فقد شهدت العلاقات الروسية – الأوكرانية مراحل حرجة بعد تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991. إذ سعت إلى الولايات المتحدة الأمريكية إلى استغلال المكانة الجيواستراتيجية الأوكرانية في شرق آسيا لمحاصرة روسيا عن طريق توسع حلف شمال الأطلسي، مما دفع روسيا إلى شن حملات عسكرية على الأراضي الأوكرانية أبرزها ضم شبه جزيرة القرم إلى السيادة الروسية بعد عام 2014، وصولاً إلى الاجتياح الروسي للأراضي الأكرانية تحت عنوان تجريد أوكرانيا من السلاح الغربي المعادي عام 2022، وأسهم الاجتياح في توتر العلاقات الروسية – الغربية الأمر الذي انعكس على أسواق الطاقة العالمية وحركة التبادلات الإقتصادية والمالية الدولية.

الكلمات المفتاحية

الأزمة، التوتر ، العلاقات الدولية الروسية – الأوكرانية، الولايات المتحدة الأمريكية ، أوروبا

The Ukraine crisis between theory and implications

M. Ayser Ali Jawad
University of Kufa – College of Political Sciences

Abstract

Human societies have known extreme political phenomena characterized by tension that have reached the stage of collapse in relations, the so – called “crisis” which constitutes an advanced stage of international conflicts, as it begins with arguments between the parties and reaches the stage of armed conflict, Russian – Ukrainian relations witnessed critical stages after the disintegration of the Soviet Union 1991.

The United States of America sought to exploit the Ukrainian geostrategic position in East Asia to besiege Russia through NATO expansion, which prompted Russia to launch military campaigns on Ukrainian territory, most notably the annexation of the Crimean Peninsula to Russian sovereignty after 2014,

leading to the Russian invasion of the territories. Under the title of stripping Ukraine of hostile Western weapons in 2022, the invasion contributed to the tension in Russian-Western relations, which was reflected in global energy markets and the movement of international economic and financial exchanges.

the crisis, Stress, International Relations, Russian – Ukrainian United States of America, Europe

مقدمة

يعد مصطلح الأزمة الدولية من المفاهيم السياسية التي ظهرت في القرن التاسع عشر بغية تحديد المدة الانتقالية ما بين السلم والحرب بغض النظر عن تسويتها سلمياً أم تحولت إلى صراع مسلح، وتجسد الأزمة المرحلة التمهيدية التي تسبق الحرب حيث يسعى أطراف الأزمة إلى محاولة إبعاد إمكانية اندلاع الحرب، فالأزمة هي الفاصل الحرج والخطير بين السلم والحرب، وأن العلاقات الدولية تعاني من نكبات متكررة جعلت من الأزمة ظاهرة مفروضة الوجود على الواقع الدولي، وتشكل مرحلة تغيير في مسار العلاقات الدولية بطريقة تضع صانع القرار في مرحلة صعبة التعامل.

إن مسار العلاقات الروسية – الأوكرانية أخذ يتأثر بتضارب المصالح الذاتية وبانعكاس التدخلات الخارجية ذات الأهداف التجزيئية، فقد سعت أوكرانيا إلى الاندماج التلقائي مع القوى الرأسمالية الأوروبية مع أغفالها الترابط الديموغرافي والعقائدي والأيديولوجي لشعوب الأقاليم الأوكرانية مع الواقع الروسي المعادي من الأطراف الغربية، ثم عملت القوى الغربية على استغلال أوكرانيا لمواجهة التطلعات القيادية الروسية العالمية الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات الروسية – الأوكرانية التي وصلت إلى مرحلة النزاع المسلح المقترن بالشد والجذب، والانعكاس على الواقع الدولي برمته في أسواق الطاقة والتبادلات التجارية، ووضع أوروبا في موقف محرج إزاء انتهاك الشرعية الدولية والعودة إلى مرحلة الحروب المباشرة.

أهمية البحث

إن تصاعد الصراعات المسلحة في ظل تفاقم الأزمات يؤدي إلى انتهاك المعايير المتعلقة بالسلم والأمن الدوليين، ناهيك عن أرباك الوضع الدولي والدخول في مرحلة تتسم بعدم استقرار العلاقات الدولية.

إشكالية البحث

يتمحور البحث حول إشكالية مفادها: **" طبيعة الأزمة الأوكرانية وانعكاساتها على الوضع الدولي"**، فقد تميزت العلاقات الروسية – الأوكرانية بتدخل أغلب القوى العالمية تحقيقاً للمصالح الذاتية. وعليه تتضح التساؤلات التالية، وهي:

- ما هي مفهوم الأزمة وطرق تسويتها؟
- ما هي طبيعة أزمة العلاقات الروسية – الأوكرانية؟

- ما هي تداعيات الأزمة بين روسيا وأوكرانيا على الواقع الدولي؟

فرضية البحث

يفترض البحث أن الأزمة الروسية – الأكرانية وصلت إلى مرحلة النزاع المسلحة جراء التناقض في الرؤى بين الأطراف الدولية الساعية لفرض هيمنتها على النظام الدولي، لا سيما التدخلات الأميركية التي حفزت أوكرانيا نحو التسابق العسكري، والتطلع للانضمام إلى حلف شمال الأطلسي، الأمر الذي وضع روسيا أما خيارات صعبة لقيادة الأزمة، والدفاع عن المصالح العليا في مجالها الحيوي.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، بغية تتبع التأثيرات المباشرة على العلاقات الروسية – الأوكرانية، والأسباب الموجبة التي دفعت الطرفين للحرب وانعكاساتها الدولية.

هيكلية البحث

اشتمل البحث على ملخص، ومقدمة، وخاتمة، كما تضمن مطالب ثلاثة، إذ في المطلب الأول: **"ماهية الأزمة الدولية"**. والمطلب الثاني: **"أزمة العلاقات الروسية – الأوكرانية"**. والمطلب الثالث: **"تداعيات الأزمة الروسية – الأوكرانية على الوضع الدولي"**.

المطلب الأول
ماهية الأزمة الدولية

يعد مصطلح الأزمة الدولية من المصطلحات التي ظهرت في القرن التاسع عشر تفسيراً للمرحلة الانتقالية بين السلم وبين الحرب، سواء وصلت إلى صراع أم تمت تسويتها، وهي مرحلة تمهيدية يسعى فيها الأطراف إلى إبعاد فرضية نشوء الحرب، وأن العلاقات الدولية موغلة في الأزمات المتلاحقة، وهي ظاهرة فرضت وجودها على الواقع الدولي، وتشكل نقطة تغير في مسار العلاقات الدولية، إذ تضع صانع القرار في موقف التفاعل في علاقات متشابكة في المجتمع الدولي. وبناء عليه، نقسم هذا المطلب على فقرتين، هما: الفقرة الأولى، مفهوم الأزمة وأسبابها. والفقرة الثانية، طرق تسوية الأزمات الدولية.

الفقرة الأولى: مفهوم الأزمة وأسبابها

تعرف الأزمة لغوياً بأنها: "الشدة والضيق والفعل منها أزم، بمعنى اشتد الأمر وضاق"[1]، وللأزمة مفهومان، هما: الأول، التغيير المباغت للأفضل أو الأسوأ في الإمراض الحادة، والثاني، أزمة سياسية أو اقتصادية أو مستوى في العمل المسرحي أو القصصي تتناقض فيها العوامل أشد ما يكون[2].

إن مصطلح الأزمة "الأزمة" **(crisis)** مشتق من الكلمة الإغريقية **(krino)** التي تعني أداة إدارة أو

---

(1) مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص5.

(2) موفق أسعد عسكر وآخرون، معجم الرافدين، الدار الوطنية للتوزيع والنشر، بغداد، 1987، ص225.

القرار الحاسم، وهي الحالة المتصفة بالخطر، الترقب، والقلق، وفي اللغة الصينية يجمع مصطلح الأزمة بين معنيين، هما: "الخطر" و"الفرصة" التي يمكن استثمارها لردع الخطر[1].

إن اختلاف تحديد معنى مصطلح الأزمة ناتج من اختلاف مستويات الأزمة التي يمكن أن تحدث في أية جهة وفي أي مكان أو زمان، ويمكن منع وقوع بعض الأزمات، لكن البعض الآخر لا يمكن معالجتها أو احتوائها أو منعها من التحول إلى نزاع مسلح، وخصوصا الأزمات التي تتسم بدرجة عالية من التعقيد وتنطوي على تهديد للقيم والمصالح العليا لأطراف الأزمة[2].

1- مفهوم الأزمة بموجب النسق أو النظم

تعرف الأزمة الدولية بموجب مدرسة النظم بالاعتماد على الهيكل التنظيمي على اعتباره منهج لدراسة السياسة الدولية، وتحديد آثار الأزمة على تطور النظام الدولي[3]، فقد عرف "كينيث إي بولدينج" **(Kenneth E. Boulding)** الأزمة الدولية: "نقطة تحول في العلاقات الدولية أو النظام السياسي، أي أن الأزمة الدولية إنما هي أزمات النظام السياسي"[4]، ويعرف "اوران ر. يونغ" **(Oran R. Young)** الأزمة الدولية بأنها: "مجموعة من الأحداث السريعة التلاحق التي تزيد من اثر قوى عدم الاستقرار في النظام الدولي العام أو في أي من نظمه فوق المستويات المعتادة الطبيعية وبشكل ملحوظ بحيث تزيد من إمكانات وقوع العنف داخل النظام الدولي"[5].

2- مفهوم الأزمة لدى صانع القرار

يعرف صناع القرار الأزمة الدولية بأنها حالة التهديد الآني لأهداف مركزية نابعة من النسق العقيدي، إذ يعرف "كاليفي هولستي" **(Kalevi J. holsti)** الأزمة الدولية على أنها إحدى مراحل الصراع المفاجئة من أحد الأطراف تسهم في زيادة التهديد إلى مرحلة ترغم صانعي القرار على اختيار الحرب أو الاستسلام[6]، ويؤكد "جيمس م. ماكورميك" **(James M. McCormick)** أن الأزمة "موقفاً بين دولتين أو أكثر يتم إدراكه من قبل صانع القرار"، ويتضمن الموقف خصائص، هي[7]:

---

(1) سامي الصمادي، إدارة الأزمات، معهد الإدارة العامة، عمّان، 1997، ص1.

(2) حسن البزاز، إدارة الأزمة بين نقطتي التحول والغليان، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت، 2001، ص13.

(3) A. S. Hornby, E. V. Gatenby and H. Wakefield, The Advanced learner s dictionary of current English, Oxford University Press, London, 1954, P. 230.

(4) Kenneth E. Boulding, Conflict and defense, Harper Torchbooks, Sage Publications, Inc., New York, Vol. 7, No. 3, December, 1962, P. 250.

(5) Oran R. Young, The Intermediaries third parties in International Crisis, Princeton University Press, New jersey, 1967, P. 10.

(6) Kalevi J. holsti, International Politics: A Framework for Analysis, Prentice – Hall International, New Jersey, 1977, P. 429.

(7) James M. McCormick, International Crises: A Note on Definition, The Western Political Quarterly, University of Utah, Vol. 31, No. 3, September, 1978, P. 352.

3- مفهوم الأزمة في المدرسة التوفيقية

سعت المدرسة التوفيقية إلى الجمع بين أفكار مدرسة النظم ومدرسة صانع القرار لتحقيق التكامل بينهما، فقد "مايكل بريشر" **(Michael Brecher)** الأزمة الدولية بأنها: "حالة ترافقها ظروف أربعة ضرورية تفي بغرض قيامها"، هي[1]: تهديد قيم ومصالح عليا. وتغيير في البيئة الداخلية والخارجية. وإمكانية استخدام القوة. ومحدودية الوقت عند الاستجابة. ويعرف "آري أوفري" **(Arie Ofri)** الأزمة الدولية: "حالة التغيير في المحيط الخارجي، والتي سوف تدرك في إطار وقت محدود، وكذلك اتخاذ وضع لمواجهة تهديد القيم والمصالح القومية"[2]. وتتميز الأزمة بخصائص مهمة، هي[3]:

أ- بروز مواقف متناوبة باتت تهدد الأهداف العليا للدولة.

ب- تزايد الحاجة إلى أفعال مؤثرة تواجه الظروف المستجدة التي تعد تهديداً لمصالح أحد الأطراف.

ت- الضرورة إلى قرارات مصيرية تواجه نتائج التحولات في مستقبل الأطراف.

ث- ظهور درجة من الشك المريب في خيارات الطرف الآخر يسودها القلق والترقب.

ج- يتوجب في الأزمة السيطرة على الأحداث.

ح- انعكاس الأزمة على الوضع العالمي بسبب التوتر، وتكون قوة جذب لقوى أخرى بمراحل متفاوتة.

إن الأخطاء القيادية الناجمة عن سوء التقدير والإدارة تدفع الأطراف إلى الشعور بانعدام الثقة والريبة في المواقف، الأمر الذي يحفز صانع القرار على الذهاب إلى قرارات خاطفة غير عقلانية تدفع الموقف نحو التأزم، لذلك تعدد أسباب الأزمة الدولية، وتتباين مظاهرها، وأن أبرز أسباب الأزمة، هي[4]: الخلافات الحدودية. والتمسك بالأهداف والمصالح الإستراتيجية. والتناقض والصراعات الأيديولوجية. ومنع التدخل في الشؤون السيادية.

وتمر الأزمة الدولية بثلاث مراحل، هي: " مرحلة التصاعد" إذ تزداد حدة الأزمة، وتبلغ درجة الخطر، و"مرحلة التناقص" حيث تنقص درجة الأزمة، و"مرحلة الاستقرار" إذ تستقر عند درجة معينة دون تعقيدها وبانتظار تسويتها، و"مرحلة التلاشي والانتهاء" إذ تنتهي الأزمة بالحرب أو الحل السلمي[5].

الفقرة الثانية: طرق تسوية الأزمات الدولية

---

[1] Michael Brecher, International Studies in the Twentieth Century and beyond: Flawed Dichotomies, Synthesis, Cumulation: ISA Presidential Address, International Studies Quarterly, Oxford, Oxford University Press, Vol. 43, No. 2, June, 1999, P. 213.

[2] Arie Ofri, Crisis and Opportunity for Casting, Orbid. a Journal of World Affairs, New Delhi, Vol. 26, No. 4, winter, 1983, P. 821.

[3] أمين حامد هويدي، فن إدارة الأزمات العربية في ظل النظام العالمي الحالي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، المجلد 16، العدد 172، حزيران/يونيو، 1993، ص52.

[4] عباس رشيد العماري، إدارة الأزمة في عالم متغير، مركز الأهرام الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993، ص14 – 16.

[5] المرجع نفسه، ص16.

تعرف إدارة الأزمة بأنها السيطرة أو الضبط للأزمة حتى لا تقود إلى الحرب، والوصول إلى الحلول المقبولة تسهم بالحفاظ على أمن ومصالح الدولة الحيوية، وهي الإجراءات والقرارات المؤدية إلى الحد من النزاع ومواجهة محاولات الاستفزاز والتصعيد[1]، وبناء عليه، فأن إدارة الأزمة هي آلية تقاوم الأحداث الطارئة، بهدف امتصاص آثارها السلبية أو كسب التحدي من خلال استسلام الخصم، وهو مفهوم مرن يختلف من دولة إلى أخرى، ولا يوجد إدارة أزمة أو تكتيك ثابت لكل الدول، وإنما حسب الأهداف المرسومة، ولا توجد معالجة عامة مقبولة تصلح لكل الأزمات حيث تتضمن مساعي صانع قرار الأطراف المشاركة إلى ممارسة الضغط بأسلوب حكيم ومرن وفق مقتضيات الموقف.

إن قرارات مواجهة الأزمات تكون ذو طبيعة استثنائية تتخذ في وقت قصير لمواجهة حالة مفاجئة تنطوي على الخطر والتهديد للعلاقات في إطار ملئ بالضغوط، ونقص المعلومات، ومحدودية الوقت مع تضاؤل قدرة التحكم في مسار الأزمة، لذلك هناك أساليب ثلاثة لإدارة الأزمة، وهي[2]:

أ- الأسلوب السلمي من خلال الوسائل الدبلوماسية.

ب- الأسلوب الردعي الذي يجمع بين الوسائل السلمية ووسائل القوة.

ت- الأسلوب العنفي أو استخدام القوة.

إن الأزمة الدولية تدار بالمفاوضات المتكافئة حيث يتوصل الطرفان إلى حل متوازن يرضي الطرفين، ويمكن أن تدار بالمفاوضات غير المتكافئة، حيث يضغط الطرف الأقوى على الضغط على الطرف الأضعف حتى يخضع ويقدم التنازلات المطلوبة[3]، لذلك فأن مفهوم "إدارة الأزمة" يختلف عن "الإدارة بالأزمة" إذ يعتمد على افتعال أزمة معينة للتملص من أزمة أخرى، وأن صناعة أزمة هو وسيلة للتمويه على المآزق القائم، لهذا فأن إدارة الأزمة تتطلب شروطا معينة، أبرزها[4]:

أ- الإبقاء على قنوات الاتصال بين أطراف الأزمة بغية ديمومة الحوار.

ب- خلق هامش لحرية الحركة، وعدم قطع خطوط الرجعة على الخصم مع ترك بدائل للأطراف.

ت- الجمع بين أدوات الإكراه والترغيب لتحقيق الأهداف.

ث- ضبط التعامل مع الأزمة بموجب المنهج العلمي من حيث التخطيط والتنفيذ.

ج-ضمان القدرة على الموازنة بين الحفاظ على مصالح الدولة العليا وتجنب تصاعد الأزمة إلى الحرب.

ح-أن يكون التهديد باستخدام القوة بحجم القدرات المتاحة بحيث لا يؤثر على مصداقية تنفيذها.

وتتوزع إدارة الأزمة على مراحل مختلفة،

---

[1] فيليب وليامز، إدارة الأزمة والمجابهة الدبلوماسية في العصر النووي، مركز البحوث والمعلومات، بغداد، 1986، ص89.

[2] مالك خضير المحياوي، الولايات المتحدة والأزمات الدولية في المنطقة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1993، ص16.

[3] مازن إسماعيل الرمضاني، إدارة الأزمة الدولية، مجلة أم المعارك، بغداد، العدد 3، 1995، ص25.

[4] عبد القادر محمد فهمي، مجالات فكرية حول مفهوم الأزمة وطرق إدارتها، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد 22، كانون الثاني/يناير، 1991، ص1.

أهمها[1]:

أ- مرحلة تجنب الأزمة من خلال تفادي وقوع الأزمة.

ب- مرحلة الاستعداد لإدارة الأزمة بعد فشل محاولات منع وقوع الأزمة.

ت- مرحلة إدراك الأزمة التي تؤشر الوجود الفعلي للأزمة.

ث- مرحلة احتواء الأزمة التي تتطلب اتخاذ قرارات سريعة في ظل ظروف مهددة.

ج-مرحلة حل الأزمة حيث تستخدم أساليب تقليدية وغير تقليدية.

ح-مرحلة الانتفاع من دروس الأزمة بعد انتهاء الأزمة.

المطلب الثاني

أزمة العلاقات الروسية – الأوكرانية

انطلقت العلاقات الثنائية الروسية – الأوكرانية خلال الحرب العالمية الأولى عام 1914، حيث كانت الإمبراطورية الروسية تخوض إصلاحها السياسي، ثم تغيرت العلاقات البينية إذ احتل الجيش الأحمر الروسي الأراضي الأوكرانية عام 1920، والتي أصبحت لا حقاً جزء من الاتحاد السوفياتي عام 1922، وقد أعيدت العلاقات بين روسيا وأوكرانيا بعد تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991، لكن طبيعة هذه العلاقات أخذت بالتوتر جراء التدخلات الغربية في أوكرانيا لمحاصرة روسيا ضمن نطاقها الحيوي، الأمر الذي حفز روسيا على اجتياح جزيرة القرم لمساندة الأطراف المطالبة بالانفصال عام 2014، فضلاً عن دعم روسيا للمقاتلين الانفصاليين من "جمهوريتي "دونيتسك" **(Donetsk)** و"لوغانسك" **(Lugansk)** في أوائل عام 2020، ثم تدخلت القوات الروسية في حرب مباشرة في أوكرانيا بعنوان الدفاع عن المصالح الحيوية في أوكرانيا فُرض بسببها العقوبات الغربية على روسيا. وبناء عليه، سوف نقسم هذا المطلب على فقرتين، هما: الفقرة الأول، أزمة شبه جزيرة القرم. والفقرة الثانية، أزمة التقارب الأوكراني– الغربي.

الفقرة الأولى: أزمة شبه جزيرة القرم

لقد كانت القرم جزء من روسيا منذ القرن الثامن عشر مع أن الأثنية الروسية لم تصبح المجموعة السكانية الأكبر في القرم حتى القرن العشرين، وقد تمتعت القرم بحكم ذاتي تحت اسم جمهورية القرم السوفيتية الاشتراكية ذاتية الحكم من عام 1922 حتى عام 1945، إذ قام الزعيم السوفياتي "جوزيف ستالين" **(Joseph Stalin)** بتهجير الأكثرية التترية القرمية، وإلغاء الحكم الذاتي[2].

وقام الزعيم السوفياتي "نيكيتا خروتشوف" **(Nikita Khrushchev)** عام 1945، بنقل منطقة القرم من جمهورية روسيا السوفياتية الاتحادية الاشتراكية إلى جمهورية أوكرانيا السوفياتية الاشتراكية، ولم يؤذن للتتاريين القرميين بالعودة إلى مناطقهم، وقد أعيد الحكم الذاتي إلى القرم في أواخر

---

[1] N. R. Augustine, Managing the Crisis You Tried to Prevent, In: Harvard Business Review on Crisis Management, Harvard Business School Press, Boston, 2000, P. 149 – 152.

[2] روبرت كونكوست، قتلة الأمم: النفي السوفياتي للأمم أثناء الحرب العالمية الثانية، ترجمة: صادق إبراهيم عودة، الشركة الدولية للطباعة والنشر، عمّان، 1987، ص109.

وجود الاتحاد السوفيتي عام 1991، ومع وجود توترات انفصالية ظلت القرم جمهورية ذاتية الحكم ضمن أوكرانيا[1].

وقد وقعت روسيا الاتحادية مع أوكرانيا والولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا مذكرة "بودابست للضمانات الأمنية" عام 1994، وتضمنت الاعتراف القانوني لشبه جزيرة القرم التي تتمتع بالحكم الذاتي ضمن أوكرانيا المستقلة، مع تعهد روسيا الاتحادية بالحفاظ على وحدة الأراضي الأوكرانية، وفي المقابل تتخلى أوكرانيا بموجب هذه الاتفاقية عن أسلحتها النووية[2].

وبدأت الولايات المتحدة الأميركية بإدارة الشؤون الأوكرانية في خطورة لتقييد التحركات الروسية في منافذها البحرية في ميناء في شبه جزية القرم قاعدة "سيڤاستبول" **(Sevastpol)** التي تضم أسطول البحر الأسود الروسي، فضلاً عن تعزيز القدرات التسليحية الأوكرانية، والدعوات لضم أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي، الأمر الذي أصبح مثاراً للتوتر في العلاقات الروسية – الأوكرانية.

وبعد تعليق الرئيس الأوكراني "فيكتور يانوكوفيتش" **(Viktor Yanukovych)** التوقيع على اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي أواخر عام 2013، بدأت احتجاجات كييف في الميدان الأوروبي للمطالبة بدخول أوكرانيا إلى الاتحاد الأوروبي، وتأججت الاحتجاجات التي وصلت إلى الاشتباكات بين قوات الأمن والمحتجين في فبراير/شباط 2014، وأدت إلى مقتل بعض المحتجين والقوى الحكومية الأمر الذي دفع مجلس النواب الأوكراني على عزل الرئيس "فيكتور يانوكوفيتش" في شباط/فبراير 2014[3].

ونتيجة التغيير في كييف تم إلغاء قانون اللغة للأقليات، وإعلان اللغة الأوكرانية لغة رسمية وحيدة، ولم يرق لسكان جنوب وشرق البلاد حيث استاءت الأقاليم، خاصة شبه جزيرة القرم، إذ أن خطوة إلغاء قانون اللغات دليل على أن المحتجين في كييف يحملون أجندة غربية معادية لروسيا ولهم توجه عنصري، وتظاهر محتجون ينتمون للقومية الروسية على الأحداث في كييف، وطلباً للمزيد من التكامل مع روسيا، بالإضافة إلى حكم ذاتي موسع أو استقلال لشبه جزيرة للقرم عن أوكرانيا.

واتهمت كييف قيام موسكو بالتدخل في شؤونها الداخلية، وتصاعد التوتر في القرم الذي استجلب ردود فعل من حلفاء أوكرانيا الغربيين، إذ ألقى الرئيس الأميركي "باراك أوباما" **(Barack Obama)** في شباط/فبراير 2014، بياناً جاء فيه: "إن الولايات المتحدة ستقف بحزم مع المجتمع الدولي للتأكيد على أن أي انتهاك لسيادة أوكرانيا سيكون له

---

[1] وفقاً للإحصاء السكاني عام 2001، مثل الروس (58) بالمئة من إجمالي مليوني مقيم في شبه القرم، وفي سيڤاستبول التي تضم قاعدة أسطول البحر الأسود الروسي، مثل الروس (70) بالمئة من سكان المدينة البالغ عددهم (340,000)، والأوكرانيون مثلوا (24) بالمئة، والتتريون القرميون مثلوا (12) بالمئة.

[2] Maciej Olchawa, Mission Ukraine: he 2012 – 2013 Diplomatic Effort to Secure Ties with Europe, McFarland, Incorporated, Publishers, Kansas, 2017, P. 120.

[3] ستيفن لي مايرز، القيصر الجديد: بزوغ عهد فلاديمير بوتين، ترجمة: تيسير نظمي خليل، العبيكان، الرياض، 2018، ص536.

ثمن"، وخلال اتصال بين "باراك أوباما" و"فلاديمير بوتين" **(Vladimir Putin)** أعربت الولايات المتحدة الأميركية عن قلقها العميق من انتهاك روسيا الواضح لسيادة أوكرانيا ووحدة أراضيها[1]، إذ حذر وزير الخارجية الأميركية "جون كيري" **(John Kerry)** في آذار/مارس 2014، روسيا من إمكانية طردها من مجموعة الدول الثماني، وإضافة قائلاً: "لا ينبغي أن تتصرف في القرن 21 بعقلية القرن 19، وتغزو دولة أخرى بذريعة مفتعلة"، كما علق البنتاغون التعاون العسكري مع روسيا منها التدريب والاجتماعات الثنائية وتوقف السفن والتخطيط العسكري، وفي بيان لمفوضة الشؤون الخارجية الاتحاد الأوروبي أشارت "كاثرين أشتون" **(Catherine Ashton)** قائلة: "ينبغي على الجميع احترام وحدة أراضي أوكرانيا وسيادتها بشكل دائم"[2].

ومضت روسيا في خطواتها إذ وافق مجلس الاتحاد الروسي بالإجماع على طلب الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" استخدام القوات الروسية في أوكرانيا في آذار/مارس 2014، وجرى استفتاء في شبه جزيرة القرم للانفصال عن أوكرانيا والانضمام لروسيا الاتحادية في آذار/مارس 2014، وجاءت نتيجة الاستفتاء لصالح الانضمام لروسيا بنسبة (95) بالمئة[3].

وبعد ضم شبه جزيرة القرم فرضت أميركا عقوبات على روسيا تضمنت تجميد أصول، وحظر سفر، وحظر البنك الروسي من التعامل مع النظام المصرفي الأميركي، كما أوقفت اليابان مفاوضات مع روسيا تتعلق بالاستخدام السلمي للفضاء، واستثمارات وإلغاء تأشيرات الدخول.

الفقرة الثانية: أزمة التقارب الأوكراني– الغربي

استمرت وروسيا وأوكرانيا بعلاقات وثيقة مع الغرب بعد تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991، ووافقت أوكرانيا على التخلي عن ترسانتها النووية في "مذكرة بودابست" عام 1994، بشرط أن "تصدر روسيا وأميركا وبريطانيا ضمانات ضد أي تهديد للسلامة الإقليمية والاستقلال السياسي الأوكراني، كما وقعت روسيا على "ميثاق الأمن الأوروبي" في قمة إسطنبول عام 1999، حيث أكدت على الحق التلقائي لكل دولة في أن تكون حرة في انتقاء أو تغيير ترتيباتها الأمنية"[4].

لقد إن القيادة الروسية نظرت إلى أوكرانيا كونها جزء من مجالها الحيوي، واتبعت روسيا في الصراع مع أوكرانيا "عقيدة بريجنيف" التي ترى أن السيادة الأوكرانية لا يمكن أن تكون أوسع من سيادة الأعضاء السابقين في حلف وارسو السابق، وأن تصرفات روسيا لإرضاء الغرب في تسعينيات القرن العشرين

---

[1] Geoffrey Dickens, Rebekah Doley and Theresa Gannon, The Psychology of Arson A Practical Guide to Understanding and Managing Deliberate Firesetters, Taylor & Francis, England, 2015, P. 108.

[2] Ibid, P. 121.

[3] محمود سالم السامرائي، استراتيجية روسيا الاتحادية الصاعدة نهاية القطبية الأحادية، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمّان، 2021، ص107.

[4] كريم مصلوح، سياسة الدفاع الأوروبي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2022، ص116.

يجب أن تواجه بالمثل من خلال منع توسع حلف شمال الأطلسي على الحدود الروسية.

لذلك دعمت روسيا إنشاء "شبه دول" داخل أوكرانيا، خاصة بعد ضم روسيا لجزيرة القرم في آذار/مارس 2014، إذ اندلعت الحرب في إقليم "دونباس" (Donbas) في نيسان/أبريل 2014، فضلاً عن دعم جمهوريتي "دونيتسك" و"لوغانسك" الشعبيتين، وازدادت التوترات الروسية – الأوكرانية بعد موافقة الرئيس الأوكراني "فولوديمير زيلينسكي" (**Volodymyr Zelensky**) في أيلول/سبتمبر 2020، على استراتيجية الأمن القومي الأوكراني التي نصت "على تطوير شراكة مميزة مع الناتو، بهدف الحصول على عضوية داخل الحلف"، كما وقع الرئيس "فولوديمير زيلينسكي" على المرسوم المرقم (117) في آذار/مارس 2021، وتضمن الموافقة على "استراتيجية إنهاء الاحتلال، وإعادة دمج استرجاع الأراضي المحتلة لجمهورية القرم المتمتعة بالحكم الذاتي ومدينة سيڤاستبول"[1].

لهذا طرح الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" في تموز/يوليو 2021، مقالاً بعنوان: "عن الوحدة التاريخية بين الروس والأوكرانيين"، إذ أكد أن الأوكرانيين والروس هم "شعب واحد"، وأكد مجلس الأمن القومي الروسي أن انضمام أوكرانيا الممكن إلى حلف شمال الأطلسي، وتوسيع الحلف بشكل عام يهددان أمن روسيا القومي، وفي المقابل اتهمت أوكرانيا والدول الأوروبية الرئيس "فلاديمير بوتين" بمحاولة استعادة الإمبراطورية الروسية، واتباع استراتيجيات عسكرية عدائية[2].

وأشار الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" في كانون الأول/ديسمبر 2021، إلى التمييز والإبادة الجماعية ضد الروس في إقليم "دونباس"، وأشار متحدث الخارجية الأميركية "نيد برايس" (**Ned Price**) أن موسكو تزعم هذه الأحداث ذريعة لغزو أوكرانيا، وبعد الاعتراف الروسي بجمهوريتي "دونيتسك" و"لوغانسك" الشعبيتين وإقليم "دونباس" في شباط/فبراير 2022، أمر الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" بإرسال القوات الروسية بمهمة حفظ السلام. وصرح الرئيس الأميركي "جو بايدن" (**Joe Biden**) في شباط/فبراير 2022، قائلاً: "إن بداية الغزو الروسي لأوكرانيا قد حدث"، وأكد أمين عام حلف شمال الأطلسي "ينس ستولتنبرغ" (**Jens Stoltenberg**)، قائلاً: "إن المزيد من الغزو قد حدث"[3].

وأعلنت أوكرانيا حالة الطوارئ في 22 شباط/فبراير 2022، وألقى الرئيس "فولوديمير زيلينسكي" خطاب ناشد مواطني روسيا بمنع الحرب، لكن الاجتياح الروسي حدث خلال اجتماع مجلس الأمن الدولي بهدف نزع فتيل الأزمة، وكان الأمين العام للأمم المتحدة "أنطونيو غوتيريش" (**António Guterres**) صرح قائلاً: "أعطُوا السلام فرصة"، ثم

---

[1] شذى زكي، دوافع وأهداف الحرب الروسية على أوكرانيا، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، 2023، ص18.

[2] Bruce E. Johansen, Nationalism Vs. Nature Warming and War, Springer Nature Switzerland, Switzerland, 2023, P. 241.

[3] شادي عبد الوهاب منصور، تحليل العلاقات الدولية والتنبؤ بمستقبلها في المناهج الاستخباراتية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2023، ص56.

أعلن الرئيس "فلاديمير بوتين" عن "عملية عسكرية لتجريد أوكرانيا من السلاح، واجتثاث النازية"، وبدأ القصف في جميع أوكرانيا، كما تقدمت روسيا بمشروعي معاهدتين لأميركا والناتو في تشرين الأول/أكتوبر 2022، تضمنت التعهد بعدم انضمام أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي، وخفض قوات الناتو المتمركز في أوروبا الشرقية، وهددت برد عسكري[1].

أما الدعم الأجنبي العسكري فقد أعطى أعضاء حلف شمال الأطلسي إلى أوكرانيا أسلحة دفاعية، واستخدم الرئيس الأميركي "جو بايدن" سلطة السحب الرئاسي لإعطاء مساعدات تبلغ (260) مليون دولار، وتسليم أسلحة "جافلن" (**Javelin**)، و"أسلحة مضادة للدروع وصغيرة وذخيرة ذات عيارات مختلفة ومعدات غير قتالية أخرى، وأعلنت بلجيكا، التشيك، إستونيا، فرنسا، هولندا، وبريطانيا أنها سترسل المزيد من الأسلحة لدعم الجيش والحكومة الأوكرانية، لكن ألمانيا استبعدت إرسال أسلحة ومنعت إستونيا وفق ضوابط تصدير الأسلحة الألمانية، من إرسال مدافع "هاوتزر" (**Howitzer**) الألمانية إلى أوكرانيا"[2].

وأعلن وزير الخارجية الأميركي "أنتوني بلينكين" (**Anthony Blinken**) أنه سمح بمساعدات عسكرية بمبلغ (350) مليون دولار، تشمل "أنظمة مضادة للدروع والطائرات، وأسلحة صغيرة مختلفة، ودروع واقية للجسد". وصرح منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي "جوزيب بوريل" (**Josep Borrell**) بشراء أسلحة لأوكرانيا بشكل جماعي بقيمة (502) مليون دولار وبقيمة (56) مليون دولار[3].

وأعلن رئيس الوزراء البريطاني "بوريس جونسون" (**Boris Johnson**) فرض عقوبات على خمسة بنوك روسية، وأعلن المستشار الألماني "أولاف شولتس" (**Olaf Schulz**) "أنه سيوقف عملية التصديق لخط أنابيب "نورد ستريم – 2" (**Nord Stream – 2**)، وقد وضع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي في القائمة السوداء جميع أعضاء مجلس الدوما الذين صوتوا لصالح الاعتراف بالمناطق الانفصالية"، وأعلن الرئيس الأميركي "جو بايدن" فرض عقوبات على بنوك روسية، وعقوبات شاملة على الديون السيادية، وأعلنت رئيسة المفوضية الأوروبية "أورسولا فون دير لاين" (**Ursula von der Leyen**) فرض عقوبات أوروبية تستهدف عمليات نقل التكنولوجيا والبنوك والأصول الروسية.

وصرحت جمهورية الصين الشعبية أن الصراع الروسي– الأوكراني لم يكن غزواً، واتهمت الولايات المتحدة الأميركية بالتحريض على الحرب، وحثت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الصينية "هوا تشون ينغ" (**Hua Chunying**) روسيا وأوكرانيا على العمل من أجل السلام بدلاً من تصعيد التوترات.

المطلب الثالث

(1) Philip W. Blood, Dustin Du Cane and Chris Bellamy, Russian Genocidal Warfare A Strategy of Annihilation, C. Hurst (Publishers) Limited, England, 2023, P. 44.

(2) Bruce E. Johansen, op. cit, P. 243.

(3) Philip W. Blood, Dustin Du Cane and Chris Bellamy, op. cit, P. 76.

تداعيات الأزمة الروسية – الأوكرانية على الوضع الدولي

إن انعكاسات الحرب الروسية – الأوكرانية في شباط/فبراير 2022، فاقة التوقعات فنتيجة لهذا الاضطراب الجيوسياسي كانت بداية لأزمة استثنائية عصفت بقطاع الطاقة حول العالم، حيث وصلت أسعار النفط والغاز إلى أعلى مستوياتها منذُ ما يقرب من عقدين، إذ ارتفعت تكاليف الطاقة بنسبة (3 , 58) بالمئة منذ بدء العمليات. وبناء عليه، سوف نقسم هذا المطلب على فقرتين، هما: الفقرة الأولى، الانعكاسات الطاقوية على الدول الأوروبية. والفقرة الثانية، انعكاسات الغذاء والطاقة في أميركا والشرق الأوسط.

الفقرة الأولى: الانعكاسات الطاقوية على الدول الأوروبية

إن دول الاتحاد الأوروبي تستورد (27) بالمئة من النفط الروسي، وتعتمد على حوالى (90) من احتياجاتها الغازية على روسيا، وتستورد (46) بالمئة من الفحم الروسي، لذلك كانت الدول الأوروبية الأكثر تضرراً فمنذُ انطلاق العمليات الروسية في أوكرانيا ارتفعت تكلفة برميل النفط في منظمة "أوبك" **(OPEC)** إلى حوالى (114,3) دولار، كما ارتفعت أسعار الغاز الطبيعي من (2,55) دولار في كانون الثاني/يناير 2022، إلى (3,27) دولار أميركي في تموز/يوليو 2022[1].

لهذا عقد المجلس الأوروبي في 24 شباط/فبراير 2022، اجتماعاً لبحث التداعيات الناجمة عن العمليات العسكرية الروسية، وشرعت الولايات المتحدة الأميركية بعد التنسيق مع بريطانيا والحلفاء في الاتحاد الأوروبي في اتخاذ إجراءات ضد واردات الغاز والطاقة الروسية، إذ أعلن الرئيس الأميركي "جو بايدن" في آذار/مارس 2022، حظر واردات النفط والغاز الروسي، وعقد صفقة أميركية – أوروبية للغاز المسال، تتضمن مد واشنطن دول الاتحاد بنسبة (10) بالمئة مما كانت تستقبله من روسيا، وخلال اجتماع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي في "لوكسمبورغ" في نيسان/أبريل 2022، فرضوا حظراً نفطياً على روسيا، وبادر قادة الاتحاد الأوروبي إلى طرح إجراءات طارئة لمعالجة وضع سوق الطاقة من خلال خطة "ري– باور– إي. يو" **(RE – POWER – E. U)** في أيار/مايو 2022، بهدف إنهاء الاعتماد على الوقود الأحفوري الروسي، وتخفيض الطلب على الغاز الروسي بمقدار الثلثين قبيل عام 2030، وتشتمل الخطة التوفير المتنوع لإمدادات الطاقة، والتسريع في نشر الطاقة المتجددة[2].

وتوصل البرلمان الأوروبي في أيار/مايو 2022، إلى الأخذ باختلافات ظروف الطاقة للدول الأعضاء، مع اتفاق سياسي مؤقت لقواعد تخزين

---

[1] Qinghai Li, Nikolaos Freris and Harsh Kumar, proceedings of the 4th International Conference on Economic Management and Model Engineering, ICEMME 2022, November 18 – 20, 2022, EAI Publishing, Nanjing, China Icemme, 2022, P. 1795.

[2] Marco Siddi, Assessing the European Union's RE Power EU Plan Energy Transition Meets Geopolitics, Finnish Institute of International Affairs, Helsinki, 2022, P. 88.

الغاز بروح من التضامن، وتحديد سقف للأسعار لتقليل الاعتماد، وتوصل وزراء الطاقة في الاتحاد الأوروبي في تموز/يوليو 2022، إلى اتفاق الخفض الطوعي للطلب على الغاز بنسبة (15) بالمئة، وتضمنت لائحة الاتفاق خفض الأسعار، وإعادة توزيع الفائض من الإيرادات الطاقوية، وتقليل استخدام الكهرباء، وتحديد سقف عائدات منتجي الكهرباء، وتأمين مساهمة تضامنية من شركات الوقود الأحفوري، ووافق المجلس الأوروبي في تشرين الثاني/نوفمبر 2022، على قواعد إعطاء تصاريح مشاريع الطاقة المتجددة للانتشار السريع وأقل تأثير على البيئة[1].

ويعتقد القادة الأوروبيين أن تحديد سقف أسعار النفط التي تدفعها ظروف السوق يقلل من العائدات التي تجنيها روسيا، وعلى الرغم من الجهود الأوروبية للحد من الطلب على الطاقة الروسية، والنجاح في إدارة الأزمة الطاقوية وتجنب مخاطر انهيار الاقتصاد وقطاع الصناعة في أوروبا، لكن مستقبل الصناعة الأوروبية مصمم على مصادر الطاقة الروسية مما يمنح روسيا قدرة مالية تشبه إعادة تدوير "البترودولار"، لذلك اتجهت أوروبا للاعتماد على إفريقيا في صادرات الغاز الطبيعي، في مقابل بناء محطات غاز جديدة في ظل ما تعانيه القارة السمراء من نقص في الوصول إلى الكهرباء والطاقة.

الفقرة الثانية: انعكاسات الغذاء والطاقة في أميركا والشرق الأوسط

إن سياسات الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي لمواجهة الحرب الروسية – الأوكرانية هي سياسات مالية حذرة على الرغم من أن مصدر التضخم هو مستورد، وليس متأتياً من الداخل، إذ أن ارتفاع فاتورة الغذاء وتأثر الإمدادات يسهم في زيادة أعباء الدعم، بما ينعكس على قيمة المصروفات في الموازنة العامة، فمنذُ بدأ الحرب أشارت إدارة معلومات الطاقة في الولايات المتحدة الأميركية أن المخزونات من النفط الخام انخفضت، لكن الولايات المتحدة الأميركية لا تعتمد على مصادر الطاقة الروسية على عكس الدول الأوروبية، لذلك بدت نتائج الحرب طفيفة على الاقتصاد الحربي الأميركي الذي يرتكز على بيع الأسلحة والمنتوجات العسكرية، فقد أظهرت بيانات إدارة معلومات الطاقة الأميركية أن مخزونات الخام ارتفعت (7,6) مليون برميل إلى (479) مليون برميل في شباط/فبراير 2023، وأن معدل استهلاك الخام بالمصافي هبط إلى (17) ألف برميل يومياً، وأشارت أن صافي واردات الولايات المتحدة الأميركية من الخام تراجع بمقدار (1,4) مليون برميل يومياً[2].

إن الحرب الروسية – الأوكرانية أدت إلى تضرر اقتصادات الأسواق الصاعدة والدول متوسطة الدخل ومنخفضة، إذ واجهت هذه الدول قيوداً على

[1] Group of authors, Gas storage: Council and Parliament reach a provisional agreement, European Council Council of the European Union, Brussels, 2022, P. 18.

[2] Group of authors, EIA expects higher oil prices through the remainder of 2023 as a result of declining global inventories, eia Independent Statistics and Analysis U.S. Energy Information Administration, US Energy Information Administration, Washington, DC, September 12, 2023, P. 12.

النفاذ إلى أسواق التمويل، بينما الدول المصدرة للنفط وجدت فرصة لتعظيم المنافع في هوامش مالية وقائية، وقد واجهت دول الشرق الأوسط عدداً من التبعات الإقتصادية، كون روسيا وأوكرانيا كانتا تمثلان مصدرين أساسيين لواردات الحبوب، وبالتالي، أدت الحرب إلى اضطرابات واسعة في واردات القمح والأمن الغذائي.

لهذا رعت منظمة الأمم المتحدة وتركيا "اتفاق الحبوب الأوكرانية " حيث سمحت روسيا بتصدير الحبوب الأوكرانية الأمر الذي أسهم بشكل طفيف في تدارك تبعات أزمة القمح، بينما التداعيات الإقتصادية غير المباشرة فأن العقوبات الغربية على روسيا أسهمت في تضرر الإمداد، وارتفاع تكاليف الشحن، وأسعار الغذاء، ومن ثم ارتفاع فاتورة الاستيراد في منطقة الشرق الأوسط[1].

فضلاً عن انعكاس الحرب على السياسات المالية فقد واجهت دول الشرق الأوسط والولايات المتحدة الأميركية وأوروبا تفاقم أزمة التضخم، ولجأ البنك الفيدرالي الأميركي إلى زيادة سعر الفائدة، وتبعته البنوك الأوروبية وبعض الدول الآسيوية والإفريقية التي سارت مع سياسات التشديد النقدي التي انعكست على الأسواق محددة بحالة ركود وتراجع في النمو، بالإضافة إلى تراجع النشاط الصناعي والاستثماري، خاصة مع لجوء المستثمرين إلى عدم المخاطرة والاستفادة من أسعار معدلات الفائدة المرتفعة في البنوك، وارتفاع تكلفة الديون، وعجز الموازنة في كثير من تلك الاقتصادات، فقد أظهر التقرير الصادر عن لجنة الأمم المتحدة الإقتصادية والإجتماعية لغربي آسيا "الأسكوا" (**ESCWA**) عام 2022، ارتفاع مستويات الفقر في المنطقة العربية بشكل خاص[2].

الخاتمة والاستنتاجات

إن ظاهرة الأزمة الدولية تتكرر في مجال العلاقات الدولية، بسبب التفاعلات المستمرة بين وحدات النظام الدولي، وبسبب اختلاف وتناقض وتباين الرؤى والمصالح العليا بين الدول بشكل يؤدي إلى وقوع توتر في العلاقات البينية التي تتصاعد إلى مرحلة التهديد باندلاع مواجهة عسكرية بين الأطراف المتفاعلة، ومن التلقائي أن تكون لكل أزمة أسباب نشوء محددة، وتمر الأزمة الدولية بعدة مراحل ارتكازاً على طبيعة الظروف الملازمة لتطور الأزمة، أما إدارة الأزمة بشكل منطقي فيرتبط بمدى قدرت صانع القرار على تحقيق الهدف المنشود الذي يمكن أن يكون السعي إلى تفادي الدخول في مواجهة عسكرية أو دفع الضرر السياسي غير المقبول الذي يصيب مصالح أحد أطراف الأزمة.

أما أزمة العلاقات الروسية – الأوكرانية فأن مصالح القوى الأوروبية الكبرى المتوافقة مع التطلعات القيادية الأميركية اتخذت من أوكرانيا أداة لمحاصرة روسيا في مجالها الحيوي، وذلك من خلال زيادة

---

(1) Samuel Ramani, Putin's War on Ukraine: Russia's Campaign for Global Counter – Revolution, Hurst Publishers, London, 2023, P. 62.

(2) Group of authors, World Economic Situation and Prospects 2022, United Nations Economic and Social Commission for Western Asia, United Nations publication, New York, 2022, P. 47.

القدرة التسليحية الأوكرانية، وتوسيع حلف شمال الأطلسي على طول الحدود الروسية، الأمر الذي وضع صانع القرار الروسي إزاء مواقف حرجة في إدارة الأزمة، إذ أجبر على الدخول في حرب نفوذ وأثبات وجود على المحيط الدولي، خاصة في ضوء القوى الدولية الجديدة الصاعدة التي رفضت الأجندة الغربية، وسعت لإنهاء النظام الدولي الأحادي القطبية، وإيجاد مساحة أرحب للمشاركة في الشؤون العالمية.

قائمة المصادر والمراجع

1. أمين حامد هويدي، فن إدارة الأزمات العربية في ظل النظام العالمي الحالي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، المجلد 16، العدد 172، حزيران/يونيو، 1993.
2. حسن البزاز، إدارة الأزمة بين نقطتي التحول والغليان، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت، 2001.
3. روبرت كونكوست، قتلة الأمم: النفي السوفياتي للأمم أثناء الحرب العالمية الثانية، ترجمة: صادق إبراهيم عودة، الشركة الدولية للطباعة والنشر، عمّان، 1987.
4. سامي الصمادي، إدارة الأزمات، معهد الإدارة العامة، عمّان، 1997.
5. ستيفن لي مايرز، القيصر الجديد: بزوغ عهد فلاديمير بوتين، ترجمة: تيسير نظمي خليل، العبيكان، الرياض، 2018.
6. شادي عبد الوهاب منصور، تحليل العلاقات الدولية والتنبؤ بمستقبلها في المناهج الاستخباراتية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2023.
7. شذى زكي، دوافع وأهداف الحرب الروسية على أوكرانيا، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، 2023.
8. عباس رشيد العماري، إدارة الأزمة في عالم متغير، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993.
9. عبد القادر مُحَمَّد فهمي، مجالات فكرية حول مفهوم الأزمة وطرق إدارتها، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد 22، كانون الثاني/يناير، 1991.
10. فيليب وليامز، إدارة الأزمة والمجابهة الدبلوماسية في العصر النووي، مركز البحوث والمعلومات، بغداد، 1986.
11. كريم مصلوح، سياسة الدفاع الأوروبي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2022.
12. مازن إسماعيل الرمضاني، إدارة الأزمة الدولية، مجلة أم المعارك، بغداد، العدد 3، 1995.
13. مالك خضير المحياوي، الولايات المتحدة والأزمات الدولية في المنطقة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1993.
14. مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.
15. محمود سالم السامرائي، استراتيجية روسيا الاتحادية الصاعدة نهاية القطبية الأحادية، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمّان، 2021.

16. موفق أسعد عسكر وآخرون، معجم الرافدين، الدار الوطنية للتوزيع والنشر، بغداد، 1987.

1- A. S. Hornby, E. V. Gatenby and H. Wakefield, The Advanced learner s dictionary of current English, Oxford University Press, London, 1954.

2- Arie Ofri, Crisis and Opportunity for Casting, Orbid. a Journal of World Affairs, New Delhi, Vol. 26, No. 4, winter, 1983.

3- Bruce E. Johansen, Nationalism Vs. Nature Warming and War, Springer Nature Switzerland, Switzerland, 2023.

4- Geoffrey Dickens, Rebekah Doley and Theresa Gannon, The Psychology of Arson A Practical Guide to Understanding and Managing Deliberate Firesetters, Taylor & Francis, England, 2015.

5- Group of authors, EIA expects higher oil prices through the remainder of 2023 as a result of declining global inventories, eia Independent Statistics and Analysis U.S. Energy Information Administration, US Energy Information Administration, Washington, DC, September 12, 2023.

6- Group of authors, Gas storage: Council and Parliament reach a provisional agreement, European Council Council of the European Union, Brussels, 2022.

7- Group of authors, World Economic Situation and Prospects 2022, United Nations Economic and Social Commission for Western Asia, United Nations publication, New York, 2022.

8- James M. McCormick, International Crises: A Note on Definition, The Western Political Quarterly, University of Utah, Vol. 31, No. 3, September, 1978.

9- Kalevi J. holsti, International Politics: A Framework for Analysis, Prentice – Hall International, New Jersey, 1977.

10- Kenneth E. Boulding, Conflict and defense, Harper Torchbooks, Sage Publications, Inc., New York, Vol. 7, No. 3, December, 1962.

11- Maciej Olchawa, Mission Ukraine: he 2012 – 2013 Diplomatic Effort to Secure Ties with Europe,

McFarland, Incorporated, Publishers, Kansas, 2017.

12- Marco Siddi, Assessing the European Union's RE Power EU Plan Energy Transition Meets Geopolitics, Finnish Institute of International Affairs, Helsinki, 2022.

13- Michael Brecher, International Studies in the Twentieth Century and beyond: Flawed Dichotomies, Synthesis, Cumulation: ISA Presidential Address, International Studies Quarterly, Oxford, Oxford University Press, Vol. 43, No. 2, June, 1999.

14- N. R. Augustine, Managing the Crisis You Tried to Prevent, In: Harvard Business Review on Crisis Management, Harvard Business School Press, Boston, 2000.

15- Oran R. Young, The Intermediaries third parties in International Crisis, Princeton University Press, New jersey, 1967.

16- Philip W. Blood, Dustin Du Cane and Chris Bellamy, Russian Genocidal Warfare A Strategy of Annihilation, C. Hurst (Publishers) Limited, England, 2023.

17- Qinghai Li, Nikolaos Freris and Harsh Kumar, proceedings of the 4th International Conference on Economic Management and Model Engineering, ICEMME 2022, November 18 – 20, 2022, EAI Publishing, Nanjing, China Icemme, 2022.

18- Samuel Ramani, Putin's War on Ukraine: Russia's Campaign for Global Counter – Revolution, Hurst Publishers, London, 2023.

تأثيرات الفكر الديني المتطرف الديني على مستقبل البيئة العربية ،دراسة تاريخية سياسية

م. رغد فلاح عبد الخزرجي
جامعة الكوفة-كلية العلوم السياسية

المقدمة

ان الحديث عن قضية الفكر المتطرف وممارساته واساليبه يعد من الامور ذات الاهمية الكبرى، نتيجة للخطر الذي كان وما يزال يتهدد مستقبل الشعوب والأمم ، بيد ان ذلك الفكرلم يكن حصرا على دين بعينه ، او جماعة بعينها، أو توجه سياسي، أو فكري أو اجتماعي بعينه، فقد كانت انواع والوان التطرف متعددة الاشكال والاساليب، فهناك التطرف الديني، والتطرف الفكري ، فضلا" عن التطرف الاخلاقي وغيرها.

وقد شغلت ظاهرة التطرف الديني في العقود الاخيرة اهتمامات الباحثين والدارسين في العلوم الاجتماعية والانسانية وذلك استناداً الى مرجعيات ومنهجيات مختلفة . وعلى كثرة ما كتب من دراسات وبحوث حول الظاهرة لاسيما في السنوات الأخيرة ، فأنها لم تحظ الا بالقليل من الدراسات الرصينة التي حاولت سبر غورها بشكل علمي بعيداً عن السجالات السياسية والايدلوجية ونظرية المؤامرة والمواقف النمطية المسبقة .وحتى على الصعيد تلك الدراسات فقد طغى على جلها المقاربات الثقافية النصية وبشكل اقل المقاربة الامنية والسايكلوجية للظاهرة . مما أشاع قناعة مفادها ان التطرف هو محصلة لفهم او لقراءة مأزومة للنص الديني من قبل اشخاص غير أسوياء نفسياً لا تنفع معهم الا المعالجة الامنية في ظل استراتيجية مكافحة الارهاب والتطرف.

والواقع أن توأم التطرف والطائفية والارهاب التي ما فتئت تفتك بدول المنطقة ومنها العراق ماهي الا تعبير عن ظواهر مركبة ومتداخلة يختلط فيها بكثير من التعقيد عامل الدين بالعوامل السياسية والاجتماعية .ومن قصور النظر تحليلها ومعالجتها من زاوية ضيقة واحدة . مهما كانت اهميتها . فالافكار لا يمكن بطبيعة الحال الا ان تكون تعبيراً عن حاجات وازمات سياسية واجتماعية .

ولعل من نافلة القول ان التركيز في هذا المجال اعلاميا" وفكريا"، قد انصب على التفكير الديني(ولايعني ذلك

الصاق صفة التطرف بالدين، وانما التطرف في فهم روح الدين وقضاياه من قبل الاتباع والمرجعيات)، لما حصل نتيجة لذلك من انتشار القتل وسفك الدماء في العديد من الدول في اسيا وافريقيا ومنها الدول العربية ، بل وحتى تلك الدول التي تدعي المدنية والتحضر. الامر الذي شكل دافعا" رئيسيا"، لدراستنا الموسومة" **"تأثيرات الفكر الديني المتطرف الديني على مستقبل البيئة العربية ،دراسة تاريخية سياسية"**، لغرض دراسة هذه الظاهرة الخطيرة وبيان تأثيراتها واثارها المستقبلية، ووضع الحلول الناجعة لمواجهتها والحد من تأثيرها المدمر على مستقبل الشعوب العربية والانسانية جمعاء.

تكونت الدراسة من مقدمة و مبحثين وخاتمة باهم الاستنتاجات والتوصيات فضلا" عن ثبت باهم

المصادر والمراجع التي تم اعتمادها في الدراسة، واستعرض المبحث الاول(**مفهوم التطرف وعوامل صناعته**)، بينما بحث الثاني في(**التطرف الديني والخطاب الاسلامي**).

المبحث الاول
مفهوم التطرف وعوامل صناعته

معنى التطرف من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية:

ان أول ما يواجه الباحث في التطرف هو مشكلة تحديد معنى التطرف فاذا كان التطرف لغة يعني الوقوف في الطرف والابتعاد عن الوسط([1]) ، فانه بهذا المعنى يصدق على التسيب كما يصدق على التشدد والمغالاة وينتظم فيه الافراط والتفريط لان كل مهما جنوحاً الى الطرف بعيداً عن الجادة والوسط([2]). كما ان تعريفه اصطلاحاً بهذا المعنى يصبح اكثر تعقيداً ذلك انه ليس ثمة اتفاق في العلوم الاجتماعية على تحديد نقطة"**الوسط**"او"**المنتصف**"،حتى يصبح الاتفاق على معناه ممكنا فهي نقطة متغيرة في الزمان والمكان([3]). ان الاخذ بمفهوم علماء النفس والاجتماع ،فأن التطرف عندهم ،يعني أخذ الجانب المتشدد من العقائد الى حد المغالاة في الاعتقاد والنفور من الافكاروالعقائدالأخرى. وهو أمر ينتج عنه الرفض لسلوكيات المجتمع واعرافه الجارية وتقاليده التي دأب الجميع على الانصهار بها([4]).وعادة ما ينظر الى التطرف على أنه عتبة أو مدخل للولوج الى مرحلة اخطر حينما ينتقل المتطرف من فضاء الفكرة والاعتقاد الى حضيض الممارسة اللا قانونية واللاخلاقية للعنف التي قد تصل في ذروتها الى الأرهاب،لذا عادة ما يرد المصطلحان كمتلازمين مع ان الحاجة تقتضي التميز بدقة بين الأمرين فليس كل متطرف أرهابي مع ان كل ارهابي متطرف بالتعريف([5]).

ان التطرف في حالة الارهاب، هو انتقال من دائرة الاعتقاد الى دائرة السلوك الاجرامي وهو تمييز ضروري عند رسم السياسات والاستراتيجيات فالمعركة مع التطرف هي معركة على العقول والقلوب تتوسل بوسائل فكرية وثقافية وسياسات تنموية اما المعركة مع الأرهاب فلا بديل عن المعالجات الأمنية ولاندعي الكمال فهو لله وحده جلت قدرته ،فهذه الدراسة محاولة متواضعة لقراءة جديدة لظاهرة كبيرة وخطيرة نسأل الله جل وعلا ان يجنب البشرية ويلاتها وعواقبها الوخيمة وما التوفيق الا من عند الله .

---

[1] السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ،تاج العروس من جواهر القاموس،تحقيق:مصطفى حجازي،(القاهرة:مجمع اللغة العربية ، 1965) ، باب الطاء).،ص76.

[2]) صلاح الصاوي،التطرف الديني، الرأي الاخر،(د. م :الافاق الدولية للاعلام، 1993)،ص8.؛انتوني غدنر،علم الاجتماع،ترجمة، د.فايزالصباغ ،(بيروت:المنظمة العربية للترجمة ، 2005)،ص43.

[3]) محمد ياسر الخواجة ، التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث ، متاحة على الموقع : www.mominoun.com .

[4]) فارس حميد افانة ، التطرف، العنف والارهاب في العراق : جذور ونتائج ، الحوار المتمدن ، العدد(4570) في 2014/9/10 . متاحة على الموقع : www.alhewar.org .

[5]) محمد احمد بيومي ، ظاهرة التطرف : الاسباب والعلاج (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1992) ،ص5.

لفرض سيادةالقانون وحفظ حقوق الناس ([1])، والخطأ كل الخطأ في التعامل مع كل متطرف على انه أرهابي والا صّير قسراً كذلك . وعلى ما يبدو فان العلاقة بين التطرف والأرهاب لا تقتصر على هذا البعد الأجرائي على أهميته وانما تمتد الى ما هو ابعد، ففي عصرنا غالبا ما يعد الفعل العنيف عملاً أرهابياً اذا قام به من يوسم بالتطرف ولا يعد نوع الفعل نفسه"**قتل المدنيين بالجملة وتجويعهم وتدمير المنشآت بهدف الترويع**" ،أرهاباً اذا قام به من لا يعد متطرفاً أو منتمياً لجماعة متطرفة حتى كاد هذا ان يصبح تعريف الارهاب . فالارهاب في هذا العصر هو الفعل العنيف الذي يقوم به من يعد متطرفاً حتى لو نفذه ضد عسكريين او قوات احتلال([2])، وكثيرا ما تستخدم دول أو قوى شبه رسمية وسائل متطرفة من قصف للمدن وتجويع وتهجير لتحقيق اهداف سياسة ومع ذلك لا تنطبق عليها فكرة التطرف ، لقد أصبح التطرف – وبالتبعية الأرهاب- بحكم تعريفه متعلقاً بجماعة وبطبيعة صراع هذه الجماعة مع النظام القائم وليس بدولة فالدولة وفق هذا المنطق وبحكم تعريفها ليست متطرفة بل هي التي تطلق هذا الوصف على الآخرين([3]).

ان وسم جماعة أو فرد أو حركة بالتطرف ،أمر تترتب عليه تبعات وخيمة وعليه فكثيراً ما يستعمل المصطلح لأغراض لا تمت للتطرف بصلة، ففي اغلب الاحيان يكون تضيف شخص أو مجموعة كمتطرف هو تقنية لتحقيق هدف سياسي خاصة لدى الحكومات حيث يستعمل لتمرير قوانين او حتى شن الحروب كما تقول الموسوعة الحرة([4])وكما هو الحال بمفردة الارهاب لقد ارتبطت مفردة التطرف بتداعيات واسقاطات سياسية واعلامية تتضمن كماً من الاراء المسبقة وانصاف الحقائق والافتراضات بخصوص افراد وجماعات بعينها في ظل عدم وجود - او عدم الرغبة في وجود - معيار علمي موضوعي في تحديد هذين المصطلحين لعوامل سياسية وايدلوجية .

عوامل صناعة التطرف:تضافرت العديد من العوامل الداخلية والخارجية في توفير المناخ الملائم للتطرف لكي يضرب اطنابه في العديد من بلدان المعمورة،مستغلا" حالات الضعف والتراخي وتسلط الانظمة الدكتاتورية ،ومن اهم تلك العوامل:

العامل الاول : العامل السياسي الداخلي: تؤكد العديد من الدراسات ان تنامي شعبية الاسلام السياسي والحركات الاصولية في العقود الاخيرة يرجع في جانب كبير منه الى واقع الاستبداد والظلم الذي طبع سلوك الدولة والنخبة صاحبة السلطة . وذلك

---

[1]) غريب الرنتاوي ، محاولة فهم معنى التطرف ،" الدستور"، (صحيفة) ، العدد(17492)في 10 شباط 2015

[2]) د.عزمي بشارة،" فيما يسمى التطرف"،"سياسات عربية "،(مجلة)، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،العدد(14)، ايار 2015 ، ص6-7 .

[3]) تعرف الادبيات الغربية الارهاب بأنه :" الاستخدام غير المنظم للعنف من قبل جماعات من غير الدول ضد اهداف غير عسكرية والذي يرمي الى تحقيق اهداف سياسية "،ينظر : David A.Lake , Rational Extremism: understanding terrorism in the twenty – first Century available on : www.quote.ucsd.edul/Lake/files/2014 .

[4]) الموسوعة الحرة (ويكيبديا) ، مصطلح التطرف . متاحة على الموقع : www.wikipedid.otg.

أن اقفال المجال السياسي على نخبة السلطة بشكل حصري قاد جماعات اجتماعية عديدة الى استعادة المجال الديني بديلاً لممارسة السياسة وللتعويض عن غياب او مصادرة المجال الطبيعي الاول([1]). ففي كثير من الاحيان وجدت هذه الحركات اذاناً صاغية لدى العامة ليس نتيجة لايمان العامة وعقائديتهم بل لانها كما يبدو تضع عقيدة او مبدأ فوق الحاكم([2]).

ومن هنا يرى الكثيرون ان صعود جماعات التطرف والارهاب تتحمل مسؤوليته الحكومات التي غيبت الاصلاحات السياسية والاقتصادية ورسخت سياسة التهميش والقمع واهدرت الروابط الوطنية بل وفشلت في بناء الدولة كمؤسسات واطار للمواطنة ومرجعية للحكم والفصل بين الناس الذين عادوا وقت الشدة وعند ضعف وانهيار الدولة الى مكوناتهم الفرعية السابقة لها، فاطاحت الهويات المتشظية بالهوية الوطنية الجامعة واصبحت هي المحرك للجمهور وهي ما تجعله ذا نزعة اقلوية تتوجس من الأخر وتخونه وتكفره([3]).

ان من معطيات الواقع ان جماعات التطرف والارهاب لا تعيش ولا تترعرع في ظل انظمة معتدلة سياسياً وغير قمعية او دموية كما هو الحال في الاردن ولبنان وفلسطين ولا تتبلور رسالتها الا من خلال خصومه سياسية فهي لا تريد ان تكون "**معارضة** " بالمفهوم التقليدي بل هي تريد اعداء وكفار واشرار تشيطنهم لتقول انه لا خلاص منهم الا بقتلهم وبالعمل العسكري الذي يضعفهم([4]).

وتنحو أحدى التفسيرات الى وجود علاقة بين التطرف والارهاب من جهة وشكل النظام السياسي من جهة اخرى لترى ان التطرف والارهاب هو قرين الانظمة السلطوية الرثة كما هو الحال في اغلب النظم العربية . ففي الديمقراطية السليمة تتضائل فرص التطرف والارهاب حيث يقل عدد الباحثين عن جماعات يلجأون اليها لحمايتهم ذلك أن النظام الديمقراطي، يسمح بوجود انواع مختلفة من الجماعات الطوعية وغير الطوعية التضامنية التي يلجأ اليها الفرد . اما النظام الشمولي فقائم على محاولة منح الفرد معنى بديلاً وجماعة بديلة في الدولة أو الأمة أو الحزب او غيره وتمنع السيطرة الأمنية الشاملة لهذا النظام ايضا وجود جماعات بديلة . وفي المقابل فان النظام السلطوي الرث يحطم الانتماءات الفردية القائمة ولا يحمي الفرد . وهو خلافاً للنظام الشمولي لا يمنح الفرد انتماء لجماعة بديلة . اذن الانظمة السلطوية لا الديمقراطية ولا الشمولية هي الاكثر قابلية لانتاج الهروب الى الجماعات المتطرفة المغلقة التي يتماهى معها الفرد([5]).

---

[1]) د. عبد الاله بلقزيز،" الانتقال الديمقراطي في الوطن العربي "،"المستقبل العربي"،(مجلة)،السنة 20،العدد(269)، ايار ، 1997 ، ص20-21 .

[2]) مجموعة باحثين ، حول الخيار الديمقراطي (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1994) ص77.

[3]) احمد شكر الصبيحي،مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي (بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ، 2000 ص86.

[4]) حيدر مُحَمَّد الكعبي ، التطرف الديني : اسبابه ، انعكاساته ، علاجه ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية (كتاب الكتروني) متاح على الموقع : www.iicss.iq/?id=170/.

[5]) أ.د. عزمي بشارة ، مصدر سابق ، ص14 .

وبناء على هذا الطرح تغدو الديمقراطية احدى اهم الطرق لتحجيم التطرف والارهاب وان لم تقضي عليهما تماماً . وتستند هذه القراءة الى فرضية ان الدمج السياسي للقوى المتشددة دينيا وايدلوجياً قد يؤول الى اخراجها من سياقها الايدلوجي وترشيد سلوكها السياسي([1]). وبشكل معاكس لهذا الطرح نرى ان تصاعد موجة التطرف الديني والمذهبي في المنطقة قد قاد الى تصاعد محاولات اعادة انتاج او تسويق او تجميل الانظمة التسلطية بذريعة مكافحة الارهاب وكأن العقل العربي لم يكتشف بعدان التكفير والتخوين والاقصاء لا ينتج الا وعيا شقياً يدورحول مثلث الموت ومخرجاته" **الطغاة** ، **الغلاة** ، **الغزاة** " تلك هي المتتالية التي عشنا في دوامتها سنوات ونعيش اليوم ذروة صعودها مع مشاهد قطع الرؤوس وحرق الاجساد والبراميل المتفجرة والتجويع والصواريخ التي تمحو قرى وأحياء ومدن بكاملها([2]).

العامل الثاني : العامل السياسي الخارجي: الى جانب العامل الداخلي تركز مقاربات سياسية أخرى على دور العامل الخارجي في صناعة التطرف الاسلامي او توظيفه وادامة زخمه ويمكن تصنيف تلك المقاربات ضمن اتجاهين او نظريتين رئيستين :

اولا:**نظرية الممانعة** : إذ يرى كثير من المختصين ان اشكالية التطرف والتوحش في عالم اليوم لا ينبغي ان ينظر اليها بشكل تجزيئي لان الترابطات المغذية للفاعلين على مسرحه دولياً ومحلياً متقاربة فثمة منطق واحد يسري في منظومة القيم المولدة للتطرف والتوحش واليات اشتغاله ذلك ان كل طرف منه يتغذى على الطرف الاخر([3]).

يستهل "**نعوم تشومسكي** " في كتابه" **قراصنة واباطرة "" Pirates and Emperors**" "،بقصة معبرة يقول فيها :"**وقع احد القراصنة في اسر الاسكندر الكبير الذي سأله:كيف تجرؤ على ازعاج البحر كيف تجرؤ على ازعاج العالم بأسره ايها اللص.فاجابه القرصان لانني افعل ذلك بسفينة صغيرة فحسب ادعى لصاً وانت الذي يفعل ذلك باسطول فحم تدعى امبراطوراً**"([4]) ،بهذه القصة المعبرة يفتتح تشومسكي مناقشته لقضية الارهاب ودوراللاعبين الكبار والصغار فيها ليبين كيف اصبحت هذه القضية صناعة ايدلوجية بامتياز.

انطلاقاً من هذ المنظور فان فهم التيارات الاسلامية المتطرفة لا يمكن ان يتم الا من زاويتين مهمتين : **الاولى:** باعتباره تعريفاً للذات وتوصيفاً للهوية ولكن بصفتها الية دفاعية في مواجهة العولمة ومحاولات نشر النموذج الأوحد وتحديات الحداثة

[1]) د. عبد الغني عماد ، صناعة الارهاب والتطرف : اولوية السياسة وجدلية النص والواقع : متاحة على الموقع : www.alhewar.wordpress.com.

[2]). المصدر نفسه.

[3]) د. عبد الغني عماد ، صناعة الارهاب والتطرف : اولوية السياسة وجدلية النص والواقع : متاحة على الموقع : www.alhewar.wordpress.com

[4] (Noam chom sky , pirates and Emperors : old and new international terrorism in the Real world (Cambridge : south End press , 2002) .pvii .

والتغريب([1]).والثانية:باعتبارها رد فعل على توحش القوى العظمى الذين اخذ صورة جديدة للحروب الصليبية ضد المسلمين والاسلام([2]) .وفي هذا السياق فهناك من يستغربمن وسم الاسلام والمسلمين بالارهاب وتجاهل السياق التاريخي الذي استشرت في هذه الحركات والذي بدأ بالحرب الامريكية على العراق وحوادث التعذيب في سجن ابو غريب والتي كانت من الاسباب الرئيسية لصعود تيارات التطرف والتي تحولت من بعدها الى ارهاب صريح([3]).

ان المفهوم الغربي الوحيد للتطرف والارهاب ينطلق في عالم اليوم من هذا التصور، ويأتي تحت عنوان "**مكافحة ارهاب**"، والقاعدة الفكرية التي تعتمدها حملة مكافحة الارهاب تقوم ،على الباس الاسلام ثوب الآخر واعتبارهديناً للسيف والقتل والمرادفة بين الاسلام والأرهاب،وعدم التميز بين الارهاب وحركات مقاومة الاحتلال ،وحركات ممانعة للتغريب، وتيارات توعوية سلمية للحفاظ على الهوية والتراث الاسلامي، حيث يجري ربط الجميع بالارهاب وذلك لتجريد حركات المقاومة الاسلامية من مشروعيتها الانسانية والدينية والقانونية الدولية([4]) .

ان تسسيس قضية الحرب على الارهاب الدولي لن يكون في صالح انهاء هذه الحرب وانما سيعمل على اطالتها وهو ما يريده بعض الساسة والزعماء الاقليميون والدوليون الذين ينظرون الى تلك الحرب على اساس انها بورصة لزيادة اسهمهم السياسية والاقتصادية اكثر منها قضية ملحة تهدد الامنيين الاقليمي والدولي وما لم تعتمد الدول الغربية مقاربة جديدة في التعامل مع قضايا المنطقة بما يسهم في محاولات التحول الديمقراطي والتقدم الاقتصادي فان موجات التطرف لن تنتهي وكل تنظيم متطرف يقضي عليه سيولد بلا شك تنظيماً اخر اكثر تطرفا .

والمقارنة بين تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الاسلامية خير دليل على ذلك([5]) .

2- نظرية المؤامرة : خلاف الاتجاه السابق الذي يرى في ظاهرة التطرف الاسلامي كجزء من عملية التدافع الطبيعي مع الغرب فأن هناك مستوى اخر من المقاربات يعد الظاهر نفسها صناعة غربية كاملة ومخطط لها من الغرب وان الدول والقوى المعادية لحركات التحرر هي التي تقف ورائها رغم ما تشكله في الظاهر من تأثيرات سلبية على الغرب واسرائيل . فقد ظلت المقاربات القومية والماركسية على سبيل المثال تعتقد بفكرة الارتباط الوجودي لهذه الحركات

[1]) جيل كيبل،يوم الله:الحركات الاصولية المعاصرة في الديانات الثلاث،ت:نصيمروة(قبرص:قرطبة للنش، 1992)،ص16

[2]) استخدمت عبارة (حملة صليبية) بالانكليزية(crusade) من قبل الرئيس الامريكي جورج بوش يوم 11 ايلول 2001 وفي يوم الرثاء الوطني 16 ايلول 2001 حيث قال (وهذه الحملة الصليبية هذه الحرب على الارهاب ستأخذ بعض الوقت) الحملة الصليبية العاشرة . متاح على الموقع : www.marefa.org/index/.php .

[3]) السيد ياسين ، بين التطرف الاسلامي والهيمنة الغربية . متاح على الموقع : www.arabrenewal.info.

[4]) د. عبد الغني عماد ، مصدر سابق .

[5]) السيد احمد سادات،حركات الاحياء الاسلامي والعنف ،"نصوص معاصرة "،(مجلة)،العددان(34-35)، ربيع صيف 2014، .السنة التاسعة ، ص355.

بالمخططات السياسية الغربية الاسرائيلية احياء للطائفية ولتفتيت المجتمعات العربية([1]) .

ويشير البعض الى ان التطرف بطبيعته المغلقة والمتشددة اذا ما برز في مجتمع بسبب ظروف معينة فأنه لن يجد له بيئة حاضنة دائمة تعمل على استمرار بقائه اذ سرعان ما ينهار امام الظروف الاجتماعية الطبيعية وان التنظير الفكري الذي يديمه لا يكفي لاقناع الرأي العام على المدى الطويل من اجل دوام احتضانه ولذا فانه لو اخلي لسبيله فسوف يكون مصيره الفناء عاجلاً ولكن الذي يديمه هو العوامل الخارجية التي تنفخ في ديمومة بقائه وقد تتمكن بطرق ملتوية من خلق بيئة حاضنة له وذلك لتحقيق غايات تقع خارج حدود البلدان التي ينمو فيها التطرف الديني([2]). وغالباً ما يتم الاستشهاد بدور الولايات المتحدة في صناعة تنظيم القاعدة بداية الثمانينات لمواجهة الاحتلال السوفيتي لافغانستان تم دورها في تصنيع نسخة اكثر طائفية وتوحشاً من القاعدة وطالبان متمثلة بتنظيم الدولة الاسلامية (**داعش**) لغرض تفكيك المجتمعات العربية واستنزاف جيوشها([3]).

وفي نفس السياق يرى"**نوراني**" ان " فكرة الجهاد والحرب المقدسة غابت عن الوجود في العالم الاسلامي بعد القرن العاشر الهجري حتى اعيد احياؤها بتشجيع من الامريكان"([4]).. واذا ما صحت تلك التحليلات . فأن سلاح المجموعات التكفيرية هو من اقذر الأسلحة التي تم انتاجها على الأطلاق كما انه وبنفس الوقت سلاح ذو حدين بسبب عجز صانعه او داعمه من التحكم به في كثير من الاحيان فيخرج عن السيطرة وينقلب السحر على الساحر . فقد اصبحت الكثير من البلدان الغربية مركز للجماعات التطرف الديني بل ومصدراً لها ثم اخذت تشكل تهديداً خطيراً لامن الدول الغربية بعد التفجيرات في عدد من العواصم الاوربية الامر الذي اخذ يحتم على تلك البلدان اعادة تقييم سياساتها واستراتيجياتها في المنطقة([5]).

ان المعطيات السياسية الداخلية والخارجية التي تقدمها هذه المقاربة هي على جانب كبير من الأهمية في فهم اسباب تصاعد مد أفكار وحركات التطرف في العالمي العربي والاسلامي. ففي العراق مثلا لم يشهد وسطه السني في تاريخه النزعة السلفية بنموذجها الوهابي قبل 2003 الا في حدود ضيقة وظل المذهب السائد هو المذهب الحنفي والمذهب الشافعي باستثناء منطقة الزبير في البصرة التي يعتنق اغلب اهلها المذهب الحنبلي . كما لم يعرف حركات

[1]) د.برهن غليون ، نقد السياسة : الدولة والدين ، ط4 (بيروت : المركز الثقافي العربي ، 2007) ، ص221-222 .

[2]) R . HarirDekmejian((the Anatomy of Aslamic revival : legitimacy crisis , Ethnic conflict and the search for aslamic alternatives)) , Middle East journal .no 1, winter1980؛ حيدر مُحَمَّد الكعبي،مصدر، سابق، ، ص27.

[3]) حيدر الكعبي،المصدر نفسه،ص 28.

[4]) أ. ج نوراني ،الجهاد والاسلام :التحيز في مواجهة الواقع، ترجمة :رياض حسن (بيروت:دار الفارابي، 2007) ، ص29.

[5]) مُحَمَّدجميح ، كيف نتخلص من التطرف . متاحة على الموقع : www.yemen-24.com/art1337/.htmlt.

السلفية الجهادية باستثناء حركة "الملا كريكار" في السليمانية عام 2001([1]) .

واذا كان من الاسباب السياسية الرئيسة التي اسهمت في نمو التطرف الاسلامي قد تمثلت في سائر الدول العربية في فشل الدول الوطنية التي اعقبت نيل الاستقلال بسبب الاستبداد وغياب التعددية والعدالة والمساواة والتهميش والأقصاء ، ففي حالة العراق فأن التحول الحاسم في نشوء وتوسع نفوذ الجماعات الاسلامية المتطرفة جاء به احتلال العراق عام 2003 والذي تفاعل لاحقا مع عدد من المعطيات السياسية الداخلية . حيث عمل الاحتلال على حل المؤسسات الامنية وبناء العملية السياسية على اساس المحاصصة الطائفية والعرفية وما رافقها من منهج طائفي في ادارة مؤسسات الدولة وغياب المشروع الوطني لبناء الدولة المدنية واعتماد الاحزاب الاسلامية على الاستقطاب الطائفي لغرض الكسب السياسي فضلا عن استقوائها بالدول الاقليمية كل ذلك اسهم بنشوء ردة فعل قوية وخلق حواضن اجتماعية واسعة للجماعات الاسلامية المتطرفة ومنها تنظيم الدولة الاسلامية الذي سيطربعد عام 2014 على أكثر من ثلث مساحة العراق قبل ان يتم طرده بالكامل عام 2017 وما يصدق على العراق يصدق الى حد كبير على حالة انتشار التطرف الديني في ليبيا وسوريا الذي تغذيه عوامل سياسية داخلية واقليمية ودولية.

المبحث الثاني

التطرف الديني والخطاب الاسلامي

ان الباحث في دراسة ظاهرة ومصطلح التطرف "Extremism" ، يجد بكل وضوح انه يرد في الغالب اليوم مقترناً بالدين وعلى الاكثر بالأسلام وبصيغة الصفة" متطرف" غالباً ما يقترن بالاسلاميين لاسيما في المقاربات الغربية .وهو ما يدفع الى التساؤل :

هل ثمة علاقة تلازم بين الدين والتطرف وتحديداً بين الاسلام والتطرف ؟ أم هو تلازم افتعلته جهات اعلامية وسياسية مغرضة ؟ والواقع أن الاجابة على ذلك التساؤل هي أكثر تعقيداً مما تقدمه الخطابات السجالية المبسترة في نفي العلاقة او تأكيدها ، وربما تتجاوز تلك الاجابة حدود دراسة موجزة وان كان ولابد من تقديم بعض المؤشرات([2])..

نشير ابتداءاً الى ان ظاهرة التطرف الديني ظاهرة عرفتها أغلب الأديان في كل زمان ومكان وشهدتها الديانات السماوية عبر تاريخها بشكل أكبر.ولذا فان محاولة الصاقها بدين بعينه تعصب جِ ومناورة سياسية وايدولوجية تستهدف الربط بين الاسلام من جهة والتطرف والارهاب من جهة أخرى([3]). فليس من قبيل الصدفة ان يأتي اول ربط

[1]) محمد جميح،مصدر سابق، ؛محمد ياسر الخواجة ،مصدر سابق.

[2]) صلاح الصاوي،مصدر سابق، ص10.؛ محمود امين العالم،الاصوليات الاسلامية في عصرنا الراهن،قضايافكرية:الكتاب 13-14،(القاهرة: قضايا فكرية للنشر والتوزيع، د. ت).ص45.

[3]) عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة : دراسة حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والاصولية ،(بيروت:مؤسسة الرسالة ،1992) ، ص58.

للمصطلح بالأسلام والاسلاميين من الكيان الاسرائيلي عندما بدأ الشباب المتدين الذين عارضوا احتلاله بعمليات فدائية فرماهم بهذه التهمة ومنه انتقلت الى البلاد العربية التي رمت بها كل معارضة للسلطة باسم الأسلام([1])، اما المسلمون الاوائل فلم يعرفوا هذا المصطلح بل استخدموا مصطلح قريب في دلالته منه هو مصطلح " **الغلو**" للدلالة على المبالغة في الاقوال والافعال ومجاوزة الحد والقدر([2]).

وعلى الصعيد التاريخي نجد ان الاديان عموماً والسماوية بخاصة بوصفها دعوات للاجماع كانت اول من اسس صورة للأخر المختلف عقيديا بأعطائها صفات سلبية كاملة مثل الكفر والمروق والأثم والابليسية بعد ان كانت هناك صفات ذات مضمون حضاري حيث كان اليونان والرومان يطلقون على الأخر صفات مثل الهمج او البربر فاصبح الايمان بالله والعقيدة معيار تميز وامتياز في مقابل الاخر . لذا كان اليهود شعب الله المختار والمسيحيون ملح الارض ونور العالم والمسلمون خير امة أخرجت للناس([3]).

و يشير "**جورج قرم**" في دراسة رائدة حول الأديان، الى ان الوثنية السابقة على الاديان التوحيدية كانت ذات نزعة اكثر انسانية واقل حصرية وفي اشكالها الاكثر تطوراً كانت توفيقية تعددية تقدم مصلحة الدولة العليا على مصلحة العقيدة بحصر معنى الكلمة([4])، ومع ذلك يؤكد كثيرون على ان التعصب والتطرف ليسا من جوهر الأديان التوحيدية التي انطوت على جوهر انساني فريد" **لا أكراه في الدين** "،([5]) ،مؤكدين ضرورة التمييز بين الاسلام كنصوص قدسية وبين المستوى الثاني أي الاسلام كتراث مدون للمسلمين ومستوى التجربة التاريخية للاجتماع الاسلامي أي ما شاع في حياة المسلمين من تقاليد وممارسات متنوعة([6])..

المسألة اذن في جوهرها مسألة معرفة بالدين وليست مسألة ذات الدين فالنزوع الى الشمولية والكيانية في المعرفة والحياة هو الذي يسبب التطرف والتعصب وهو أمر لا يقتصر على الدين بل في كل الشموليات سواء القومية او الماركسية حيث تسود النزعة الالغائية التي قد تصل الى حد الالغاء الكامل([7]).وعليه فأن التطرف لا يقوم على اساس من

---

[1]) الطاهرلبيب،صورة الانا والاخر:العربي ناظراً و منظوراً اليه ،(بيروت:مركز الدراسات الوحدة العربية ،1999)،ص133 .

[2]) د.جورج قرم،تعدد الاديان وانظمة الحكم:دراسةسوسيولوجية وقانونية مقارنة،(بيروت:دارالنهارللنشر، 1979)، ص13.

[3]) جورج قرم، المصدرنفسه،ص14.

[4]) المصدر نفسه، ص17 .

[5]) عبد الجبار الرفاعي ،"تحرير التدين من الكراهية " في : مجموعة باحثين ، التسامح وجذور اللاتسامح . (بغداد : مركز دراسات فلسفة الدين ، 2005)،ص5.

[6]) السيد مُحَمَّد حسن الأمين ،"الاخر شرط وجودي ومعروفي للانا "،قضايا اسلامية معاصرة،(مجلة)،السنة الثانية،العدد(28-29)،(صيف – خريف 2004) ، ص90.

[7]) الدوغمائية:كلمة يونانية تعني الجمود العقائدي مذهبا" ورأيا"،او التأييد الاعمى لمباديء مذهب أخلاقي ما او مطالبه بدون امعان والنظر فيه،ومن دون تفهم لقيمته الاجتماعية ،وهي كظاهرة اجتماعية تميز الاخلاق المسيطرة في المجتمع الرأسمالي،للمزيدينظر:د.سامح فوزي،قاموس المصطلحات الاجتماعية،(القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة،2012)،ص53.

من الدين في جوهره الاصيل وانما على اساس النزعة الدوغمائية"Dogmatism"([1])،. والتي تدفع الى تبني اسلوب مغلق في التفكير والغاء الاخر بما تتضمنه من([2]) :

1-ان المعتقد صدقاً مطلقاً وابداً ويصلح لكل زمان ومكان .

2-لا مجال لمناقشة او البحث عن ادلة تؤكده او تفنده .

3-المعرفة كلها بكافة قضاياها تستمد من المعتقد .

4-الأستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي وفرض المعتقد على الاخرين ولو بالقوة .

تعد الدوغمائية،هي المناخ الامثل لظهور التطهيرية او البحث عن النقاء الهادف الى ايجاد مجتمع الاجماع والوحدة ،وهي ظاهرة عرفتها كل العقائد واهم الياتها تحديد العدو ووضع الحدود اتجاه الاخر فهو الكافر او الجاهلي او المرتد([3]). . وطالما ان التطرف الديني مسألة متعلقة بالاعتقاد وليس بالافعال فمن الصعوبة بمكان تحديد المتطرف من غيره مالم يفصح عن افكاره . فالتطرف الديني قد يبدأ من ممارسات دينية بسيطة يشترك فيها جميع المتدينين ليتحول عند البعض الى تشدد في القيام بالواجبات الدينية ومحاسبة الناس على الجزئيات، وقد ينتقل بعض هؤلاء الى تكفير الاخرين او المجتمع ككل واسقاط عصمة الأخرين واستباحة دمائهم على صعيد الفكر والفتوى وقليل من اولئك من ينتقل من طور الاعتقاد الى طور السلوك والممارسة الارهابية([4]).

ويزيد هذا التداخل بين التطرف الديني والأرهاب والذي يفاقمه التوظيف السياسي والايدولوجي،امر تحديد مصطلح التطرف الديني تعقيداً، وهو نفس التعقيد الذي يعانيه مصطلح التطرف أصلاً كما بينا سابقاً . ولعل من المحاولات المهمة لتحرير المصطلح من اسار النسبية والتوظيف السياسي والايدلوجي المقاربة التي يطرحها الدكتور "**عزمي بشارة**" حيث يرى ان تطرف اي فكرة يتجسد في جعلها مطلقة والى درجة رفعها فوق العوامل الأخلاقية وجعلها أكثر قدسية من الاخلاق . فمن رفع فكرة ما حتى لو كانت دينيه فوق اي معايير اخلاقية بل اخضع الاخلاق لها فهو متطرف . فالاعتدال بوصفه مصطلح غير - نسبي اذن هو ضبط السلوك السياسي وغير السياسي بمعايير الاخلاق بحيث تجري موازنة ما بين الضرورات العملية والمعايير الاخلاقية مهما خضعت اعتبارات السياسة للضغوط العملية([5]).

وهذا التحديد الاخلاقي لمصطلح التطرف ينسحب بالضرورة على التطرف الديني والذي يعني "

---

[1]) سمير نعيم احمد ،" المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني " في : مجموعة باحثين ، الدين في المجتمع العربي (ندوة) (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، د. ت) ، ص218.

[2]) أ.ج نوراني،مصدر سابق،ص34.

[3]) مُحَمَّد عبد الرزاق ، التطرف في الدين : دراسة شرعية ، البحث البحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الاسلام من الارهاب ، 2004 ، ص5 .

[4]) Eli Berman , Laurence R, Iannaccone , (Religious Extremism : the good , the bad and deadly, working paper : 11663 (Cambridge , National Bureau of Economic research , 2005 ،(p.212 ؛عزمي بشارة ، مصدر سابق،ص18.

[5]) عزمي بشارة، نفس المصدر،ص17.

تجريد الدين من وظيفته الاخلاقية فالدين من هذا المنظور لا يتبع الاخلاق بل ان تنفيذ تفسيرات جماعة محددة للدين والسلوك بموجب هذه التفسيرات هو الاخلاق . حتى لو كان تنفيذها يعني الدوس على الاخلاق واستخدام الكذب والسرقة وقتل الابرياء وكل ما ينهى عنه الدين ببعده الاخلاقي"([1]). وهذا الضابط في تحديد المصطلح يعد على جانب كبير من الأهمية في تحرير المصطلح من النسبية والتوظيف الايدلوجي بقدر ما أنه لا يعفى الدول كبيرها وصغيرها ولا يقتصر على مذهب او حركة او نظام او فكرة او ايدلوجية بعينها .

الخطاب الاسلامي بين النصوص والحاكمية المعالجات والتجديد :يعرف الخطاب الديني بأنه " **الأقوال والنصوص المكتوبة التي تصدر عن المؤسسة الدينية او عن رجال الدين او التي تصدر عن موقف ايدلوجي ذي صبغة دينية او عقائدية والذي يعبر عن وجهة نظر محددة ازاء قضايا دينية او دنيوية** " ([2]) والخطاب الديني هنا لا يعني النصوص المقدسة من قرآن وسنة ،بقدرما يعني خطاب المسلمين افراداً وجماعات اي فهمهم للاسلام وقرائتهم لنصوصه ونطقهم افكاره ومفاهيمه وتعاليمه وأدابه وحكمه وتشريعاته، فهو خطاب عن الدين وليس هو الدين([3]).وهذا الخطاب قد يكون متطرفاً وقد يكون معتدلاً وقد يكون محافظاً.ويتسم خطاب التطرف الاسلامي بعدد من الخصائص لعل أهمها :

1-التفسير الحرفي والتمسك بالنص :

تعود فكرة التقيد بالنص او الجمود على النص الى "**احمد بن حنبل** "(164-241هـ)(وتبعه "**ابن تيمية**" (661-728هـ) ،وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، استلهمت حركة الاحياء السلفي افكار ابن تيمية وتبلورت هذه الفكرة على يد "**محمد بن عبد الوهاب**"، فمنذ اللحظات الاولى في التاريخ الاسلامي وخلال فترة الوحي كان ثمة ادراك مستقر ان للنصوص الدينية مجالات فعاليتها الخاصة وان ثمة مجالات أخرى تخضع لفاعلية العقل البشري،"**انتم اعلم بامور دنياكم**"، ومع ذلك فأن الخطاب الديني يمد فعالية النصوص الدينية الى كل المجالات([4])،ومن جهة اخرى يجري تحويل اقوال السلف واجتهاداتهم الى "**نصوص** " الى تقبل النقاش والتوحيد بينها وبين الدين في ذاته ([5])، وبالتالي اصبح الى جوار النص المقدس مصدر بشري مفارق له هو فعل الصحابة وهكذا " تشكلت اول طبقة من طبقات التراكمية شبه الجيولوجية التي ظلت تتكون فوق النص جيلاً بعد جيل "([6]).

---

[1]) مركز الكاشف ، تجديد الخطاب الديني : القسم الثالث ، آب ، 2006 ، ص11 .

[2]) د. نصر حامد ابو زيد ، نقد الخطاب الديني ، ط2 (القاهرة : سبنا للنشر ، 1994)، ص78 .

[3]) عبد الجواد ياسين ، السلطة في الاسلام : العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ ، ط1 ، (بيروت : المركز الثقافي الغربي ، 2000) ، ص60 .

[4]) المصدر نفسه،ص61.

[5]) صالح الطائي ،اثر النص المقدس في صناعة عقيدة التكفير،(بيروت: دار المرتضى، 2015) ،ص 208-209 .

[6]) سورة البقرة : الآية 216 .

2- **الجهاد ومعاملة غير المسلمين** : يكاد ينفرد هذا التيار بقوله " ان الاصل في الاسلام الحرب وليس السلم . ومتى ما عجزنا عن اقناع الناس وسوقهم الى الدين وجب قتالهم فوراً من دون تأخير"([1]). فهو يرى ان الجهاد مر بمراحل اخرها تلك التي اصبح فيها الجهاد فريضة الهية مثلها مثل الصيام" **كتب عليكم القتال**" "([2]).وعليه وظفت ايات السيف في القرآن لاباحة غزو الأخر وسبي نسائه وابنائه ومصادرة امواله([3]).

3- **الفرقة الناجية** : لعبت بعض الاحاديث المشكوك في صحتها دوراً كبيراً في توجيه الاذهان والسلوك ومن تلك الاحاديث، حديث الفرقة الناجية([4])، وقد وقد ورد باسانيد والفاظ مختلفة منها ما اورده ابن حنبل في مسنده عن "**انس ابن مالك**": ان النبي(ص) قال: " **.. ان امتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة فتهلك احدى وسبعون وتخلص فرقة واحدة** "([5]). والاهم هنا بيان الأثار التي خلفها الأخذ بهذا الحديث حيث انه كرس واحدية الصواب وتعدد الخطأ والضلال مكرساً لعقيدة التكفير والتطرف فالمحصلة النهائية لهذا الحديث هي خلق مجتمع تكفيري وبالتالي نسف فلسفة الامة الناجية وهي الامة المسلحة لمجرد شهادتها بالتوحيد والنبوة وهي شهادة تشكل عاصماً بها يحقن دم المسلم وماله وعرضه .

4-**الحاكمية والتكفير** :يقود فهم هذا التيار للقرآن الى جعلهم يأخذون ايات نزلت في الكفار ويحملونها على المسلمين . ومن مظاهر ذلك اتباع المتشابه كاستشهاد الخوارج على ابطال التحكيم بقوله سبحانه " **ان الحكم الا لله** " فالمعنى المأخوذ من الأية صحيح في الجملة اما على التفصيل فيحتاج الى بيان ولذلك رد عليهم الامام علي بن ابي طالب (ع) " **كلمة حق اريد بها باطل** "([6]).

ان التطور الذي ساهم في بروز هذا التيار نتج عن امتزاج عناصر اساسية من المذهب الوهابي بعناصر اساسية من فكر "**سيد قطب**"،فالاول كفر المخالف عقائدياً ،والثاني كفر الأنظمة والمجتمعات وحكم عليها

[1]) للتفصيل ينظر : صالح الطائي ، مصدر سابق ، ص106-109 .؛مكسيم رودنسون،" الاصوليات الاسلامية والاصوليات الاخرى : المبادئ شيء والواقع شيء اخر"،الشرق الأوسط ،"مجلة"، العدد (6623)في 1997/11/15،ص12.

[2]) لقد افرد الشيخ مُحَمَّد سالم عزان دراسة خاصة لهذا الحديث مستقرءاً فيها رواياته كلها عند سائر فرق المسلمين وبين ما في كل رواية من وهن او تدليس وخلص الى ان الحديث لا يصح بحال وفق مناهج المحدثين من اي فرقة او طائفة . ينظر : مُحَمَّد يحيى سالم عزان ، حديث افتراق الامة تحت المجهر (صنعاء : مركز التراث والبحوث ، 2001) .

[3]) احمد بن حنبل ، المسند ، ط2 (بيروت : المكتب السلامي ، 1978) ، مج 3 ، ص145 .

[4]) عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مصدر سابق ، ص 73-74 .

[5]) للتفصيل ينظر: مُحَمَّد شحرور، الدين والسلطة : قراءة معاصرة للحاكمية ، (بيروت : د. ن ، 2014) ، ص71-77.

[6]) سيد قطب ، معالم في الطريق (دمشق : دار دمشق للطباعة للطباعة ، د.ت) ،ص167.

بالجاهلية والافتاء بجواز سفك دماء افرادها([1]). وهنا تتحول الجاهلية من مرحلة تاريخية انقضت ومضت الى حالة وموقف فكري قابل للتكرار كلما انحرف المجتمع بعيداً عن قيم الاسلام في الماضي والحاضر والمستقبل([2]).

معالجات ظاهرة التطرف وتجديد الخطاب الديني:

ان معالجة ظاهرة التطرف يتم بالرجوع الى جذورها الثقافية والتاريخية من خلال مشروع اصلاح او تجديد الخطاب الديني ونقد وتفكيك خطاب التطرف الأسلامي والتفكيك هو المرحلة الأولى في اعادة صوغ خطاب ديني تعايشي متسامح يحدد الخطوط العامة والخاصة ويضع النقاط كالجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على حروف مقتضيات الزمان والمكان لكي تتضح الصورة بشكل اكثر تجلياً على معطيات العصر([3]).

وتؤكد هذه المقاربة ايضا على ضرورة ممارسة ونشر الاتجاه العقلي النقدي في التعاطي مع التراث لاسيما المرويات الدينية والتاريخية بنزع القدسية عنها من خلال التمييز بين الظاهرة الدينية السماوية وبين الشروح والتفاسير والتأويلات الارضية التي دارت حولها . فالمجتمعات الاسلامية لم تزل اسيرة الايمان المطلق بمروياتها الكبرى دون ان تعي التمييز بين الدين كمعطى الهي وبين هذه المرويات التي هي اجتهاد بشري يخطئ ويصيب با اتسعت دائرة المقدس في تفكيرها لتشمل الماضي باسره دون تمييز بين الغث والسمين وتحول الاعلام الذين عاشوا تلك العصور الى كائنات متعالية على التاريخ([4]).

وفي هذا الصدد يقول مُحَمَّد جواد مغنية" **ان الكثير من المصادر القديمة التي بين ايدينا بحاجة الى الدرس والتمحيص .. فلقد كان للقدماء غايات واهواء كما ان لاصحاب هذه الصحف غايات واهواء فما كان القدم في وقت من الاوقات سبباً للثقة في سند من الاسانيد** "([5]).ولأن المعني بتجديد الخطاب هو المؤسسات والمراكز الدينية لذا تبرز اهمية تحرير تلك المؤسسات من هيمنة السلطات السياسية والتخلص من الشعبوية وضغط العوام بحيث يصبح لدى المؤسسة الدينية ارادة حرة تمكنها من نقد التراث وبناء خطاب ديني ضمن قراءة عقلية تأويلية زمكانية للنص تعيد انتاجه المعرفي على ضوء الواقع ومعطياته ووفق مصلحة الانسان لا السلطان([6]).

وتبرز اخيراً اهمية انقاذ النزعة الانسانية للدين من خلال اعادة النظر في رؤية الدين كمجموعة قوانين حازمة ومتجردة يكون الانسان في خدمتها لتتحول

---

[1]) ايمان شمس الدين،التطرف: مواجهة معرفية وتأصيل منهجي، متاحة على الموقع: www.al-al-binaa.com/article=94724/.

[2]) عبد الجبار الرفاعي ، مصدر سابق ، ص5.

[3]) مُحَمَّد جواد مغنية ، الشيعة والحاكمون ، ط7 ، (بيروت : دار الهلال ، 1992) ، ص29؛ Ronald WintrobeRational Extremism: the political Economy ofRadicalism Cambridge .unirersity press , 2006

[4]) د.احمد موسى بدوي، اشكالية التأويل :جذور التطرف والعنف لدى التنظيمات الارهابية . متاحة على الموقع: www.acreg.org/36639/ .

[5]) ايمان شمس الدين ، مصدر سابق . ؛عبد الجبار الرفاعي ، مصدر سابق ، ص6.

[6]) د. عبد الغني عماد ، مصدر سابق،

الى قوانين فيها روح انسانية هدفها تحقيق مقاصد كبرى تكون في خدمة الانسان . لذلك فان اعادة قراءة الدين وفق هذا المعطى الذي يضع نصب عينيه الانسان ويجعل انسانيته حاضرة مع تحقيق العدالة كقيمة جوهرية تتحقق من خلالها كرامة الانسان قد يقدم حلا تصالحياً مع الدين وليس تنازعياً معه([1]).

وبرغم اهمية هذه المقاربة في معالجة منابع التطرف الفكرية والتاريخية الا ان الاكتفاء بتلك المقاربة وفق مقولة " **اصلاح الخطاب الديني هو الحل** " كما هو سائد في غالبية الدراسات العربية حول التطرف لا يقدم لنا صورة شاملة عن الظاهرة . فجماعات التطرف وان وظفت الموروث الديني كرأسمال رمزي بما يحمل من فائض قيمة تاريخية قيمي، الا ان هذا الموروث والمتمثل بنصوص موجودة منذ مئات السنين لن يكتسب فعالية وحركة ويتحول الى ايدلوجيا الا في اطار اجتماعي سياسي معاش وعليه فأن مغذيات التعصب لا تنبع من النص فحسب وانما من الواقع بشكل اساسي([2]).

ان خطاب التطرف او اي خطاب ليس بالمسألة النظرية البحتة ولا يأتي من فراغ بل هو سبب ونتيجة لمعطيات واقعية وكذلك فأن الخطاب الديني المتطرف الآن يؤدي الوظيفة التي أدتها في مرحلة سابقة خطابات ايدلوجية أخرى مثل خطابات ماركسية عدة لينيةوتروتسكية ومادية ويسارية جديدة واخرى قومية وفوضوية وغيرها . ولم يكن السعي الى اصلاح اي من هذه الخطابات هو الذي ادى الى محاصرة اثاره العنيفة بل السياسات التي استهدفت تغيير البنية المجتمعية التي لم يحدث هذا الاثر الا من خلالها([3]).

ان التركيز على اصلاح الخطاب الديني لوحده قد ينطلق في احد جوانبه من قراءة جزئية لتجربة اوربا التاريخية في الانتقال من العصور الوسطى الى العصر الحديث وموقع الاصلاح الديني فيها . رغم ان الاصلاح الديني في تلك التجربة ليس هو الذي قضى على التطرف بل فاقمه في كثير من الاحيان ولم ينته العنف والتطرف الا بفعل تغير البيئة المجتمعية في المقام الاول بعد حروب مذهبية قاسية فكان هذا التغيير هو سبيل الاصلاح الديني وليس العكس([4])([1]). وفي احيان اخرى ياتي تضخيم دور النص على حساب العوامل الاخرى ليخدم اهداف سياسية أيدلوجية عن طريق تجاهل دور الاستبداد والظلم والتهميش والفساد في تفاقم ظاهرة التطرف والانخراط في المفهوم الغربي للتطرف والأرهاب فمثلما

[1]) د. وحيد عبد المجيد ، اصلاح الخطاب الديني ام البيئة المجتمعية ؟ متاحة على الموقع : www.siyassa.org.eg/newscontent/6544/؛

[2]) د. عبد الغني عماد ، مصدر سابق؛ David A.Lake , Rational Extremism understanding terrorism in the twenty – first Century available on : www.quote.uesd.edu/Lake/files/2014.

[3]) Thomas Straubhaar, An Econmi analysisot Religions and Religious violence , transat – Lantic Academy , 2015. available on :www.transatlanticacademy.org ؛مُحَمَّد نعمة السماوي،الخلايا النائمة والتقنيات المتطورة لصناعة الارهاب:حرب المستقبل،(د.م:دارالكتب التاريخية، 2015)، ص4.

[4]) مُحَمَّد نعمة السماوي،المصدر نفسه، ص4

ان الاسلام هو المشكلة في الخطاب الغربي فان السلفية الوهابية" هي التي القت بظلالها السوداء وانتجت كل هذا العنف الذي يعاني منه العالم ، وذلك في الخطاب المختلف ايدلوجياً أو مذهبياً ([1])([2])،

ان ظاهرة التطرف ظاهرة مركبة ومعقدة تتداخل فيها الابعاد الدينية بالابعاد الاجتماعية والسياسية ومن الصعوبة بمكان تقديم فهم معمق لها دون الأخذ بنظر الاعتبارتفسيرات الواقع الى جانب التفسيرات الثقافية رغم أهمية هذه المقاربة في تفسير ظاهرة التطرف الديني في بعض البلدان الاسلامية ومنها مصر والسعودية اللتين تبلورت فيهما افكار وحركات السلفية الجهادية منذ وقت مبكر وحتى في هذه الحالة فلا يمكن أن نفهم اسباب المد والجزر لأفكار وحركات التطرف الاسلامي عبر تاريخ البلدين المعاصر بمعزل عن العوامل السياسية والاجتماعية . وبالانتقال الى بلدان اخرى اصبحت في السنوات العشرة الاخيرة أحد أهم بؤر التطرف كما هو الحال في العراق وسوريا وليبيا فأن اعتماد هذه المقاربة لوحدها لا يمكن أن يقدم تصور واضح عن حقيقة هذه الظاهرة لاسيما في العراق الذي لم يشهد عبر تاريخه الحديث والمعاصر وحتى عام 2003م أي تنظير او رواج لأفكار وحركات التطرف الديني ولم تجد السلفية موطئ قدم لها الا على نطاق فردي محدود ليتحول بعد 2003 الى مصدر للتطرف والارهاب الديني .

[1]) مُحَمَّد نعمة السماوي، المصدر نفسه.

وقفنا فيما تقدم على مفهوم التطرف وتفسيراته في مختلف المدارس الفقهية والفكرية وكذلك العوامل المساعدة على صناعته،وكذلك عرجنا على قراءة فكرية لمفهوم التطرف الديني الاسلامي،في خطابه بين النص والحاكمية، ثم خلصنا الى مناقشة اساليب معالجة ظاهرة التطرف وتجديد الخطاب الديني .

الخاتمة والتوصيات:

تناولت الدراسة في صفحاتها السابقة اهم التفسيرات الفكرية لظاهرة التطرف الديني وقد ظهر من خلالها ان ظاهرة التطرف ظاهرة مركبة ومعقدة يتداخل فيها البعد الديني بالابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية وعليه لا يمكن الاكتفاء بمنظار واحد في فهم اعمق لهذه الظاهرة فلا يمكن مثلا الاكتفاء بالتفسيرالنصي لوحده حتى في اطار بلدان شكلت، من التطرف وحاضنته الفكرية والحركية المعاصره، مثل مصر، والسعودية . وبرغم اهمية البعد السياسي الداخلي والخارجي في صناعة ظاهرة التطرف في بلدان مثل العراق وسوريا وليبيا ،فلا يمكن ايضا الاكتفاء بتلك المقاربة مثلما لا يمكن الاكتفاء بالمقاربة الاقتصادية لوحدها بل في تقديم اجابة عن اسباب عدم وجود تطرف ديني او ارهاب في بلد كعمان الذي يبعد من افقر بلدان الخليج اذا ما قيس بالسعودية .

ومن هنا فأن الفهم الشامل للظاهرة يحتاج الى مقاربة شاملة ومرنة نأخذ بنظر الاعتبار اهمية كل عامل في اطار تفاعله مع عوامل اخرى ضمن خصوصيات الزمان والمكان وضمن اطار ماهو مشترك

وعام في تلك الظاهرة التي اخذت تاخذ ابعاد اكثر عالمية في ضوء معطيات العصر .

انطلاقاً من هذه الرؤية في تشخيص وفهم ظاهرة التطرف فان معالجات الظاهرة تحتاج الى استراتيجية شاملة على كافة الاصعدة تقوم على ركني التفكيك والبناء وكل منهما يعتمد مسارين متوازيين . فالتفكيك يعتمد مساري تفكيك ايدلوجيا التطرف وخطابه وهي معركة على العقول . ومسار تفكيك البيئات الحاضنة للتطرف من خلال سياسات وبرامج تنموية وهي معركة على القلوب ، ويوازي هذا التفكيك عملية بناء على هذين المسارين باتجاه خلق ثقافة وواقع يقومان على الحوار والتعايش والمواطنة ونبذ التطرف والكراهية .ولابد من ايجاد قناعة ان الحل الامني والعسكري لن ينفع مالم تكن هناك منظومة من الحلول تقوم على عد المتطرفين جزء من مجتمع يعاني من اضطرابات وازمات خانقة وبالتالي مالم يتم الاقتناع بان التعامل مع البيئة الحاضنة والمدخلات يتقدم على التعامل مع المخرجات والمحصلات فان مشكلة التطرف سوف تبقى وتتفاقم . فالمواجهة سياسية وتنموية قبل ان تكون فكرية وامنية تتمثل في خلق دولة المواطنة والعدالة والتنمية التي تقودها نخب وطنية نزيهة بعيدة عن لوثة الطائفية والفساد وسياسة المحاور الاقليمية والدولية في منطقة حساسة وملتهبة تحتمل في ما ضيها ادران الطائفية والتطرف الديني والمذهبي وتتقاطع في حاضرها المصالح والاجندات الاقليمية والدولية وينذر مستقبلها بشر مستطير .

التوصيات

اولا":العمل على نشر وممارسة الاتجاه العقلي النقدي في التعاطي مع التراث والروايات الدينية والتاريخية والفرقية . واحياء النزعة الانسانية للدين التي غيبتها ممارسات حركات التطرف والارهاب .

ثانيا":اعادة النظر بالمناهج التربوية والتعليمية وبناء جيل جديد يتبنى ثقافة الحواروالتعايش السلمي ونبذ الطائفية والكراهية من خلال عملية تبدأ من الروضة ومروراً بالدراسة والجامع وانتهاءاً بالجامعة .

ثالثا:على الصعيد السياسي تبرز اهمية تحقيق المصالحة الوطنية ورفض قيام الاحزاب على اسس طائفية او عرقية واعادة النظر في برامج وخطاب وسلوكيات الاحزاب والقوى السياسية وبما يسمح في ترسيخ الهوية والاندماج الوطني .

رابعا":اصدار تشريعات تحرم الطائفية والتطرف والكراهية بأي شكل من الاشكال . الحاجة الماسة الى خطاب سياسي واعلامي يعلي من شأن قيم المواطنة والحوار والتعايش داخلياً ،ويحسن مخاطبة العقل السياسي الغربي بلغته لغة المصالح من خلال بيان مخاطر تسييس قضيتي التطرف والارهاب في المنطقة على امن وسلامة وشعوب هذه البلدان اولا وعلى مصالحها في المنطقة ثانياً.

-

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً " الكتب العربية والمترجمة :

1-السيد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مصطفى حجازي (القاهرة : مجمع اللغة العربية 1965) .

2-أ.ج.نوراني،الجهاد والاسلام: التحيز في مواجهة الواقع، ترجمة:رياض حسن،(بيروت:دار الفارابي، 2007) .

3-احمد بن حنبل، المسند، ط2،(بيروت:المكتب الاسلامي، 1978) .

4-احمدشكرالصبيحي،مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي،(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية،2000).

5-الطاهرلبيب،صورة الأناوالأخر:العربيناظراً ومنظوراًاليه،(بيروت:مركزدراساتالوحدة العربية، 1999) .

6-انتوني غدنر،علمالاجتماع،ترجمة، د.فايزالصباغ ، بيروت:المنظمة العربية للترجمة ، 2005) .

7-د. برهان غليون ، نقد السياسة : الدولة والدين ، ط4 ، بيروت : المركز الثقافي العربي : 2007) .

8-د.جورج قرم،تعدد الاديان وانظمة الحكم: دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة(بيروت:دارالنهارللنشر، 1979).

9-جيل كيبل ، يوم الله : الحركات الاصولية المعاصرة في الديانات الثلاث ، ترجمة : نصير مروة ، ط1 (قبرص : دار قرطبة للنشر ، 1992).

10-سيد قطب ، معالم في الطريق (دمشق : دار دمشق للطباعة ، د.ت) .

11-سمير نعيم احمد ، " المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني " في : مجموعة باحثين ، الدين في المجتمع العربي (ندوة) (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، د. ت) ،

12-صالح الطائي،اثرالنص المقدس في صناعة عقيدة التكفير،(بيروت : دار المرتضى ، 2015) .

13-صلاح الصاوي ، التطرف الديني : الرأي الاخر ، ط1 (د.م : الافاق الدولية الاعلام ، 1993) .

14-عبد الجبار الرفاعي ،"تحرير التدين من الكراهية " في : مجموعة باحثين ، التسامح وجذور اللاتسامح . (بغداد : مركز دراسات فلسفة الدين ، 2005) ..

15-عبد الجواد ياسين،السلطة في الاسلام:العقلالفقهي السلفي بين النص والتاريخ،(بيروت:المركز الثقافي ، 2000) .

16-عبد الرحمن بن معلا اللويحق،الغلو في الدين في المسلمين المعاصرة:دراسة حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والاصولية،(بيروت:مؤسسة الرسالة، 1992) .

17-مجموعة باحثين،التسامح وجذور اللاتسامح،(بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين ، 2005).

18-مجموعة باحثين ، الظاهرة السلفية : التعددية التنظيمية والسياسات ، تحرير : بشير موسى نافع واخرون ، ط1 (الدوحة : مركز الجزيرة للدراسات ، 2014) .

19-مجموعة باحثين،حول الخيار الديمقراطي(بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1994).

20-محمد احمد بيومي، ظاهر التطرف: الاسباب والعلاج(الاسكندرية:دارالمعرفة الجامعية، 1992) .

21-محمد جواد مغنية ، الشيعة ، والحاكمون ، ط7 (بيروت : دار ومكتبة الهلال ، 1992) .

22-محمد شحرور ، الدين والسلطة : قراءة معاصرة للحاكمية ، (بيروت : د.ن ، 2014).
23-محمد نعمة السماوي،الخلايا النائمة والتقنيات المتطورة لصناعة الارهاب:حرب المستقبل،(د. م:دارالكتب التاريخية ، 2015) .
24-محمد يحيى سالم عزان ، حديث افتراق الامة تحت المجهر (صنعاء : مركز التراث والبحوث ، 2001)
25-محمود امين العالم، الاصوليات الاسلامية في عصرنا الراهن، قضايا فكرية: الكتاب 13-14 (القاهرة قضايا فكرية للنشر والتوزيع ، د. ت)
26-معتز سيد عبدالله ، الاتجاهات التعصبية ، سلسلة عالم المعرفة : 137 (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1989) .
27-نصر حامد ابو زيد ، نقد الخطاب الديني ، ط2 (القاهرة : سينا للنشر ، 1994) .

ثالثاً : الرسائل العلمية :

1-محمود احمد محمد الرحيمي ، " اتجاهات الخطاب الاسلامي في المواقع الالكترونية "، رسالة ماجستير (منشورة) كلية الاعلام ، جامعة الشرق الاوسط ، 2012 .

رابعاً : الدوريات .

1-السيد احمد سادات،"حركات الاحياء الاسلامي والعنف"،"نصوص معاصرة"، (مجلة)،السنة التاسعة العددان (34-35)،(ربيع – صيف)، 2014 .
2-د.عبدالاله بلقزيز"الانتقال الديمقراطي في الوطن العربي"،"المستقبل العربي"،(مجلة)،العدد(269)،ايار 1997
3-د.عزمي بشارة"فيما يسمى التطرف"، "سياسات عربية"،(مجلة)،،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، العدد (14)، ايار 2015 .
4-غريب الرنتاوي،"محاولة في فهم معنى التطرف"،"الدستور"،(صحيفة)،العدد(17492)،في10 شباط 2015
5-السيد محمد حسن الامين" الأخر شرط وجودي معرفي فلانا"،"قضايا اسلامية معاصرة"،(مجلة)، السنة الثانية ، العدد (28-29)،صيف حزيران، 2004 .
6-محمدعبدالرزاق،التطرف في الدين:دراسةشرعية،بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الاسلام من الارهاب ، 2004 .
7-مكسيم رودنسون،" الاصوليات الاسلامية والاصوليات الاخرى : المبادئ شيء والواقع شيء اخر"،الشرق الأوسط ،"مجلة"، العدد (6623)في 1997/11/15 .

خامسا":الموسوعات :

1- د.سامح فوزي،قاموس المصطلحات الاجتماعية،(القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة،2012)،
2-الموسوعة الحرة (ويكيبديا) المصطلح التطرف ، متاحة على الموقع : www.wikipedia.org/wiki/

خامساً : الانترنيت .

1-احمد موسى بدوي ، اشكالية التأويل : جذور التطرف والعنف لدى التنظيمات الارهابية ، متاحة على الموقع : www.acreg.org/36639/ .
2-السيد يسين ، بين التطرف الاسلامي والهيمنة الغربية متاحة على الموقع : www.arabrenewal.info
3-ايمان شمس الدين ، التطرف : مواجهة معرفية وتأصيل منهجي ، متاحة الموقع : www.al-binaa.com/article=94724/ .

4-حيدر محمد الكعبي ، التطرف الديني : اسبابه ، انعكاساته ، علاجه ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية (كتاب الكتروني) ، متاح على الموقع : www.iicss.iq/?id=170/ .

5-د. عبد الغني عماد ، صناعة الارهاب والتطرف : اولوية السياسة وجدلية النص والواقع . متاحة على الموقع : www.alhewae.wordpress.com .

6-فارس حميد افانة ، التطرف ، العنف والارهاب في العراق : جزور ونتائج ، الحوار المتمدن ، العدد 4570 في 2014/9/10 ، متاحة على الموقع : www.alhewar.org .

7-محمدجميح،كيف نتخلص من التطرف؟ متاحة على الموقع-www.yemen 24.com/art1337/.html.

8-محمد ياسر الخواجة ، التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث . متاحة على الموقع: www.mominoun.com .

9-مركز المعرفة ، الحملة الصليبية العاشرة : متاحة على الموقع : www.marefa.org/index/.php .

10-وحيد عبد المجيد ، اصلاح الخطاب الديني ام البيئة المجتمعية ؟ ، متاحة على الموقع : www.siyassa.org/newsccomtent/2/132/6544/ .

المصادر الاجنبية :

1- Noam Chomsky , pirates and Emperors : old and new international terrorism in the Real world (Cambridge : south End press , 2002).

2- Ronald Wintrobe , Rational Extremism : the political Economy of Radicalism (Cambridge : unirersity press , 2006)

3- R.HarirDekmejian((the Anatomy of Aslamic revival : legitimacy crisis , Ethnic conflict and the search for aslamic alternatives)) , Middle East journal . no 1, winter 1980

4- Eli Berman , Laurence R, Iannaccone , Religious Extremism : the good , the bad and deadly, working paper : 11663 (Cambridge , National Bureau of Economic research , 2005)

5- David A.Lake , Rational Extremism understanding terrorism in the twenty – first Century available on : www.quote.uesd.edu/Lake/files/2014

6- Thomas Straubhaar, An Econmic analysis ot Religions and Religious violence , transat – Lantic Academy , 2015. available on : www.transatlanticacademy.org.

تأثير الازمة الاوكرانية الروسية على الساحة الدولية

م.م احسان محسن عطية الحفيري
كلية العلوم السياسية/ جامعة الكوفة

الملخص

كشفت الأزمة الأوكرانية الروسية، عن تطورات جديدة في سياق العلاقات الدولية، أقل ما يمكن وصفها بالمرحلة الثانية من المنافسة الحقيقية بين الشرق والغرب. تعد الأزمة من أهم أحداث القرن الواحد والعشرين وجذبت اهتمام العالم، وذلك بسبب تداعيات الحرب المتعددة على هذه الدول، منها التداعيات الاقتصادية والسياسية، وغيرها من التداعيات تعد اوكرانيا ثاني اكبر دولة اوربية من حيث المساحة بعد روسيا أول دولة شقيقة لروسيا بالمعيارين العرقي والمذهبي مما جعل موقعها خط تماس تجاذب وصراع بين توجهين سياسيين مختلفين روسيا الاتحادية، والاتحاد الأوربي الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية فضلا عن كونها بوابة روسيا الاتحادية عبر البحر الأسود وامتدادها الحيوي تجاه أوربا، بالإضافة الى دورها المهم كونها معبر لإمدادات الغاز الطبيعي الروسي إلى دول غرب اوربا تتناول الدراسة الأزمة الأوكرانية الروسية باعتبارها أزمة دولية لها تبعاتها على العالم بعدما تواترت الأحداث بين مد وجذر إلى حد دخول روسيا في أوكرانيا لتضع حداً للاستفزاز الغربي الذي طالما أرهقها اقترابه من حدودها.

الكلمات المفتاحية : تأثير ، الازمة، الساحة الدولية ، روسيا ، اوكرانيا

Abstract

The Ukrainian-Russian crisis revealed new developments in the context of international relations, which can at least be described as the second stage of the real competition between the East and the West. The crisis is considered one of the most important events of the twenty-first century and has attracted the attention of the world, due to the multiple repercussions of the war on these countries, including the economic and political repercussions, and other repercussions. Ukraine is the second largest European country in terms of area after Russia and the first sister country to Russia on both ethnic and sectarian criteria, which made its position A line of contact of tension and conflict between two different political orientations, the Russian Federation, and the European Union, a strategic ally of the United States of America, as well as being the gateway to the Russian Federation across the Black Sea and its vital extension towards Europe, in addition to its

important role as a crossing point for Russian natural gas supplies to Western European countries. The study deals with the Ukrainian crisis. The Russian crisis, as an international crisis, has repercussions on the world after events ebbed and flowed to the point of Russia entering Ukraine to put an end to the Western provocation that had long exhausted it as it approached its borders

Keywords: war, repercussions, international relations, Russia, Ukraine

المقدمة

تعد الأزمة من أهم أحداث القرن الواحد والعشرين وجذبت اهتمام العالم، وذلك بسبب تداعيات الحرب المتعددة على هذه الدول، منها التداعيات الاقتصادية والسياسية، وغيرها من التداعيات تعد اوكرانيا ثاني اكبر دولة اوربية من حيث المساحة بعد روسيا أول دولة شقيقة لروسيا بالمعيارين العرقي والمذهبي مما جعل موقعها خط تماس تجاذب وصراع بين توجهين سياسيين مختلفين روسيا الاتحادية، والاتحاد الأوربي الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية فضلا عن كونها بوابة روسيا الاتحادية عبر البحر الأسود وامتدادها الحيوي تجاه أوربا، بالإضافة الى دورها المهم كونها معبر لإمدادات الغاز الطبيعي الروسي إلى دول غرب اوربا تتناول الدراسة الأزمة الأوكرانية الروسية باعتبارها أزمة دولية.

أولًا: مشكلة الدراسة:

أدى القرار الروسي بالنزاع مع أوكرانيا إلى إحداث اضطرابات في البيئة الدولية في كافة المجالات، وتتمثل المشكلة البحثية موضوع الدراسة حول محاولة معرفة جذور العلاقة الروسية الأوكرانية ودوافع الغزو الروسي على أوكرانيا وتأثيرها على الساحة الدولية ؟

ثانياً: أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في الأهمية العملية على النحو التالي:

- **الأهمية العلمية النظرية:**

تتمثل أهمية الدراسة العلمية في معرفة أسباب الأزمة الأوكرانية الروسية والدوافع التي أدت إلى ذلك الغزو والنتائج التي ترتبت على ذلك، والمساهمة في إثراء الحقل المعرفي والأكاديمي عن موضوع يعد من المواضيع المهمة الموجودة الآن وأحدثت عدة تطورات على الساحة الدولية، ومحاولة التعرف على مستقبل هذه الأزمة.

ثالثا: خطة الدراسة .

نقسم البحث الى مبحثين المبحث الاول شمل الاطار المفاهيمي للبحث من خلال مطلبين تضمن المطلب الاول المفاهيم الرئيسية للدراسة والمطلب الثاني طبيعة الأزمة الأوكرانية الروسية اما المبحث الثاني النظام السياسي الأوكراني والسياق التاريخي للأزمة الأوكرانية الروسية من خلال مطلبين الاول سمات وخصائص الدولة الأوكرانية والثاني الأهمية الجيوسياسية لأوكرانيا ثم اهم النتائج التي توصل اليها الباحث .

رابعاً : منهجية البحث

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي من خلال الاعتماد على المصادر والمراجع التي تخص الموضع للوصول الى النتائج المطلوبة في البحث .

المبحث الاول

الاطار المفاهيمي للبحث

المطلب الاول / المفاهيم الرئيسية للدراسة

- **مفهوم الأزمة الدولية:** نقطة تحول مفاجئة في العلاقات بين الدول، تتضمن تهديدًا مباشرًا للقيم والمصالح العليا لمختلف الفواعل، مما يفرض على صانع القرار اتخاذ مواقف سريعة وفعالة في فترة ضيقة . [1]
- **مفهوم الأمن الدولي:** كل التهديدات المنتجة لعدم الاستقرار بين الدول وداخل الدول . [2]
- **مفهوم النزاع الدولي:** الخلاف الذي ينشأ بين دولتين على موضوع قانوني أو حادث معين بسبب تعارض وجهات نظرهما القانونية أو مصالحهما سواء الاقتصادية أو السياسة أو العسكرية .
- **الحرب الروسية الاوكرانية :**

• شنت روسيا في 24 فبراير 2022 م هجوما شام لا على اوكرانيا نتيجة إبداء اوكراني- مدعومة من الولايات المتحدة والدول الغربية - نيتها المضي قدماً في محاولاتها الانضمام إلى حلف الناتو والاتحاد الأوروبي، وهو ما ترى فيه روسيا تهديد مباشر لأمنها القومي، وأعلنت روسيا أن هدفها من الحرب هو إسقاط نظام الرئيس الاوكراني فولوديمير زيلينسكي، ونزع سلاح اوكرانيا، ومنعها من الانضمام إلى عضوية حلف الناتو، وإجبارها على الاعتراف بالضم الروسي لشبه جزيرة القرم . [3]

المطلب الثاني / طبيعة الأزمة الأوكرانية الروسية

تتمتع روسيا وأوكرانيا بعلاقات تاريخية ليس فقط جغرافيًا، ولكن عرقيًا ولغويًا ودينيًا ودبلوماسيًا. فبالرغم من أنَّ اللغة الرسمية في أوكرانيا هي الأوكرانية، إلا أنَّ حوالي 30 ٪ من الأوكرانيين يتحدثون اللغة الروسية، وأكثر من 50 % من سكان شرق أوكرانيا يتحدثون اللغة الروسية باعتبارها اللغة الأم كذلك، فالديانة الرسمية المعتمدة في أوكرانيا هي المسيحية الأرثوذكسية، وفي روسيا تصل نسبة المسيحيين الأرثوذكس إلى حوالي 71 ٪ من عدد السكان، ولطالما كانت الكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية جزءًا من بطريركية موسكو التابعة للكنيسة الأرثوذكسية الروسية حتى عام 2019 . [4]

بعد الحرب العالمية الأولى، خسرت أوكرانيا أجزاءً من أراضيها لصالح رومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا، فيما بعد، اندمجت روسيا السوفيتية وأوكرانيا السوفيتية وبيلاروسيا السوفيتية وجمهورية الاتحاد السوفياتي الاشتراكية رسميًا لتصبح اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وبعد انتصار الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية

---

[1] مريم مخلوف، مفهوم الأزمة الدولية، مجلة الموسوعة السياسية، 2017 ، ص33 .

[2] كمال حماد، النزاعات الدولية: دراسة قانونية دولية في علم النزاعات، لبنان: دار الوطنية للنشر، 1998، ط1، ص17.

[3] عبدالغفار رشاد القصبي، مناهج البحث في علم السياسة ، القاهرة: مكتبة الآداب، 2004 م، ص 153

[4] محمد يعقوب عبد الرحمن، التدخل الإنساني في العلاقات الدولية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2004، ط1، ص16

الثانية، استعادت أوكرانيا المزيد من الأراضي كانت أوكرانيا الأكثر تصنيعًا -بعد روسيا - من بين جميع البلدان التي شكلت الاتحاد السوفيتي، فقد بُنيت بها مصانع لتصنيع الرؤوس الحربية النووية لصالح اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. وكشرط لانضمام أوكرانيا لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية لعام 1968 م .

فقد وقعت أوكرانيا مع روسيا مذكرة بودابست عام 1994 التي وافقت أوكرانيا بموجبها على نقل ثالث أكبر رؤوس حربية نووية في العالم لديها، وعدد من الصواريخ الباليستية العابرة للقارات وقاذفات استراتيجية إلى روسيا لتفكيكها وقد تم ذلك بالفعل، من ثمَّ انضمت أوكرانيا لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية لعام 1968 . وكصفقة خاصة، طلبت أوكرانيا ضمانات أمنية من الموقعين على مذكرة بودابست، انعكست في نص المادة الثانية من المذكرة التي نصت على التزام جميع الأطراف المعنية «... بالامتناع عن التهديد بالقوة أو استخدامها ضد وحدة أراضي أوكرانيا أو استقلالها السياسي وعدم استخدام أي من أسلحتها ضد أوكرانيا إلا بهدف الدفاع عن النفس أو أي طريقة أخرى وفقًا لميثاق الأمم المتحدة .[1]

ونظرًا للقرب الجغرافي والأهمية الجيوسياسية لأوكرانيا، فلطالما كانت الحكومة الأوكرانية موالية لروسيا، وآخرها حكومة الرئيس الأوكراني الأسبق فيكتور يانوكوفيتش Viktor Yanukovych ، الذي رفض التوقيع على اتفاقية الاتحاد الأوروبي عام 2013 حفاظًا على علاقاته مع روسيا، وكان ذلك من ضمن أسباب اندلاع احتجاجات الميدان الأوروبي Euromaidan » ضده في عام 2014 . وعلى الرغم من محاولة الحكومة قمع هذه لاحتجاجات؛ إلا أنها نجحت في عزل الرئيس الأوكراني، واضطر يانوكوفيتش إلى الفرار إلى روسيا.

في سبتمبر 2022 ، أُجريت استفتاءات على انضمام عدة مناطق من أوكرانيا إلى روسيا، وجاءت نتيجة الاستفتاءات بالموافقة على الانضمام على النحو التالي: 99 % في دونيتسك، 98 % في لوغانسك، 93 % في زابوريجيا و 87% في خيرسون، وقد صرح المندوب الدائم لروسيا في الأمم المتحدة حينها: «إن سكان هذه المناطق لا يريدون العودة إلى أوكرانيا وكان خيارهم مستنيرا وحرّا »، وقد أثار ذلك ردود أفعال رافضة في المجتمع الدولي، ووُصف هذا الضم بأنه غير مشروع.[2]

توجه أوكرانيا الانضمام لحلف الناتو يعيد التوتر الايدولوجي التاريخي المشترك القائم بين روسيا والحلف. فبالرغم من أن حلف الناتو وحلف وارسو لم يدخلا في نزاع مباشر قط، لا سيما في أوروبا؛ إلا أنَّ الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ما فتئا الاقتتال من أجل النفوذ على الساحة الدولية من خلال تطبيق سياسات استراتيجية تهدف إلى احتواء بعضها البعض في أوروبا .

وفي خلال العقد الماضي، اتجهت أوكرانيا إلى التحالف مع الغرب، وفي المقابل، فقد عانت من انقسامات داخلية فشلت في احتوائها جميعًا، وأدت إلى انفصال شبه جزيرة القرم وانضمامها لروسيا عام 2014 ، وما تلاها من إعلان جمهوريتي لوغانسك ودونيستيك في

---

[1] صفية دنفر، انعكاسات الأزمة الأوكرانية على العلاقات الروسية الغربية 2013- 2018، رسالة ماجستير، بسكرة: جامعة محمد خيضر، 2018 ، ص33

[2] سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية، أبوظبي: مركز الإمارات .63 ، للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2018 م، ص 62

شرق أوكرانيا، الذي لطالما هيمن عليه السكان الناطقون باللغة الروسية، والذين يفضلون العلاقات الوثيقة مع روسيا ويرفضون اتجاه الحكومة الأوكرانية لموالاة الغرب. في حين أن المنطقة الغربية من أوكرانيا أكثر ولاءً للحكومة الأوكرانية .[1]

في 24 فبراير 2022 ، غزت روسيا أوكرانيا، وتزامن ذلك مع خطاب أصدره الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يتضمن مبرراته لغزو أوكرانيا، ويُعلن فيه استخدام القوة العسكرية في الأراضي الأوكرانية تحت مسمى «عملية عسكرية خاصة ».ومع استمرار أوكرانيا في تحالفها مع المؤسسات الغربية مثل حلف الناتو والاتحاد الأوروبي، واصلت روسيا حربها ضد أوكرانيا، مدعيةً أنه ليس احتلالاً لأوكرانيا، ولكنها جهود لحماية أمنها الوطني في المقام الأول ولإنقاذ وحماية السكان الناطقين بالروسية في شرق أوكرانيا، الذين يتعرضون لإبادة لغوية في شرق أوكرانيا، بالإضافة إلى «نزع السلاح » و نزع النازية من أوكرانيا .

المبحث الثاني

النظام السياسي الأوكراني والسياق التاريخي للأزمة الأوكرانية الروسية

يرجع نشوء دولة أوكرانيا إلى القرن التاسع ميلادي، إذ تأسست على أيدي السلاف الشرقيين واتخذوا من مدينة كييف عاصمة لهم؛ لكنها عادت لتتفكك في القرن الثاني عشر، وتتقاسمها عدد من الدول المجاورة، وفي القرن التاسع عشر خضع الجزء الأكبر منها إلى الإمبراطورية الروسية، وبقيت أجزاء منها تحت السيطرة النمساوية والهنغارية، وبعد استقلالها على أثر الحرب العالمية الأولى أصبحت في 30 يناير 1922 من مؤسسي الإتحاد السوفياتي، ثم من مؤسسي منظمة الأمم المتحدة في عام 1945، وبعد تفكك الاتحاد السوفياتي أعلنت أوكرانيا استقلالها وبسطت سيادتها على شبه جزيرة القرم التي كانت قد ألحقت بها قانونيًا.[2]

المطلب الاول

سمات وخصائص الدولة الأوكرانية

تقع أوكرانيا جنوب غرب القسم الأوروبي من الاتحاد الروسي وتحدها من الشمال جمهورية بيلاروسيا ومن الشمال الشرقي والشرق جمهورية روسيا الاتحادية ومن الجنوب البحر الأسود وبحر آزوف ومن الجنوب الغربي جمهورية مولدوفا ورومانيا والمجر ومن الغرب سلوفاكيا وبولندا.

يربط موقع أوكرانيا بين الشرق والغرب، وتحديداً بين روسيا الاتحادية والغرب، مما يجعلها في حالة جذب وصراع بين روسيا والغرب حول موقعها حيث تقع موانئها على البحر الأسود وبحر آزوف هما البوابات الجنوبية المؤدية إلى البحار الدافئة وأوروبا الغربية في جميع القارات.[3]

تبلغ مساحة أوكرانيا (603.700) كيلومتر، ويبلغ طول الشريط الساحلي فيها (2782) كيلومترًا، حيث يتم

---

[1] نادية مصطفى، "نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي و الدعوة إلى منظور جديد "، بحث تم نشره بمجلة السياسة .11 ، الدولية، العدد 82 ، أكتوبر 1985 م ، ص11

[2] عماد جاد بدرس، أثر النظام الدولي على الأحلاف الدولية: دراسة تطبيقية علي حلف شمالي الأطلنطي، رسالة دكتوراه في العلوم .35 ، السياسية ،جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1998 م، ص 34

[3] إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية . دراسة في الأصول والنظريات، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 2010 م، ص 70

تصنيفها في المرتبة الرابعة والأربعين على مستوى العالم من حيث المساحة .

وفي ظل هذه المساحة يتشكل الواقع الجغرافي لأوكرانيا من عدة أشكال جغرافية ففيها السهول الخصبة والسهوب والهضاب كما توجد بها جبال الكاربات في الغرب، والذي يعد جبل "هولا هو فرلا" الأعلى قمة، إذ تصل إلى 2061 متر إلى جانب الجبال الموجودة في شبه جزيرة القدم في أقصى الجنوب على طول الساحل وتتكون أساسا من صخور كلسية.أما فيما يتعلق بمناخ أوكرانيا فيعد مناخا قاريا معتدلا مع وجود مناخ البحر الأبيض المتوسط على ساحل القرم. ويتباين سقوط الأمطار فيها إذ يرتفع في الغرب والشمال وينخفض في الشرق قالداي في جمهورية روسيا الاتحادية. [1]

تتشكل أوكرانيا كدولة موحدة من أربعة وعشرين محافظة، أما بالنسبة للمياه، يعد نهر الدنيبر من أهم الجاري المائية في أوكرانيا وأطولها إذ يبلغ طوله 2285 كم.

النظام السياسي في أوكرانيا

مع ظهور ملامح تفكك الإتحاد السوفياتي بدأت الأوضاع السياسية في أوكرانيا التي تعتبر تابعة للاتحاد السوفياتي بالتغيير ففي 1990 أعلن البرلمان سيادة دولة أوكرانيا، أعلنت أوكرانيا استقلالها وجرى في 1 ديسمبر 1931 استفتاء شعبي اختار من خلاله الشعب الاستقلال وتم انتخاب ليونيد (كرافتشوك أول رئيس للدولة الأوكرانية الحديثة).

تعتبر أوكرانيا من حيث نظام الدولة دولة موحدة تقوم مبادئ الوحدة وعدم القابلية للانقسام وحرمة وسلامة أراضيها الوطنية، وأوكرانيا دولة ديمقراطية مستقلة تخضع لمبدأ سيادة القانون، وقد أنشأت على أساس ممارسة شعبها لحقه السيادي في تقرير المصير، وجميع السلطات في أوكرانيا مملوكة للشعب والشعب هو المصدر الوحيد للسلطات التي يمارسها بصورة مباشرة عن طريق الاستفتاءات وعن طريق شبكة من الهيئات الحكومية. [2]

يعد النظام السياسي في أوكرانيا نظاما مختلطا نصف رئاسي ونصف برلماني مع فصل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية. وبالنسبة لماهية السلطات المكونة للنظام السياسي في أوكرانيا فهي:

1. السلطة التنفيذية:

تتكون السلطة التنفيذية من رئيس الدولة ورئيس الحكومة والحكومة فرئيس الدولة هو رئيس الجمهورية في أوكرانيا، كما ينص على ذلك الدستور الأوكراني وهو الذي يضمن السيادة الوطنية، وتبلغ مدة ولاية الرئيس خمس سنوات ولا يمكن تجديد الولاية للرئيس لأكثر من مرتين رئيس الحكومة أو مجلس الوزراء يمثل السلطة التنفيذية العليا ويتم اقتراح مرشح لمنصب رئيس الوزراء من قبل التحالف البرلماني الرئيس، وتستند أعمال رئيس الحكومة على الدستور والقوانين والأوامر الرئاسية، وتعد الحكومة في أوكرانيا مسؤولة أمام البرلمان.

يوجد إلى جانب مجلس الوزراء المجلس الوطني للأمن والدفاع والذي تم إنشاؤه سنة 1992 ويسمى مجلس

[1] صفية دنفر، انعكاسات الأزمة الأوكرانية على العلاقات الروسية الغربية 2013- 2018، مصدر سابق ، ص66

[2] نوار محمد ربيع الخيري، الأزمة السياسية في أوكرانيا وتجاذبات الشرق والغرب، المجلة السياسية والدولية، العدد 2، 2015 ، ص44

الأمن الوطني ويسعى لتطوير سياسة الأمن الوطني تجاه القضايا المحلية والدولية .[1]

2. السلطة التشريعية:

تتكون السلطة التشريعية في أوكرانيا من مجلس واحد هو المجلس الأعلى ويتألف من أربعمائة وخمسين مقعد وتجري بموجب قانون الانتخاب الجديد انتخاب نصف أعضاء المجلس الأعلى على أساس التمثيل للأحزاب، ونصف أعضاء المجلس الأعلى الآخر للأعضاء المنتخبين من كل مقاطعة، وتبلغ مدة عضوية جميع الأعضاء خمس سنوات.

3.السلطة القضائية:

نظام السلطة القضائية في أوكرانيا وإجراءاتها أو الإجراءات القضائية تتم بواسطة المحكمة الدستورية ومحاكم الاختصاصات العامة، وتمثل المحكمة العليا في أوكرانيا سلطة عليا لنظام المحاكم ذات الاختصاصات العامة، أما المحكمة الدستورية في أوكرانيا فهي وحدة منفصلة ولها الاستقلالية عن محاكم الاختصاصات العامة.[2]

المطلب الثاني

الأهمية الجيوسياسية لأوكرانيا

تحظى أوكرانيا بأهمية استراتيجية ناتجة عن موقعها الجغرافي المتميز وتوافر الموارد الطبيعية في أراضيها إلى جانب وجود التنوع الديمغرافي تقع أوكرانيا في منطقة استراتيجية مهمة فهي تصنف ضمن الدول العازلة أي الدول التي تعزل بين قارتين، فهي ضمن حزمة الدول التي تقع بين روسيا وأوروبا، وتتكون من مشهد جغرافي يجعله محط جذب خارجي بالإضافة إلى الكثافة السكانية .

1. الأهمية الجيوسياسية لأوكرانيا بالنسبة إلى روسيا:

إن أوكرانيا مساحتها الكبيرة وتضاريسها المميزة وإطلالها على المياه الدافئة، جعلت النظرة الروسية إليها ثابتة حيث تعتبرها الحديقة الخلفية لها ومنه لأوكرانيا أهمية إستراتيجية لروسيا، وهي جزء من حزام الأمان الجغرافي، كما أنها حاجز طبيعي بين الغرب وروسيا بالإضافة إلى أنها أقرب الطرق من روسيا إلى البلقان والبحر الأبيض المتوسط التي تعد المياه الدافئة لأسطول البحر الأسود الروسي.[3]

كذلك فنسبة الطاقة التي تسوقها روسيا لأوروبا عبر أوكرانيا تبلغ 80%، كما أن تراجع مخزونات الطاقة في الشرق الأوسط وحاجة الاقتصاد الغربي إلى مزيد من إمدادات الطاقة مستقبلًا، جعل روسيا تعمل بأقصى جهد للحفاظ على أوكرانيا كممر لأنابيب الطاقة، فخاصة أن روسيا تريد وضع يدها على نقط بحر قزوين وتوريده نحو أوروبا وقطع الطريق على المشروع الأوروبي التركي.

جذور الأزمة الأوكرانية:

ترجع جذور الأزمة الأوكرانية الأولى بسبب اشتعال الاحتجاجات في أوكرانيا ضد الرئيس فيكتور يانكوفيتش بعد توقيعه لاتفاق مع موسكو الذي يجعلها تمنح أوكرانيا 15 مليار دولار، ويخفض سعر الغاز الذي تُسلمها إياه بمعدل الثلث وهو مستوى تفضيلي لجمهوريات الاتحاد السوفيتي في السابقة التي تعتبرها

---

[1] علي الدين هلال، " تأثير الحرب الروسية – الأوكرانية في النظام العالمي"، السياسة الدولية، عدد 228 ، أبريل 2022 م، ص 74.

[2] نوار محمد ربيع الخيري، الأزمة السياسية في أوكرانيا وتجاذبات الشرق والغرب، مصدر سابق ، ص55

[3] السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995 ، ص 186

شريكتها إلا أن المشهد الأوكراني في حقيقته يرجع إلى خلفية أبعد من ذلك.[1]

انطلقت الثورة البرتغالية في 2004، نتيجة عملية تزوير انتخابي ذكر أن نظام الرئيس اليونيد" "كوتشما" كان قد قام بها من أجل أن يوصل مرشحه فيكتور يانكوفيتش" الموالي لروسيا الاتحادية إلى منصب الرئاسة في أوكرانيا ليعلن فوزه على مرشح المعارضة "فيكتور يوشينكو" المدعوم من الغرب مما أدى إلى غضب المعارضة التي دعت إلى الاتحاد السوفيتي، وتسعى الأطراف إلى تحقيق أهدافها دون الوصول إلى المواجهة العسكرية فكانت كييف عاصمة أوكرانيا مركز تحركات المتظاهرين بسبب الصراع على السلطة، وتجاذبات بين الطرفين وهما الطرف الأول رئيس الجمهورية فكتور يوشينكو" وخليفته زعيم كتلة المعارضة البرلمانية والتي تمثل الأقلية بوليا" تيموشنكو"، والطرف الثاني وهو رئيس الوزراء فيكتور يانكوفيتش" وخلفاؤه الذين يمثلون زعماء الكتلة الأغلبية البرلمانية .[2]

انطلقت الثورة البرتغالية لمواجهة طبقة فاسدة من رجال الأعمال وقرصنة أموال البلاد في شكل قروض من البنوك الوطنية ثم التهرب من السداد فضلا عن هيمنة فئة قليلة من الأثرياء على قطاع المناجم ومصانع الصلب. وفي مطلع عام 2005 تمكن مئات الآلاف من المتظاهرين سلميًا في الثورة البرتغالية من تغيير نظام الحكم في أوكرانيا، إلا أن زعيم الثورة البرتغالية "فيكتور يوشينكو الذي تسلم البلاد عقب الثورة وبعد خمس سنوات من الوعود فشل في تحقيق العديد من تلك الوعود.

1. عجز الحكومة البرتغالية عن مواجهة الفساد.
2. انهيار ثقة الشعب في حكومته، ففي الوقت الذي أرجع فيه شركاء الرئيس الأوكراني فشل الثورة إلى ضعف شخصية الرئيس، اتهم يوشينكو من جانبه شريكته رئيسة وزراء بلاده "يوليا تيموشنكو " سبب الفشل الاقتصادي في السنوات الخمس الأخيرة، وذلك بعد أن اتهمتها سلفا بخيانة مبادئ الثورة تحولت فجأة إلى التصالح مع روسيا.
3. الإفلاس الإيديولوجي، فمن المعروف أن الثورة البرتغالية اشتعلت كي لا يصل إلى مقعد الرئيس يانكوفيتش المعروف في الإعلام الغربي ابن روسيا البار لكن زعيم الثورة البرتغالية اضطر إلى قبوله مرة أخرى رئيسا لوزراء البلاد نتيجة سطوته وهيمنته البرلمانية.[3]

الصراف الدعاة الرسميين احتضان الثورة، فالاتحاد الأوروبي لم يمارس سوى دور ناعم وحلف الناتو وجد خسائر أوكرانيا اليه في الوقت الحاضر أعلى من الأرباح المتوقعة في ظل التوتر روسيا، أما الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت أول من بارك الثورة البرتغالية ودعم اشتعالها موقعها المتأزم في أفغانستان والعراق، واندلعت بالفعل الأزمة السياسية في أوكرانيا في 2007 مع إعلان أحد عشر نائبا من الكتلتين البرلمانيتين المعارضتين انتقالهم من الموالاة للرئيس "يوشينكو" إلى صف الأغلبية البرلمانية بزعامة فيكتور يانكوفيتش" وتوافق مع الأزمة بين كتلتين متعارضتين

---

[1] محمد بوبوش، "الإشكاليات القانونية للحرب الروسية-الأوكرانية 2022 "، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 29، 2022

[2] عماد جاد بدرس، أثر النظام الدولي على الأحلاف الدولية :دراسة تطبيقية علي حلف شمالي الأطلنطي، رسالة دكتوراه في العلوم ، 35.، السياسية، جامعة القاهرة :كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1998 م، ص3

[3] علي الدين هلال، " تأثير الحرب الروسية – الأوكرانية في النظام العالمي ، مصدر سابق ، ص88

في البرلمان هناك رأي يرى أن الأزمة السياسية هي نتائج تعارض مصالح رجال الأعمال المؤيدين "ليوليا تيموشكون" مع مسيرة الخصخصة التي بدأتها الحكومة وبين الفريق الآخر.[1]

ومع انقسام التكتلات داخل البرلمان الأوكراني بين المؤيدة لروسيا الاتحادية وأخرى مؤيدة للغرب وفوز الكتلة المؤيدة للغرب فقد تفاقمت الأزمة في بداية عام 2009 عندما رفعت روسيا أسعار الغاز الطبيعي وأوقفت إمداداتها منه عن أوكرانيا والتي تزامنت مع آثار الأزمة المالية العالمية والذي عزز من الإدراك الفعلي بالتأثير الذي يمكن أن تمارسه روسيا الاتحادية.

دخلت أوكرانيا في عام 2010 مرحلة تحول جديدة من خلال الانتخابات الرئاسية التي جرت فيها والتي لم يحصل فيها فيكتور يوشينكو " قائد الثورة البرتغالية الأعلى نسبة 5.4% من الأصوات في الجولة الأولى اما "يوليا تيموشنكو" فقد تخلقت على زعيم المعارضة فيكتور يانكوفيتش بفارق 11% من الأصوات وبعدها خسرت أمامه في الجولة الأخيرة التي فاز بها يانكوفيتش وحينها عادت العلاقات الروسية الأوكرانية إلى التقارب السابق وعادت اللغة الروسية كلغة رسمية في أوكرانيا.[2]

تأثير الازمة على الساحة الدولية

يؤكد تاريخ العلاقات الدولية على ان الحرب من أهم العوامل التي ساهمت في إحداث التحولات في ملامح البيئة الدولية ، وما يثبت عن ذلك من إعادة توزيع لعناصر القوة وإعادة ترتيب الدول" هيكل وبنية النظام الدولي "،وهو الحال بالنسبة للحرب في أوكرانيا فهي تنذر بولادة نظام عالمي جديد .[3]

لقد أصبحت أوكرانيا مسرحا لخلق توازنات عالمية جديدة ; ان العالم اليوم يتجه نحو سياسة المحاور محور الصيني الروسي في مواجهة المحور غربي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو ، لذلك فالتحولات الحاصلة في موازين القوى إقليميا ودوليا في بنية النظام الدولي الراهن سترسخ على المدى القريب أو الأبعد لنظام دولي متعدد الأقطاب .

هذا النظام سيكون نظاما غير ليبراليا خاصة في حال توسع الحرب وانتقالها إلى جغرافيا أخرى لاسيما آسيا ، نشهد فيها تراجعا للهيمنة الأمريكية التي سعت في العقود الاخيرة لفرض الأحادية القطبية وتقمص دور شرطي العالم ، ما يفتح الباب لظهور أقطاب أخرى تلعب دورا على الساحة الدولية بصياغة أدوار جديدة تسمح لها بفرض هيمنتها على مساحات جديدة ليتجه العالم نحو قدر أقل من الفجوة بين الأقاليم والدول في النظام الدولي الحالي صعود دول جديدة في المجالات الاقتصادية ووصولها إلى منافسة أكبر دخول دول جديدة ميدان التسلح النووي والتسابق فيه، ليكون امام دول الجنوب و العالم الثالث على سبيل المثال الفرصة للتخلص من الهيمنة الأمريكية والانفتاح على خيارات استراتيجية جديدة .[4]

---

[1] برس فرانس، "أوكرانيا : توقيع إتفاق سلام في مينسك بين الحكومة و الإنفصاليين"، صحيفة العربي الجديد اليومية الشاملة، على الرابط :http://goo.gl/tz7zkc

[2] صفية دنفر، انعكاسات الأزمة الأوكرانية على العلاقات الروسية الغربية 2013- 2018، مصدر سابق ، ص99

[3] سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية، ، أبوظبي: مركز الإمارات .63 ، للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2018 م، ص 6

[4] أبوزيد أحمد محمد، "الأزمة الأوكرانية و الحرب الباردة الجديدة، في فهم الواقع الدولي"، على الرابط: http://bit.ly/1D6Fpm

الخاتمة

توصل الباحث الى مجموعة من النتائج جاءت اهمها :

1- كشفت الحرب الاوكرانية الروسية عن محدودية الدور الذي يمكن ان تلعبه العديد من الوحدات في النظام الدولي على صعيد اخر اكدت ترسيخ الاتجاه القائم على بناء التحالفات التي قد تصل لدرجة الاندماج في حالة ظهور دول جديدة او اختفاء دول بحدودها التقليدية .

2- يبدو ان العالم سيتجه الى تعزيز مبدأ المؤسساتية فبالرغم من عدم قدرة المؤسسات الدولية على منع الحرب وكانت عبارة عن حاجز ضعيف امام توجهات القوى الكبرى .

3- التأكيد على دور المعايير في العلاقات الدولية لأنها لعبت دورا في تفسير الاستجابة العالمية للغزو الروسي لاوكرانيا .

4- التأكيد على أن التحولات والتطورات التي تحدث في بنية النظام الدولي تنعكس بالتبعية، سلبيًّا وإيجابيًّا، على كل الأنظمة الإقليمية الفرعية التي يقوم عليها هذا النظام وهذا ما اتضح جليًّا في الأزمة؛ حيث تحركت معظم المؤسسات السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية بل والصحية والرياضية والشركات الفنية والإعلامية -بدرجة كبيرة من التنسيق في توجهاتها وممارساتها وإجراءاتها- ضد روسيا وسياساتها وحلفائها .

5- فيما يتعلق بالبنيان الدولي، قد تدفع تداعيات الأزمة إلى تغير جذري في بنية النظام الدولي الراهن، ولكن من وجهة نظر الباحث، باتجاه نظام غربي أكثر هيمنة وأحادية، في ظل الأضرار الكبيرة التي ستطول روسيا وحلفاءها في المواجهة الحالية إذا طال أمد الحرب في أوكرانيا. فالعقوبات الاقتصادية التي فُرضت على روسيا يمكن أن تعود بها لما كانت عليه عام 1999 ، ولن يساعدها الارتفاع الكبير في أسعار النفط والغاز، أهم مصادر دخلها القومي، في ظل العقوبات المفروضة عليها .

المصادر

1- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية . دراسة في الأصول والنظريات، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 2010 م.

2- أبوزيد أحمد مُحَمَّد، "الأزمة الأوكرانية و الحرب الباردة الجديدة، في فهم الواقع الدولي"، على الرابط: http://bit.ly/1D6Fpm

3- برس فرانس، "أوكرانيا : توقيع إتفاق سلام في مينسك بين الحكومة و الإنفصاليين"، صحيفة العربي الجديد اليومية الشاملة، على الرابط :http://goo.gl/tz7zkc

4- سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية، أبوظبي: مركز الإمارات .63 ، للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2018 م.

5- السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995 .
6- صفية دنفر، انعكاسات الأزمة الأوكرانية على العلاقات الروسية الغربية 2013- 2018، رسالة ماجستير، بسكرة: جامعة مُحَمَّد خيضر، 2018 .
7- عبدالغفار رشاد القصبي، مناهج البحث في علم السياسة ، القاهرة: مكتبة الآداب، 2004 م.
8- علي الدين هلال، " تأثير الحرب الروسية – الأوكرانية في النظام العالمي"، السياسة الدولية، عدد 228 ، أبريل 2022 م.
9- علي الدين هلال، " تأثير الحرب الروسية – الأوكرانية في النظام العالمي ، مصدر سابق ، ص88
10- عماد جاد بدرس، أثر النظام الدولي على الأحلاف الدولية: دراسة تطبيقية علي حلف شمالي الأطلنطي، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية ،جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1998 م. 35.
11- كمال حماد، النزاعات الدولية: دراسة قانونية دولية في علم النزاعات، لبنان: دار الوطنية للنشر، 1998، ط1.
12- مُحَمَّد بوبوش، "الإشكاليات القانونية للحرب الروسية-الأوكرانية 2022 "، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 29 2022،
13- مُحَمَّد يعقوب عبد الرحمن، التدخل الإنساني في العلاقات الدولية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2004، ط1.
14- مريم مخلوف، مفهوم الأزمة الدولية، مجلة الموسوعة السياسية، 2017 .
15- نادية مصطفى، "نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي و الدعوة إلى منظور جديد "، بحث تم نشره بمجلة السياسة الدولية، العدد 82 ، أكتوبر 1985 م . 11.
16- نوار مُحَمَّد ربيع الخيري، الأزمة السياسية في أوكرانيا وتجاذبات الشرق والغرب، المجلة السياسية والدولية، العدد 2، 2015 .

الامن القومي وتأثيرات القوة الالكترونية- دراسة تاريخية سياسية

م.م.تغريد سامي ابراهيم الزبيدي
المديرية العامة لتربية محافظة ديالى

المقدمة

عرف العالم خلال التطورات المتعاقبة في القرنين العشرين والحادي والعشرين، انماطا من الصراعات التي تعددت قضاياها داخليا وخارجيا ،واختلفت فواعلها (دول وغير دول) ،وتباينت دوافع نشوبها بحسب القوة الأكثر بروزا التي يتصارع الأطراف المتنازعة على امتلاكها (سياسية، اقتصادية، ثقافية) ،لتحقيق أهدافهم ومصالحهم سواء أكان ذلك في سياق التفاعلات داخل الدول ام النظام الدولي.

لذلك شكلت القفزات التكنولوجية الهائلة في مجال الاتصالات والمعلومات ،بداية العالمية التي انطوت في الأساس على شبكات رقمية ذات صلة بأجهزة الحاسوب وأنظمة الاتصال والانترنيت بغرض تدفق المعلومات.

ان لامتلاك التكنولوجيا الحديثة اثر هام في تطور ممارسة القوة والنفوذ في العلاقات الدولية (لما للمعلومة من اثر هام في حسم الصراعات الدولية)، فكان من المهم معرفة اثر التكنولوجيا في مفهوم القوة وتحولاتها ،والوقوف على الفواعل والأطراف التي تمارس هذه القوة ،سواء أكانت دول او غير دول حيث يصبح مجال ممارسة القوة هو الفضاء السيبراني ،واطرافه هي الدول والفواعل من غير الدول، وادواته (برامج حاسوبية وفيروسات الكترونية).

إشكالية البحث: في ظل تحول القوة وتزايد الاعتماد على القوة الالكترونية والتكنولوجيا وتوظيفها في القطاعات السياسية والعسكرية والاقتصادية ،فان هذه القطاعات عرضة للتهديد والهجوم من خلال المنافذ الالكترونية والتهديد الالكتروني ،فأصبح وسيلة سياسية واقتصادية وامنية ،يتم توظيفها لألحاق الضرر بالآخرين.لذلك فأن إشكالية البحث تكمن في عدد من الأسئلة منها:

كيف أثرت التغيرات التي عرفها مفهوم القوة على شكل وطبيعة العلاقات الدولية؟

الأسئلة الفرعية

كيف اختلفت منظورات العلاقات الدولية في رؤيتها للقوة؟

ما هي اهم التحولات التي عرفها مفهوم القوة ما بعد الحرب الباردة؟

الى أي مدى ساهم الفضاء الالكتروني في هندسة شكل جديد للقوة؟

مدى تأثير التهديدات السيبرانية للامن القومي؟

فرضية البحث: يسعى البحث إلى اثبات فرضية أساسية هي :**ان تزايد الاعتماد على القوة الالكترونية و التكنولوجيا في التعاملات والعلاقات على النطاق الدولي (في ظل ضعف التنسيق السياسي والقانوني) سيتسبب الى ازدياد احتالية التهديد للأمن القومي في هذا المجال.**

منهجية البحث: من اجل تحقيق فرضية البحث ،سيتم الاستعانة بالمنهج التحليلي في دراسة تحولات

القوة وبيان ظاهرة الصراع السيبراني، لفهم الأساس والوسائل والنتائج، فضلا عن الاستعانة بالمنهج المقارن لدراسة بعض أوجه المقارنة مع حالات الصراع والهجمات الالكترونية واثرها على الامن القومي.

هيكلية البحث:انتظم البحث في ثلاث مباحث فضلا عن مقدمة وخاتمة:

المبحث الأول يعطي نبذة عن **ماهية القوة وتحولاتها** في حين تناول المبحث الثاني **البحث عن انتشار القوة وفواعلها وعناصرها** كما شمل المبحث الثالث **أثر التهديدات السيبرانية على الامن القومي ومستقبلها،** وأخيرا تم التوصل في الخاتمة الى مجموعة من الاستنتاجات المهمة من خلال البحث.

المبحث الأول
ماهية القوة وتحولاتها
المطلب الأول/ ماهية القوة
اولا: تعريف القوة

من خمسة أحرف فأنه من الصعوبة تحديد ما المقصود بالقوة فعلا. والجدل حول معنى القوة القديم متجدد، حيث جادل الفيلسوف الفرنسي **ميشيل فوكو** ،بأن أساس القوة هو التفاعل، ومن مقولاته الشهيرة :

"اذا كان يفترض في القوة انها توجد في الكون بطريقة مركزة او منتشرة فأنها لا توجد على هذا النحو، القوة توجد عندما تستخدم" في حين جادل **توفلر** قائلا": **" بأن المعرفة هي القوة وان امتلاك المعرفة هو الأساس لامتلاك الثروة والقوة العسكرية"** [1].

ان القوة تشبه الطقس يعتمد عليه ويتحدث عنه كل شخص ولكن لا يفهمه الا القليلون ،ومثلما يحاول المزارعون والعاملون في الأرصاد ان يتنبؤا بالطقس يحاول الزعماء السياسيون والمحللون أن يصفوا علاقات القوة ويتنبؤا بتغييراتها غير أن ذلك لا يقلل من كونها شيئا حقيقيا ،والقاموس يقول **"ان القوة هي القدرة على عمل الأشياء"** ،وعند هذا المستوى الأكثر عمقا ،فأن القوة هي القدرة على الحصول على النتائج التي يريدها المرء ،وان القوة تعني امتلاك القدرات على التأثير في أسلوب الاخرين لجعل تلك الأشياء تحدث ،وبعبارة ادق فأن القوة هي القدرة على التأثير في سلوك الاخرين للحصول على النتائج التي يتوخاها المرء، ولكن هناك طرقا عديدة للتأثير في سلوك الاخرين لن تستطيع ارغامهم بالتهديدات او دفع المال او ان تجتذبهم وتقنعهم بأن يريدوا ما تريد، والسياسيون العمليون ،والناس العاديون كثيرا ما يجدون مسائل السلوك والدوافع هذه معقدة اكثر من اللازم، وهكذا يتجهون الى تعريف اخر للقوة فيحددونها ببساطة بأنها :**امتلاك القدرات او الموارد التي يمكنها ان توثر على النتائج** "،وبناء على ذلك فانهم يعتبرون البلد قوياً اذا كان لديه عدد سكان وإقليم جغرافي كبير نسبيا وموارد طبيعية واسعة وقوة اقتصادية وقوة عسكرية واستقرار اجتماعي، وميزة هذا التعريف هي انه يجعل القوة تبدو مادية ملموسة اكثر وقابلة للقياس ،ويمكن التنبؤ بها ولكن هذا التعريف مشاكل أيضا ،فعندما يعرف الناس القوة بأنها مرادفة للموارد التي تنتجها ،فأنهم يواجهون

[1] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية وابعاد التحول في خصائص القوة، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، ص11.

أحيانا مفارقة كون افضل المتمتعين بالقوة لا يحصلون دائما على النتائج التي يريدونها[1].

إن تعريفات القوة مهما تعددت واختلفت ،فهي اجمالا يمكن النظر اليها على انها القدرة على التأثير في الاخرين للحصول على نتائج محددة يسعى الطرف الذي يقوم بعملية التأثير للحصول عليها ،كما ربط **"هانز مورجنثاو"** ،القوة بفكرة التأثير او التحكم في المكاسب ،وعرف القوة بأنها "**القدرة على التأثير في سلوك الآخرين**" "وقد استفاد عالم الاجتماع" **روبرت دال** " ،من أفكار مورجانثو حول القوة، وقدم تعريفا أكثر وضوحا للقوة حيث عرفها بأنها "**القدرة على جعل الاخرين يقومون بأشياء متناقضة مع أولوياتهم ما كانوا يقوموا بها لولا ممارسة تلك القوة** " .

كما جادل **"ستيفن لوكس"** عام ١٩٧٤ في كتابه القوة. رؤية راديكالية مفادها:" **بأن القوة مرتبطة بتحديد الاجندة للتأثير في سلوك الدول وبالتالي لا تعني بالضرورة الاكراه** "، ومن الأمور المستقرة في العلاقات الدولية ،ان مصادر قوة الدولة ومكونات نفوذها تتغير ،وان القوة العسكرية وحدها لم تعد تحقق الأهداف المرجوة التي تسعى الدولة لتحقيقها، وان اشكال القوة متغيرة، فمنها **القوة الصلبة**، والتي تتمثل في القدرات العسكرية والاقتصادية ،وهناك **القوة الناعمة** ،والتي تتمثل في العوامل غير المادية كالثقافة والقيم".

واذا كانت الحرب هي الشكل التقليدي لاستخدام القوة، فأن شن الحرب لم يعد يقتصر على استخدام القوة العسكرية فقط، فكما رأى اثنان من جنرالات الحرب الصينين "**ليانج و اكسسانج سو**" في كتابهما " **حرب غير مقيدة**" حيث قالا:" **أن أدوات القوة سوف تستخدم في الحروب وكل المعلومات ستكون منتشرة في كل مكان تقريبا، مما يسمح بممارسة الضغط النفسي والسياسي الذي هو جوهر القوة من اجل تحقيق غايات محددة**"[2].

ثانياً: ابعاد التحول في مفهوم القوة

يرتبط مفهوم القوة كباقي مفاهيم العلوم الاجتماعية بالسياق المحيط به، لذا فان التطور في السياسة الدولية إقليميا أو دوليا ،يؤدي الى تغير في معنى القوة واشكالها والعناصر المكونة لها ،ومن هنا يمكن القول بان مضمون وعناصر القوة تتحدد وفق مصادر التهديد المحتملة والفعلية للأمن القومي، وقد يأخذ التغير في مفهوم القوة احدى صورتين :اما تعديل المنطلقات الفكرية التي انطلق منها المفهوم، او وضع قواعد جديدة حاكمة للمفهوم ،وهو ما يعتبر خطوة اكبر في تطوير المفهوم ويأتي تأثير مدارس العلاقات الدولية في صياغة مفهوم القوة وفقا للتطورات السياسية [3]. ومن اهم تلك المدارس:

أ- المدرسة الواقعية ورؤيتها للقوة الصلبة

يعتبر مفهوم القوة في فكر **المدرسة الواقعية**، التي ترى ان السياسة الدولية هي :"**عبارة عن صراع من**

---

[1] جوزيف س. ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة د. محمد البجيمي، ط2، الرياض، ص19.

[2] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية كيف يمكن أن تدير الدول شؤونها في عصر الانترنت، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2017، ص42-43.

[3] صباح عبد الصبور، استخدام القوة الالكترونية في التفاعلات الدولية تنظم القاعدة انموذجا، الجزء الثاني، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2016، ص15.

اجل القوة وان النظام الدولي يتسم بالفوضوية وبالتالي تعتمد الدولة القومية على قدراتها"، فالعالم هو عالم الصراع والحرب وهما أساس العلاقات الدولية ولكل دولة مجموعة من المصالح التي تريد تحقيقها وهي ثلاث مصالح رئيسية هي مصلحة البقاء مصلحة تعظيم القوى العسكرية، مصلحة تعظيم القوة الاقتصادية [1].

وقد تأسس فكر **المدرسة الواقعية** على عدة افتراضات من أهمها:

ان الدول هي الفاعل الرئيسي في النظام الدولي، وأنها **تتصرف بعقلانية لتحديد مصالحها بغض النظر عن مصالح الفواعل الأخرى**، وأنها **تسعى الى تحقيق الأمن بتسخير كل المصادر المادية لقوتها الفعلية والكامنة، خاصة القوة العسكرية** ،والتي تعد وفقا لوجهة نظر الواقعية البعد الأهم في قوة الدولة، حيث تتحدد أهمية العناصر المادية الأخرى بالقدر الذي تقوى به البعد العسكري. فكانت القوة العسكرية عاملا رئيسيا في دراسة قوة الدولة في حالة كل من المكسب والخسارة، وأيضا عند تعارض مصالح الفواعل كانت بمثابة المحدد للمنتصر، كما كانت تستخدم في حالة العمليات الدبلوماسية والتفاوضية كوسيلة ضغط وردع لتحقيق اهداف دولة ما.

لكن هذا المفهوم الضيق للقوة وحصره في البعد العسكري المادي، اخذ في الاتساع شاملا بعض العناصر غير المادية، وذلك من خلال **المدرسة الواقعية الجديدة** والتي اعتمدت بشكل أساسي على المنهجية الاقتصادية، بجانب نظريات الهيمنة التي ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة ،واكدت على قضية سيطرة الدولة المهيمنة على قمة النظام الدولي، وذلك من خلال وسائل أقل تكلفة وأكثر قبولا، وأدوات بديلة عن استخدام القوة العسكرية، وان كان ذلك لا يعني التقليل من أهمية العنصر المادي للقوة[2].

ب- المدرسة الليبرالية

قامت **المدرسة الليبرالية** على رفض افتراضات المدرسة الواقعية، فالدولة ليست محددا رئيسيا للسياسة الدولية، وبررت ذلك بأن الساحة الدولية قد شهدت تناميا في أدوار فاعلين جدد، لعبوا دورا في التأثير في سلوك الدولة، ولا يمكن تجاهله كما بررت موقفها بتزايد أهمية دور العلاقات العابرة للقوميات، وفي التأثير في السياسة الخارجية للدولة بطريق مباشر أو غير مباشر من خلال فرضها قيودا على سلوك الدول، نتيجة الاعتماد المتبادل او من خلال توجهات سياستها الداخلية[3].وبتطور السياسة الدولية، خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، ونتيجة للتحولات الدولية ، **التي تمثلت في الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول**، بما ساهم في الحد من الاستخدام الصلب للقوة لمخاطرها على النمو الاقتصادي، فضلا عن ظهور فواعل أخرى غير الدول أصبحت قادرة على ممارسة أنواع القوة مثل :**الفاعلين القوميين** ،**والشركات متعدية الجنسية، والمنظمات الدولية**

---

[1] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية كيف يمكن أن تدير الدول شؤونها في عصر الانترنت، مصدر سابق ذكره، ص43.

[2] صباح عبد الصبور، استخدام القوة الالكترونية في التفاعلات الدولية تنظيم القاعدة انموذجا، الجزء الثاني، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2016، ص16.

[3] د. سعاد محمود أبو ليلة، دورة القوة: الانتقال من الصلبة إلى الناعمة إلى الافتراضية، مجلة السياسة الدولية، ملحق اتجاهات نظرية، العدد (188)، 2012ابريل، ص16.

(سواء اكانت حكومية ام غير حكومية) ،والجماعات الإرهابية، بالإضافة الى انبعاث **النزعات القومية** ،وهو ما صعب عملية استخدام القوة، وكذلك ساهم **انتشار التكنولوجيا** ،خاصة في مجال الأسلحة النووية في تعادل قوة الأطراف في ارض المعركة، وأخيرا **التغير الحادث في القضايا السياسية** وظهور قضايا تعجز القوة الصلبة عن حلها، مثل **الفقر، والتلوث وانتشار الأوبئة ،والجريمة المنظمة، والتغيرات المناخية**[1].

ادى كل ذلك الى طرح " **جوزيف س ناي"،** مفهوم القوة الناعمة كشكل من اشكال القوة فعرفها بأنها **"القدرة على تحقيق الأهداف من خلال الجذب وليس الاكراه"**، وهي تعمل لإقناع الاخرين ليتبعوك وجعلهم يتفقون مع قيمك ومؤسساتك ،وتعتمد القوة الناعمة على الأفكار والثقافة والقدرة على اعداد اجندة الاخرين عبر قيم ومعايير ومؤسسات ،وانها تعتمد على عنصر الجذب لا عن طريق الترهيب والترغيم والاكراه، وتعتمد القوة الناعمة على عنصرين أساسيين هما :**المصداقية والشرعية** ، لذلك على الدول التي تبني قوتها الناعمة ان يكون لديها القدرة على تحسين صورتها وحياة الشرعية في اعين الاخرين، حتى يمكنها تحقيق اهداف السياسة الخارجية دون مقاومة [2].

لقد حدد **ناي** موارد القوة الناعمة لكل بلد فهي ترتكز على ثلاث موارد هي **ثقافته** (أي يجب ان تكون ثقافته جذابة للأخرين)، **وقيمه السياسية**) عندما يتم تطبيقها بشفافية في الداخل والخارج مثل حقوق الانسان) ، **وسياسته الخارجية** عندما يراها الاخرون مشروعة وذات سلطة معنوية أخلاقية[3].

المطلب الثاني

أثر الفضاء الالكتروني على تحول القوة

بفضل ثورة المعلومات ومع ظهور الانترنيت ومواقع الويب ،أصبح الفضاء الالكتروني أحد العناصر الرئيسية التي تؤثر في النظام الدولي، بما يحمل من أدوات تكنولوجيا تلعب دورا مهما في عملية التعبئة والحشد في العالم ،فضلا عن التأثير في القيم السياسية واشكال القوة المختلفة سواء صلبة أو ناعمة.

ولقد كان لظهور **الفضاء الالكتروني والشبكة العنكبوتية**، أثر هام في الحياة البشرية فسهولة استخدامها ورخص تكلفتها ساعدا على قيامها بأدوار مختلفة في الحياة البشرية سواء تجارية او اقتصادية أو معلوماتية أو سياسية أو عسكرية او أيديولوجية او غيرها، فالذي يدير العالم الان احاد وأصفار ،وقد أصبح جليا ان من يمتلك اليات توظيف هذه البيئة الإلكترونية الجديدة، فأنه الأكثر قدرة على التأثير في سلوك الفاعلين المستخدمين لهذه البيئة. ويعتبر الفضاء الالكتروني بيئة حديثة يستجيب للتغيرات بصورة سريعة أكبر من البيئات الأخرى، لاعتماده على التكنولوجيا الحديثة واستجابته السريعة للتطورات

---

[1] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية وابعاد التحول في خصائص القوة، وحدة الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية، 2014، ص18.

[2] ايمان قديح، تحول مفهوم القوة في العلاقات الدولية بعد نهاية الحرب الباردة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بو ضياف، الجزائر، 2018، ص39.

[3] جوزيف س ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة د. محمد البجيمي، ط2، العبيكان للنشر، الرياض، 2012، ص32.

التكنولوجية، فاذا كان من الصعب السيطرة او التحكم او التنقل بين الإقليم البري او البحري او الجوي او الفضاء الخارجي، فأنه يمكن التجول بلا حدود في الفضاء الالكتروني بمجرد ضغطة زر ،فهو إضافة لمزاياه السابقة ،فأنه يتميز بسهولة الحصول على المعلومات وتوافرها، فضلا عن إمكانية التخفي وعدم ظهور الشخصية الحقيقية، وقد شجع كل ذلك على تعدد الفاعلين المستخدمين للفضاء الالكتروني ،واصبح له استخدامات متعددة تجارية ومالية واقتصادية وعسكرية واجتماعية وعلمية ومعلوماتية.

فاذا كان من الصعب تحريك اسطول دولة في المحيط ،فإنه من اليسير جداً ارسال جيش جرار من الفيروسات وبرامج الكومبيوتر التي تستطيع القيام بعمليات معلوماتية على قدر عال من الأهمية.

وهناك ثلاث عناصر أساسية افرزتها ثورة المعلومات هي **المعلومة Information و الفضاء الالكتروني Cyberspace** و **الطابع الإلكتروني Digital** ،وتعتبر كلمة **Cyber** اقتباسة من **علم Cybernetics** ،وهو عبارة عن :**نظرية الاتصالات والتحكم المنظم في التغذية المرتدة التي تعتمد عليها دراسات الاتصالات والتحكم الآلي في النظم العصبية للكائنات الحية ومحاكاة الآلات لها**. وتستخدم كلمة **Cyber مرتبطة بكلمة Space**، لتعبر عن الفضاء الالكتروني، لتضم كل الاتصالات والشبكات وقواعد المعلومات والبيانات ومصادر المعلومات[1]. حيث تنساب فيه المعلومات، وتتبادل خلال نظم مرتبطة ببنى تحتية ،حيث يتطلب الفضاء الالكتروني وجود هيكل مادي من أجهزة الكمبيوتر وخطوط الاتصالات ،ومن ثم فأن ما يعمل داخل هذه الأجهزة ،يمثل نمطا من القوة والسيطرة ،وتصبح القيمة الحقيقية له هي الاستفادة من كم المعلومات الموجودة داخله ،والمساهمة في التحكم بها في أطار وشكل الكتروني.

ويعد الفضاء الإلكتروني مجالا عاما وسوقا مفتوحة ،ويدلل على وجود شبكة من التواصل والعلاقات بين من يستخدمونه ويتفاعلون معه ،مع انتقال كافة مجالات الحياة من اعلام وصحة وتعليم وحكومة ومواطنة واقتصاد وسياسة الى الفضاء الالكتروني، فيما يشبه بالحياة الأخرى. والى جانب ذلك أصبح الفضاء الالكتروني وسيطا ووسيلة في نفس الوقت، لشن الهجوم وتنفيذ الاعمال العدائية بين الخصوم كغيره من المجالات كالجو او الفضاء او البحر ،فهو بمنزلة وسيط جديد للصراع. ويحوي الفضاء الإلكتروني كماً هائلاً ومتسعاً عبر الشبكات ونظم المعلومات والاتصالات تربطه مع الفضاء الخارجي والاقمار الصناعية. وعلى الرغم من درجة التشابه بينه وبين الفضاء، فأنه يختلف في ان الفضاء الإلكتروني تم بناؤه من قبل الانسان ولم يوجد في الطبيعة[2].

وتستخدم الدول الفضاء الالكتروني لاعتبارات الامن القومي والقوة العسكرية، بشكل جعل عديدا من الدول تدخل الفضاء الالكتروني ضمن حساباتها الاستراتيجية وامنها القومي ،وهذا الى جانب دور

[1] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية وابعاد التحول في خصائص القوة، وحدة الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية، 2014، ص21.

[2] عادل عبد الصادق، الإرهاب الالكتروني: في العلاقات الدولية: نمط جديد وتحديات مختلفة، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2009، ص35-40.

الفضاء الالكتروني في تحقيق الرفاهية الاقتصادية ،والحصول على موارد الثروة والسلطة ،وتحقيق التفوق السياسي، وتعظيم معرفتها وسباقها العلمي والبحثي، والقدرة أيضا على تحقيق السلم والامن. حيث العلاقة ما بين الفضاء الالكتروني والامن الدولي، حيث يوجد المحتوى المعلوماتي العسكري والأمني والفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والخدمي والعلمي والبحثي في الفضاء الالكتروني، خاصة مع التوسع في تبني الحكومات الالكترونية من جانب العديد من الدول، واتساع نطاق مستخدمي وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات في العالم، حيث تصبح قواعد البيانات القومية في حالة انكساف خارجي، وهذا ما يعرضها لخطر التعرض لهجمات الفضاء الالكتروني، الى جانب الدعاية والمعلومات المضللة ،ونشر الشائعات او الدعوة لإعمال تحريض او دعم المعارضة الداخلية.

ويعتبر الصراع الالكتروني احد أوجه الصراع الدولي، حيث يستطيع احد اطراف الصراع ان يوقع خسائر فادحة بالطرف الآخر ،وان يتسبب في شل البنية المعلوماتية والاتصالية الخاصة به، وهو ما يسبب خسائر عسكرية واقتصادية فادحة، من خلال قطع أنظمة الاتصال بين الوحدات العسكرية ببعضها البعض او تضليل معلوماتها او سرقة معلومات سرية او من خلال التلاعب بالبيانات الاقتصادية والمالية وتزييفها او مسحها من أجهزة الحواسيب ،وبالرغم من فداحة الخسائر فان الأسلحة بسيطة لا تتعدى الكيلو بايت تتمثل في فيروسات الكترونية تخترق شبكة الحاسب الآلي ،وتنتشر بسرعة بين الاجهزة، وتبدأ عملها في سرية تامة وبكفاءة عالية وهي في ذلك لا تفرق بين المقاتل والمدني وبين العام والخاص وبين السري والمعلوم[1].

ولما للتكنولوجيا الحديثة من اثر في مفهوم القوة وتحولاتها، ظهر مفهوم القوة الالكترونية cyber **Power**، حيث عرفها **جوزيف ناي** بأنها "**القدرة على الحصول على النتائج المرجوة من خلال استخدام مصادر المعلومات المرتبطة بالفضاء الالكتروني، أي انها القدرة على استخدام الفضاء الالكتروني لخلق مزايا والتأثير في الاحداث المتعلقة بالبيئات الواقعية الأخرى وذلك عبر أدوات الكترونية**"[2].

اما **دانيال كويل** ،فيعرفها بأنها: "**القدرة على استخدام الانترنيت لخلق مزايا، والتأثير في الاحداث في البيئات التشغيلية كافة من خلال أدوات القوة**"[3].

لقد أصبحت القوة الالكترونية حقيقة أساسية في كل مظاهرها المتنوعة مما دعم وساند العمليات الحربية والقوة الاقتصادية والسياسية.

المبحث الثاني

انتشار القوة الالكترونية وفواعلها وعناصرها

المطلب الأول /انتشار القوة وتوظيف الفواعل لها

---

[1] إيهاب خليفة، القوة اللالكترونية وابعاد التحول في خصائص القوة، وحدة الدراسات المستقبلية، الإسكندرية، 2014، ص23.

[2] Josefs. Nye, cyber power (Cambridge ; Harvard kenndy school . belfer center for scinnce and inrerntional affairs), 2010 p4.

[3] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية وابعاد التحول في خصائص القوة، وحدة الدراسات المستقبلية، الإسكندرية، 2014، ص24.

مفهوم انتشار القوة: يعد **جوزيف ناي** ابرز المستخدمين لهذا المفهوم ووفقا له يرى ان هذه الظاهرة هي اكثر حداثة وغير مألوفة ،وتفرض تحديات جديدة على الدول، ويعرفها ناي بأنها "**تزايد القضايا ومجالات التأثير والتفاعل الواقعة خارج نطاق السيطرة الكلية للدولة، بما فيها الدول الأكثر قوة مع ظهور فاعلين جدد يتمتعون بصور جديدة من القوة**"، أي انها تعني مشاركة فواعل من غير الدول في موارد القوة التي كانت حكراً على الفواعل من الدول ،فإذا كان انتقال القوة ومراكز السيطرة الدولية من دولة الى أخرى هو امر مألوف في التفاعلات الدولية عبر العصور، ويمكن ملاحظته في ظهور مراكز دولية تزاحم الولايات المتحدة الأمريكية مثل الصين والاتحاد الأوربي ، فأن انتشار القوة ظاهرة حديثة ارتبطت بتعاظم دور الفاعلين من غير الدول، لان المعلومة لم تعد حكرا على الدول ،حيث تتراجع سيادة الدول القومية لأول مرة منذ صلح وستفاليا ١٦٤٨ الذي أسس لنظام دولي قائم على سيادة الدولة القومية ،بل يجادل بعض الباحثين بأن ثورة المعلومات سوف تعمل على تسطيح الهياكل البيروقراطية الدولية، وتعمل على خلق شبكة بين الفواعل من الدول وغير الدول[1]. ومما تقدم، نجد ان هناك مستويين لانتشار القوة:

الاول- مستوى داخلي (انتشار القوة السياسية) :وهو يشير الى انتشار القوة داخل الدولة من خلال زيادة المشاركة في العملية السياسية او عملية صنع القرار، وذلك اما من خلال التدخل في صياغة القواعد الحاكمة او التأثير على عملية صنع القرار ذاتها.

وهناك صورتين لانتشار القوة السياسية الداخلية تتمثل الأولى منها في "**الانتشار المؤسسي للقوة ،مثل انتشار القوة بين المؤسسة التنفيذية والتشريعية**"، اما الصورة الثانية فهي :"**ترتبط بموقف محدد فهي تحدث عند زيادة تأثير التغيرات التكنولوجية والاجتماعية والذي يصاحبه تراجع لدور الدولة وهنا يحدث انتقال للقوة السياسية للدولة لصالح الحركات الاجتماعية والجماعات الاثنية ومنظمات المجتمع المدني والقطاع الخاص**"، ولكن هذا الانتشار يعتمد بالأساس على قوة الدولة وعلاقتها بالمجتمع ومدى انكشافها خارجيا.

اما الثاني - المستوى الخارجي: فهو يعني انتقال القوة من التركز في الفاعل الأقوى أو مجموعة الفاعلين الأكثر قوة في الإقليم او العالم الى فاعلين آخرين ،سواء كانوا من الدول او غير "الدول حيث يميز **ناي** بين صورتين لانتشار القوة على المستوى العالمي: **الأولى تتمثل في الانتقال من ظاهرة القطب الواحد المهيمن الى التعددية القطبية وظهور قوى جديدة من الدول، وهي ظاهرة قد تكون مألوفة وتقليدية.**

بينما تتمثل الصورة الثانية في " Power Diffusion" أي انتقال القوة من الدول بشكل عام الى الفاعلين من غير الدول، وهي ظاهرة غير تقليدية وتفرض تحديات على الدول وسيادتها. فهناك علاقة بين انتشار القوة والقوة الالكترونية ترجع الى عاملين هما: **ظهور قضايا جديدة عابرة للقومية ويصعب على الدول مواجهتها بمفردها مثل الإرهاب الدولي وشبكات الجريمة المنظمة والازمات المالية العالمية** اما العامل الثاني

[1] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية وابعاد التحول في خصائص القوة، وحدة الدراسات المستقبلية، الإسكندرية، 2014، ص28.

ينصرف الى تأثير صورة المعلومات والاتصالات وهو ما يرجحه ناي[1].

المطلب الثاني

الفواعل والعناصر المؤثرين

أولا: الفواعل المؤثرين على الساحة الدولية

حدد ناي الفواعل الرئيسين الذين يمتلكون القوة السيبرانية بالدولة، فاعلون من غير الدول، الافراد.

1- الدولة: التي لديها القدرة على تنفيذ هجمات الكترونية وتطوير البنية التحتية وممارسة السلطات داخل حدودها.

2- الفاعلون من غير الدول: ويستخدم هؤلاء القوة السيبرية لأغراض هجومية بالأساس[2]. وهم ينقسمون إلى:

أ - المنظمات الحكومية (سواء عالمية ام اقليمية)

ب- الفاعلون فوق القوميون، مثل الاتحاد الأوربي

ج- التحالفات الدولية.

د - المنظمات الدولية غير الحكومية العابرة للقوميات، كالصليب الأحمر

هـ - الجماعات والمنظمات دون مستوى الدول مثل جماعات متمردين، حركات تحرر وطني، منظمات إرهابية.

و- الشركات الدولية متعددة الجنسية

الشركات متعددة الجنسية: أصبحت الشركات متعددة الجنسية تمتلك موارد للقوة تفوق قدرة بعض الدول، ولم يعد ينقصها سوى شرعية ممارسة القوة التي ما زالت حكرا على الدول، وخاصة شركات التكنولوجيا ،فمثلا **خوادم شركات Apple ,Microsoft Google** المنتشرة في مختلف دول العالم، تسمح بامتلاك قواعد من البيانات العملاقة ،وتستطيع من خلالها استغلال السوق والتأثير في اقتصاديات كثير من الدول.

ومن ابرز الأمثلة على قيام الشركات العاملة في مجال الفضاء الالكتروني بالتأثير في العلاقات الدولية، الصراع بين شركة جوجل والحكومة الصينية، حيث قامت الأخيرة بأختراق حسابات البريد الالكتروني Gmail الخاصة بالناشطين السياسيين في الصين ،مما دعا جوجل الى التهديد بالخروج من السوق الصينية[3].

المنظمات الاجرامية والجريمة الالكترونية: تعتبر المنظمات الاجرامية المتعدية الجنسية احد الفواعل المؤثرة في العلاقات الدولية،و التي تؤثر في التفاعلات الدولية والتي غالبا ما تلقى حماية من بعض الحكومات الضعيفة والفاسدة ،وهذه المنظمات الاجرامية اوجدت لها ساحة على الانترنيت ،وأصبحت تقوم بعمليات قرصنة الكترونية بهدف سرقة المعلومات او اختراق حسابات بنكية وتحويل الأرصدة منها، حيث تكلف الجرائم الالكترونية الشركات أكثر من ترليون دولار سنويا .وهناك أنواع من الجرائم التي تتم بواسطة الفضاء الالكتروني منها:

---

[1] صباح عبد الصبور، استخدام القوة الالكترونية في التفاعلات الدولية تنظيم القاعدة انموذجا، الجزء الثاني، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2016، ص22.

[2] إيهاب خليفة، cyber power نمط جديد للممارسة التأثيرات غير التقليدية في العلاقات الدولية، مفاهيم المستقبل، العدد6 يناير 2015، ص3.

[3] Josefs. Nye, cyber power ; p 1-13.

. انتحال شخصيات وهمية

. الهجوم على مواقع الانترنيت والتعديل فيها

. التلاعب في التجارة الالكترونية

. الفيروسات التي تعبث بالأنظمة

. الجرائم الأخلاقية من جنس واعلانات الرذيلة[1].

الجماعات الإرهابية: هي جماعات تسعى للتغيير السياسي من خلال استخدام العنف ضد المدنيين والدول، وهي تختلف من حيث الأصول والاهداف ،وقسم **David Raport** ،الجماعات الإرهابية الحديثة الى **جماعات فوضوية، جماعات مكافحة للاستعمار، جماعات ذات توجه يساري، جماعات دينية،** وكلها لديها ميليشيات مسلحة تسعى للتغيير بالعنف ،وهي تسعى لأنشاء دولة خاصة بها ،ويستطيعون من خلالها تنفيذ ايديولوجياتهم في الحكم، واهمها في القرن الواحد والعشرين هي جماعات الإسلام السياسي المتشدد مثل تنظيم القاعدة [2].

حركات التحرر الوطني: من أبرز امثلتها حركة حماس وحزب الله ،حيث كانت البداية الحقيقية للحرب الالكترونية بينهما وبين إسرائيل عام ٢٠٠٠ ،حينما شنت مجموعة إسرائيلية هجمات على موقع حزب الله بعد اسر جنود إسرائيلين ،حيث قام فريق من القراصنة بحذف محتويات موقع حزب الله ووضع نجمة داوود وعلم إسرائيل ،وتم الرد بهجمات مماثلة على مواقع حكومية إسرائيلية منها مكتب رئيس الوزراء والكنيست[3].

3- الفرد كفاعل دولي

برادلي ماننغ ،جندي امريكي تخصص في مجال المعلومات، في كانون الثاني ٢٠١٠ انقلبت حياته رأسا على عقب عندما أراد التواصل مع موقع ويكيليكس، الذي سبق وان تعرف عليهم بعد نشرهم في نوفمبر ٢٠٠٩ حوالي(٥٧٠)وثيقة حول هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث حمل لهم ماننغ (٤٠٠)الف وثيقة بشأن الحرب في العراق ،ثم بعدها بأيام حمل(٩١)الف وثيقة عن أفغانستان، بعدها قامت الدنيا ولم تقعد في الولايات المتحدة في سبيل غلق الموقع، ومحاسبة المسؤولين، فحكم على ماننغ بالسجن ٣٥ عاما ،ليتدخل الرئيس أوباما ويقوم بتخفيفها[4].

ثانياً: عناصر القوة الالكترونية وبزوغ عصر الصراع الالكتروني

بعد احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ،بدأ التركيز على الفضاء الالكتروني كتهديد امني جديد بفعل احداث دولية كان ابرزها استخدام تنظيم القاعدة له كساحة قتال ضد الولايات المتحدة، وفي عام ٢٠٠٧ برز بوضوح دور الفضاء الالكتروني كمجال جديد في العمليات العدائية في الصراع بين استونيا وروسيا، وفي ٢٠٠٨ في الحرب بين روسيا وجورجيا، وجاء الهجوم الالكتروني بفيروس **"ستاكسنت"** على برنامج

---

[1] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية وابعاد التحول في خصائص القوة، وحدة الدراسات المستقبلية، الإسكندرية، 2014، ص37.

[2] صباح عبد الصبور، استخدام القوة الالكترونية في التفاعلات الدولية تنظيم القاعدة انموذجا، الجزء الثاني، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2016، ص12.

[3] إيهاب خليفة، مصدر سبق ذكره.

[4] ماينغ مسرب وثائق ويكليكس

https: \\ www. S;jaseera. Net \ encyclopedia \ icons \

ايران النووي عام ٢٠١٠، ليمثل نقلة هامة بالتطور في مجال الأسلحة الالكترونية. وعلى الرغم من الدور السياسي الذي لعبته شبكات التواصل الاجتماعي في حال الثورات العربية في مطلع عام ٢٠١١ ،الا انها مثلت نقطة هامة لدعم الاهتمام الدولي بأمن الفضاء الالكتروني، وبرزت محاولات السيطرة عليها بعد تصاعد الاحتجاجات في أكثر البلدان ديمقراطية مثل بريطانيا، واصبح الفضاء الالكتروني ساحة جديدة للصراع بشكله التقليدي، ولكن ذا طابع الكتروني يعكس النزاعات التي تخوضها الدول و الفاعلين من غير الدول على خلفيات دينية أو عرقية أو أيديولوجية او اقتصادية أو سياسية لينتج عن ذلك "**الحرب الالكترونية** "[1]. وتتركز عناصر القوة الالكترونية لدولة ما في ستة محاور رئيسية هي:

1- **بنية تكنولوجية Cyber Infratructure :** وهي البنية التحتية اللازمة للقوة الالكترونية (العناصر المادية) فبدلا من الدبابات والغواصات والطائرات تحتاج الدولة الى أجهزة كومبيوتر وشبكات تربطها ببعضها وبرمجيات تشغلها وتعمل عليها والعنصر البشري المتخصص باستخدامها ..

٢ - **أسلحة الالكترونية Cyber Weapons:**وهي برامج تم تصميمها للقيام بوظائف مختلفة وتشمل:

أ- الفيروسات Viruses:تم تصميم فيروس الكمبيوتر، مثل فيروس الأنفلونزا، بحيث ينتشر من مضيف إلى مضيف ولديه القدرة على تكرار نفسه. وبالمثل، بنفس الطريقة التي لا يمكن أن تتكاثر بها فيروسات الأنفلونزا بدون خلية مضيفة، لا يمكن لفيروسات الكمبيوتر التكاثر والانتشار دون الحاجة إلى البرمجة مثل ملف أو مستند. بعبارات تقنية أكثر، يعد فيروس الكمبيوتر نوعًا من التعليمات البرمجية أو البرامج الخبيثة المكتوبة لتغيير الطريقة التي يعمل بها الكمبيوتر، وهو مصمم للانتشار من كمبيوتر إلى آخر،و يعمل الفيروس عن طريق إدخال أو إلحاق نفسه ببرنامج أو مستند شرعي يدعم وحدات الماكرو من أجل تنفيذ التعليمات البرمجية الخاصة به في هذه العملية ، يكون للفيروس القدرة على إحداث تأثيرات غير متوقعة أو ضارة ، مثل إلحاق الضرر ببرنامج النظام عن طريق إتلاف البيانات أو إتلافها[2].

ب- الديدان Worms : دودة الكمبيوتر، هي نوع من البرامج الضارة التي تنشر نسخا من نفسها من كمبيوتر إلى آخر،و يمكن أن تتكرر الدودة نفسها دون أي تدخل بشري، ولا تحتاج إلى ربط نفسها ببرنامج لتسبب الضرر[3].

ج- أحصنة طروادة Trojan Horses : حصان طروادة أو حصان طروادة هو نوع من البرامج الخبيثة التي غالباً ما يتم تخفيها كبرمجيات شرعية يمكن استخدام

---

[1] عادل عبد الصادق، ((القوة الالكترونية: أسلحة انتشار الشامل في عصر الفضاء الالكتروني))، سلسلة قضايا استراتيجية، المركز العربي للأبحاث الفضاء الالكتروني، أكتوبر 2012، ص2.

[2] What is a computer virus ?
https; us. Norton . com \ internetsecurity – malware – what – is – a – computer – virus . html

[3] what is a computer worms ?
https \\ us. Norton . com \ internetsecurit – malware – what – is – a- computer – worm . html

أحصنة طروادة بواسطة لصوص الإنترنت والمتسللين الذين يحاولون الوصول إلى أنظمة المستخدمين. عادة ما يتم خداع المستخدمين عن طريق بعض أشكال الهندسة الاجتماعية لتحميل وتنفيذ أحصنة طروادة على أنظمتهم بمجرد تفعيلها، يمكن لأحصنة طروادة تمكين مجرمي الإنترنت من التجسس عليك، وسرقة بياناتك الحساسة، والوصول إلى الباب الخلفي لنظامك.و يمكن أن تشمل هذه الإجراءات:

- حذف البيانات

-حظر البيانات

- تعديل البيانات

-نسخ البيانات

-تعطيل أداء أجهزة الكمبيوتر أو شبكات الكمبيوتر.

وعلى العكس من فيروسات الكمبيوتر والديدان، فإن أحصنة طروادة ليست قادرةعلى النسخ المتماثل ذاتيا[1].

د - القنابل المنطقية Logic bombs: يشير مصطلح المنطق المنطقي، إلى البرمجيات الخبيثة التي تسمى أيضا شفرة الخبث، والتي يتم تفعيلها من خلال الاستجابة لحدث ما على سبيل المثال، عند ذلك بدء تشغيل أحد التطبيقات أو عند الوصول إلى تاريخ / وقت محدد - يؤدي إلى تشغيل البرامج الضارة للقنابل المنطقية لبدء التشغيل على جهاز كمبيوتر.و يستخدم المحتالون عبر الإنترنت البرامج الضارة للقنابل المنطقية بعدة طرق. **اذ** يقوم المهاجمون عادة بتضمين الرمز داخل تطبيق مزيف، أو حصان طروادة، وسيتم تنفيذه تلقائيا عندما يقوم المستخدم بتشغيل البرنامج المزيف[2].

هـ - الأبواب الخلفية Backdoors: فيروس الباب الخلفي، هو رمز خبيث يستخدم، عن طريق استغلال عيوب النظام ونقاط الضعف التي قد تترك من قبل المصممين، لتسهيل الوصول غير المصرح به عن بعد إلى نظام الكمبيوتر أو البرنامج مثل كل الشيفرات الخبيثة، فهي تعمل في الخلفية غافلة عن الضحية. يمنحك هذا الوصول الحرية الكاملة لإجراء أنشطة ضارة على النظام أصبح النظام الآن عرضة لنسخ الملفات غير المشروعة وتعديلها وسرقة البيانات والحقن الخبيثة الإضافية[3].

و -الرقائق Chipping

ز- المكينات والميكروبات فائقة الصغر: وهي عكس الفيروسات حيث تصيب (Hardware) ،فهي عبارة عن (robots) فائقة الصغر، قد تنتشر في مبنى نظام معلوماتي لدولة معادية، وتدخل الحاسب الالكتروني من خلال فتحاته لتبدأ عملية اتلاف دوائره الالكترونية.اما الميكروبات فأنها تتغذى على عنصر ال (Silizium) المكون المهم في الدوائر الالكترونية[4].

---

[1] what is trojan hourse

https ; \\ www . Kaspersky . com \ resource – center \ threats \ trojans

[2] what is logic ?

https ; \\ antivirus . comodo . com \ blog \ comodo – news \ logic – bomb.

[3] What is backdoors ?

https ; \\ study . com \ academy \ lesson \ what – is – a – backdoor – virus – definition – removal – example . html.

[4] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية كيف يمكن ان تدير الدول شؤونها في عصر الانترنت، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2017، ص43.

ح - مدافع HERF: مدافع تطلق موجات راديوية عالية الطاقة والتردد يمكنها تعطيل أي هدف الكتروني وقد تتسبب بضرر متوسط او بالغ كالإعطاب[1].

ط - قنابل EMP: تشبه المدافع ولكنها تستخدم نبضات الكترونية PULSE فتتسلل وتتلف الحواسيب والشبكات وهي أصغر من مدافع HERF، ولا تنتقى هدفها[2].

3- العمليات الالكترونية: وتشمل:

أ - مهاجمة شبكات الحاسب الآلي: من خلال اختراق الشبكات ونشر الفيروسات وما شابهها من البرامج المؤذية لتعطيلها أو تدميرها وقطع الاتصال كما في قطع أنظمة الاتصال بين الوحدات العسكرية

ب الدفاع عن شبكات الحاسب الآلي: وذلك عن طريق حماية الشبكات والبيانات من الهجوم الالكتروني بحيث يتم تأمينها.

ج - استطلاع شبكات الانترنت: من خلال التجسس على شبكات الخصم بهدف الحصول على المعلومات.

د الردع الالكتروني: من خلال خلق محفزات مناعة لقيام أحد اطراف الصراع من القيام باعتداء أو هجوم مستقبلا.

4- بنية مؤسسية وتشريعية: تكون مهمتها تحقيق استخدام القوة الالكترونية في ظل تحقيق استراتيجية الدولة وتدريب جيوش الكترونية تحقق الامن الالكتروني للدولة والافراد وان يكون هيئة تشريعية تعرف بالجرائم الالكترونية.

٥- العنصر البشري: المدرب على استخدام اجهزة الفضاء الإلكتروني

6- وجود خطة استراتيجية تدعم رؤية الدولة لتعظيم قوتها الالكترونية: لابد من وجود مثل هكذا خطط عند الدول التي تسعى لامتلاك قوة الكترونية[3].

المبحث الثالث
أثر التهديدات السيبرانية ومستقبلها

المطلب الأول / أثر التهديدات السيبرانية على الامن القومي

مثلما اخذت القوة السيبرانية طابعا انتشاريا واسعا بين الفواعل من الدول وغير الدول، فقد أنتج ذلك تهديدات واسعة ،لان الدول لم يكن بمقدورها احتكارها ،خاصة مع انخراط الافراد والجماعات بكثافة في تفاعلات الفضاء الالكتروني، فصار أكثر من نصف

---

[1] Herf gum more than dinner . mick Nathan , hackday , 21 march 2011,
http; \\ herf – gun – zaps – more – than – your – dinner 21 \3 \ 2011 https; \\ hackaday . com\.

[2] إيهاب خليفة، القوة الالكترونية كيف يمكن ان تدير الدول شؤونها في عصر الانترنت، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2017، ص87.

[3] صباح عبد الصبور، استخدام القوة الالكترونية في التفاعلات الدولية تنظم القاعدة انموذجا، الجزء الثاني، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2016، ص26.

سكان الأرض يستخدمون الانترنيت في تفاعلاتهم اليومية مع نهاية ٢٠١٦ بخلاف نمو الهواتف الذكية وتكنولوجيا الاتصالات.

لقد أصبح بأمكان الجماعات والافراد حيازة النفوذ السيبراني في البيئة الافتراضية، بما يمكنهم لعدم الخضوع كاملا لقيود سلطة الدولة ،وفي المقابل ربطت الدولة وظائفها وبنيتها التحتية بشبكات الفضاء الالكتروني ،بما أفرز مصالح قومية ترتبط بأمنها: واستدعى ذلك إجراءات حكومية دفاعية لحماية هذه المصالح وتارة أخرى هجومية بغرض التأثير في سلوك الأطراف المتنافسة، الأمر الذي خلف حروبا سيبرانية اختلفت ادواتها ومضامينها عن نظيراتها التقليدية.

في هذا السياق تبلورت ظاهرة **الصراع السيبراني Cyber Conflict** ،حيث يعني ان الأطراف المختلفة سواء أكانت دولا ام غير دول، تستخدم قدرات الفضاء الالكتروني من اجل تحقيق أهدافها المتعارضة عبر البنية السيبرانية ،ويتداخل فيها الحسابات الإنسانية والتكنولوجية وتتشابك فيه الهويات[1].الامر الذي جعل التهديدات السيبرانية تتشعب لتوثر على عدة مستويات وابعاد منها:

أولا: أثر التهديدات السيبرانية على البعد العسكري

تغيرت الحروب التقليدية وأصبحت تهتم بالمعلومات عوضا عن الجيوش العسكرية ،واصبح هناك مناورات وتدريب من نوع اخر استعدادا للحروب الالكترونية ،من اجل الحصول على معلومات استخبارية وتجنيد العملاء وغيرها فتغيرت طبيعة الحروب وأصبحت بلا نار ودخان و قصف وعنف، وبالرغم من فداحة الخسائر الا ان الأسلحة بسيطة لا تتعدى الفيروسات الالكترونية التي تخترق شبكات الحواسيب وتبدأ عملها بسرية وبكفاءة عالية، وبات من الصعب تخيل صراعاً عسكريا اليوم دون أن يكون لهذا الصراع العسكري أبعاداً الكترونية، وأصبحت في صلب اهتمامات الأنظمة الدفاعية لأي صراع يمكن أن يحدث في المستقبل، مثل الحرب التي تم شنها ما بين جورجيا وروسيا عام ٢٠٠٨ ، وبين روسيا واستونيا عام ٢٠٠٧، ولقد قامت العديد من الدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الأخرى مثل الصين ،على الرغم من التقدم التكنولوجي لها، ببناء وحدات الكترونية على شبكات الانترنت، وإسرائيل بإنشاء الوحدة(٨٢٠٠)للحماية من مئات. وآلاف القراصنة المحترفين[2].

ثانياً: أثر التهديدات السيبرانية على البعد الاقتصادي

مع تزايد نسبة الجرائم الإلكترونية وتنوع طرقها، لا شك أنها اصبحت تلحق خسائر مادية كبيرة وفادحة أكثر مما تسببه الجرائم التقليدية ،ليس فقط على مستوى الفرد بل تتعداه إلى مستوى المنظمات

[1] د. خالد حنفي، إشكاليات تدخل الصراعات السيبرانية والتقليدية، ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد ابريل 2017.

[2] نسرين صباحي، الحروب السيبرانية وتحديات الامن العالمي، المركز العربي للأبحاث والدراسات، 2017، مقالة منشورة على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط \ www. Acrseg 40594.

والجهات والمؤسسات وهذا بالطبع يؤثر بشكل سلبي على الاقتصاد.

أ- على مستوى الفرد

حيث اصبح الفرد ينجز تعاملاته ويدير اعماله وبحوثه ويتواصل مع العالم الخارجي بواسطة الانترنيت وان الجرائم التي قد يتعرض لها الفرد وتؤثر على الجانب المادي لديه:

1- سرقة الهوية الشخصية

2- سرقة بطاقة الائتمان

٣- الابتزاز والتهديد

٤ - عمليات الاحتيال

5 - تحويل أو نقل حساب مصرفي أو أسهم

٦ - زيادة فواتير بتحويل فواتير الضحية

ب- على مستوى المنظمات والبنوك والشركات والمؤسسات والجهات الحكومية وغير الحكومية

حيث أصبحت تدار الكترونيا وتتواجد على الشبكة الالكترونية لفتح قنوات تواصل جديدة مع الناس، وتكميل و تكبير جهودها والإعلان عن آخر أخبارها، وتسهيل التواصل معها والتفاعل مع ما تقدمه من خدمات وعروض ،كل هذا دون الحاجة إلى الذهاب إليها فقط عن طريق الشبكة الإلكترونية، بهدف استقطاب شريحة أكبر من الناس و زيادة أرباحها [1].وهي تتوزع على جوانب مادية كثيرة منها:

١ - الاطلاع على المعلومات السرية

٢- سرقة الأموال وتحويل الحسابات

3- عمليات الاحتيال

4- الابتزاز والتهديد

وهناك بعض الاحصائيات والارقام اللافتة التي تبين مدى خطورة الجرائم الالكترونية واستنزافها للموارد:

ففي دراسة أجرتها شركة **مكافي** لتكنولوجيا امن المعلومات ، ظهر ان الشركات الأوربية تتكبد خسائر تقدر بتريليون دولار سنويا، وفي دراسة أجرتها شركة **ارك سايت** الامريكية الأمنية، ومؤسسة أبحاث **معهد بونيمون** الأمريكي تشير الى تكبد الشركات الامريكية خسائر تقدر ب(١.٣)مليار دولار سنويا. وقد أشارت توقعات بأن الجرائم الالكترونية قد تتسبب بخسارة دول مجلس التعاون الخليجي بين(٥٥٠) الى(٧٣5)مليون دولار امريكي سنويا.

ثالثا: أثر التهديدات السيبرانية على البعد السياسي

لقد شهد العقدان الأخيران سباقا محموما بين بعض القوى الإقليمية في مناطق العالم المختلفة لتعظيم الاستفادة من الفضاء الالكتروني، اذ عدت هذه الدول القدرات السيبرانية وسيلة لبسط النفوذ إقليميا وتحقيق مكاسب استراتيجية وسياسية ومالية، لم تكن لتحققها عبر الوسائل العسكرية والتقليدية، فلقد اتسعت قائمة الدول ذات القدرات السيبرانية المتطورة ،فلم تعد تقتصر على القوى السيبرانية العظمى كالولايات المتحدة ، الصين، بريطانيا ، روسيا وإسرائيل ،اذ ظهرت في أقاليم مختلفة قوى أخرى مثل استراليا، الهند ، اندونيسيا كوريا، البرازيل والأرجنتين، وفي الشرق الأوسط، بزغت قوى إقليمية سيبرانية كإيران وتركيا

[1] منى شاكر العسبلي ، تأثير الجريمة الالكترونية على النواحي الاقتصادية، مقالة منشورة على شبكة المعلومات الدولية الانترنيت على الرابط التالي : http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/٢٢٠٩٢٠

،وفاعلون من غير الدول كذلك يحاولون توظيف القدرات التكنولوجية او الالكترونية لتحقيق مارب استراتيجية او اقتناص مزايا سياسية واقتصادية واكتساب القدرة على التأثير في بيئة العمليات الإقليمية.

لقد برزت إيران كواحد من أهم الأطراف الإقليمية في الشرق الأوسط، وتتجاوزه أحيانا ،فقد بدأت بقدرات محدودة موجهه بالأساس لإحباط النشاط السيبراني للمعارضة في الداخل والخارج ،حيث يعد توظيف المعارضة للفضاء السيبراني في تنظيم وحشد التظاهرات العارمة التي اندلعت عام ٢٠٠٩ احتجاجا على ما يسميه المتظاهرون تزوير الانتخابات لصالح الرئيس الإيراني المحافظ محمود احمدي نجاد، حيث برز جليا دور مواقع التواصل الاجتماعي في حشد الشارع ضد النظام، حيث رد النظام الإيراني على هذه الاحتجاجات بشن حملة هجومية.

في عام ٢٠١٠ اكتشف فيروس الكتروني مدمر **باسم ستكسنيت (Stuxnet)**، ويعتقد ان هذا الفيروس تمكن من اختراق أكثر من عشرة مواقع صناعية إيرانية فائقة الحساسية، منها حواسيب الية في معامل تخصيب اليورانيوم ،حيث لم يسبق قط الفيروس الكتروني أن تمكن من اختراق حواسيب لمشات بنية تحتية فائقة الأهمية مثلما فعل ستكسنيت ،او عملية الألعاب الأولمبية فيما سمي لاحقا[1].

وكذلك فأن التهديدات السيبرانية كان لها دورا كبيرا في التأثير على نتائج الانتخابات الأوكرانية الرئاسية عام ٢٠١٤ ،حيث اطلق القراصنة الروس هجمات الكترونية على مدى عدة أيام لتعطيل الانتخابات الأوكرانية ، وكذلك كان هناك دور بارز للتهديدات السيبرانية على نتائج استفتاء المملكة المتحدة للخروج من الاتحاد الأوربي، حيث اتهمت روسيا بالتدخل عام ٢٠١٧ ،في تمويل حركة دعاية الكترونية تحث الناخبين للتصويت بنعم للخروج من الاتحاد الأوربي ، وشملت التهديدات أيضا نتائج الانتخابات الأمريكية، حيث أشارت تقارير الى دور روسي كبير وواضح في الإفصاح عن المراسلات الالكترونية السرية للمرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون ،والذي اثر بشكل كبير على نتائج الانتخابات [2].

المطلب الثاني

مخاطر وتداعيات مستقبلية

أدى اتساع علاقة الدول بالقضاء الالكتروني وما خلفته من حروب سيبرانية الى جملة من المخاطر والتداعيات على تفاعلات السياسة الدولية:

١ - تصاعد المخاطر الالكترونية خاصة. مع قابلية المنشآت الحيوية مدنية وعسكرية) في الدول للهجوم الالكتروني عليها عبر وسيط وحامل للخدمات او شل عمل أنظمتها المعلوماتية، الأمر الذي يؤثر في وظائف تلك المنشاة وبالتالي فأن التحكم في تنفيذ هذا الهجوم يعد أداة سيطرة استراتيجية بالغة الأهمية سواء وقت السلم او الحرب.

٢ - تعزيز القوة وانتشارها، فمن جهة عزز الفضاء الالكتروني ما يسمى بالقوة المؤسسية في السياسة الدولية وهي تعني ان يكون لها دور في قوة الفاعلين

---

(1) احمد زكي عثمان، تأثيرات القدرات السيبرانية في الصراعات الإقليمية، ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد ابريل 2017.

(2) علي زياد العلي، الصراع والامن الجيوسيبراني في السياسة الدولية، دار امجد للنشر، 2019، ص124.

وتحقيق أهدافهم وقيمهم في ظل التنافس مع الآخرين ،والاسهام في تشكل الفعل الاجتماعي ظل المعرفة والمحددات المتاحة والتي تؤثر في السياسة العالمية.

من جهة أخرى عمل الفضاء الالكتروني على إعادة تشكيل قدرة الأطراف المؤثرة مثل الولايات المتحدة، فبعدما كانت الأخيرة تملك ما يشبه الاحتكار المصادر القوة بعد انتهاء الحرب الباردة، برزت عملية انتشار القوة بين اطراف متعددة سواء أكانت دولا ام من غير دول.

٣- عسكرة الفضاء الالكتروني وذلك سعيا لدرء تهديداته على امن الفضاء الالكتروني وبرز في هذا الاطار اتجاهات مثل التطور في مجال سياسات الدفاع والامن الالكتروني وتصاعد القدرات في سباق التسلح السيبراني وتبني سياسات دفاعية سيبرانية لدى الأجهزة المعنية بالدفاع والامن في الدول وتزايد الاستثمار في مجال تطوير أدوات الحرب السيبرانية داخل الجيوش الحديثة.

4- ادماج الفضاء الالكتروني ضمن الأمن القومي للدول وذلك عبر تحديث الجيوش وتدشين وحدات متخصصة في الحروب الالكترونية وإقامة هيئات وطنية للأمن والدفاع الالكتروني والقيام بالتدريب واجراء المناورات لتعزيز الدفاعات الالكترونية والعمل على تعزيز التعاون الدولي في مجالات تأمين الفضاء الالكتروني والقيام بمشروعات وطنية للأمن الالكتروني.

٥- الاستعداد لحروب المستقبل حيث تبنى العديد من الدول استراتيجية حرب المعلومات بحسبانها حربا للمستقبل والتي يتم خوضها بهدف التشتيت واثارة الاضطرابات في عملية صنع القرار لدى الخصوم عبر اختراق انظمتهم واستخدام ونقل معلوماتهم وهنا ترى الدول الكبرى ان من يحدد مصير تلك المعركة المستقبلية ليس من يملك القوة فقط وانما القادر على شل القوة والتشويش على المعلومة.

٦ - تحديث القدرات الدفاعية والهجومية، حيث سعت الدول الى تحديث النشاط الدفاعي لمواجهة مخاطر الحرب السيبرانية والاستثماري البنية التحية المعلوماتية وتأمينها وتحديث القدرات العسكرية ورفع كفاءة الجاهزية لمثل هذه الحروب عن طريق التدريب، والمشاركة الدولية في حماية البنية المعلوماتية والاستثمار في رفع القدرات البشرية داخل الأجهزة الوطنية المعنية. وهنا، يتعلق التوجه الأخطر بنقل تلك القدرات من الدفاع الى الهجوم عن طريق استخدام تلك الهجمات في اطار إدارة الصراع والتوتر مع دول أخرى.

لكن تبقى عملية بناء القدرات العسكرية في مجال الأسلحة الالكترونية تنطوي على عناصر أساسية، منها السعي الى امتلاك التكنولوجيا وأنظمة الحماية وتطوير قدرات هجومية تعمل على تحقيق التفوق التقني، يأتي بعدها تطوير القدرات الهجومية، اما عبر بناء القدرات الذاتية او بالاستعانة بالأفراد والشركات المتخصصة وتطوير القدرة على اختبار مدى الجاهزية لمواجهة الهجمات الالكترونية. واخيرا، العمل على توفير الميزانيات المخصصة لتطوير القدرات الهجومية والدفاعية وخاصة مع قلة تكلفتها مقارنة بحجم ما ينفق على الجيوش التقليدية[1].

[1] د. عادل عبد الصادق، أنماط الحرب السيبرانية وتداعياتها على الامن القومي، ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد ابريل 2017.

الخاتمة والاستنتاجات

اصبح من المسلم في العلاقات الدولية ان مصادر قوة الدولة واشكالها تتغير، فألى جانب القوة الصلبة والتي تتمثل بالقدرات العسكرية والاقتصادية تزايد الاهتمام بالأبعاد غير المادية للقوة ومن ثم برز دور القوة الناعمة التي تعتمد على الجاذبية والاقناع.

ومع ثورة المعلومات وتغير اشكال القوة بتغير التكنولوجيا اثر الفضاء الالكتروني في الاشكال التقليدية للقوة وطرح مفهوما وشكلا جديدا هو القوة الالكترونية. وقد كان لهذا الشكل الجديد دور في بلورة مفهوم انتشار القوة وتعدد الفاعلين (سواء من الدول او من غير الدول) مما هدد الدور التقليدي للدول وقلل من سيادتها على اقليمها وظهرت أنواع جديدة من الأسلحة لا يتعدى حجمها الكيلو بايتس) إضافة لقلة تكلفتها، وانها تؤدي الى خسائر فادحة على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية وحتى الاجتماعية بل حتى على المستوى الفردي فهي لا تعترف بالنوع ولا العمر ولا الإقليم ومن ثم فمن الضروري وضع اطر حاكمة لاستخدامات هذه القوة وتقنينها بما يعمل على تحقيق الأمن الشخصي للمواطن والامن الدولي لمختلف الفواعل الدولية.

المصادر

المصادر العربية

١- إيمان قديح، تحول مفهوم القوة في العلاقات الدولية بعد نهاية الحرب الباردة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمج بوضياف، الجزائر، ٢٠١٨.

2- إيهاب خليفة، cyber power نمط جديد لممارسة التأثيرات غير التقليدية في العلاقات الدولية، مفاهيم المستقبل، العدد ٦ يناير، ٢٠١٥.

3- إيهاب خليفة، القوة الإلكترونية كيف يمكن ان تدير الدول شؤونها في عصر الانترنت، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع.

4- إيهاب خليفة، القوة الإلكترونية وابعاد التحول في خصائص القوة.

٥- احمد زكي عثمان، تأثيرات القدرات السيبرانية في الصراعات الإقليمية، ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد ابريل ٢٠١٧.

٦- جوزيف س. ناي القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، د. مُحَمَّد البجريمي، ط٢، الرياض.

7- د. خالد حنفي، إشكاليات تدخل الصراعات السيبرانية والتقليدية، ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد ابريل ٢٠١٧.

8- د. سعاد محمود أبو ليلة، دورة القوة: الانتقال من الصلبة الى الناعمة الى الافتراضية ، مجلة السياسة الدولية ، ملحق اتجاهات نظرية العدد (١٨٨) ٢٠١٢ ابريل.

٩- صباح عبد الصبور، استخدام القوة الالكترونية في التفاعلات الدولية تنظم القاعدة انموذجا ، الجزء الثاني، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، القاهرة،٢٠١٦.

10- علي زياد العلي الصراع والأمن الجيوسيبراني في السياسة الدولية، دار امجد للنشر، ٢٠١٩.

11- عادل عبد الصادق، ((القوة الالكترونية أسلحة الانتشار الشامل في الفضاء الالكتروني))، سلسلة قضايا استراتيجية ، المركز العربي عصر للأبحاث الفضاء الالكتروني، أكتوبر.

١٢- عادل عبد الصادق، الارهاب الالكتروني القوة في العلاقات الدولية نمط جديد وتحديات مختلفة، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠١٩

13-عادل عبد الصادق ، أنماط الحرب السيبرانية وتداعياتها على الامن القومي، ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد ابريل ٢٠١٧.

١٤- ماينينغ مسرب وثائق ويكيليكس https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/

15- نسرين صباحي، الحروب السيبرانية وتحديات الامن العالمي المركز العربي للأبحاث والدراسات ٢٠١٧، مقالة منشورة على شبكة المعلومات الدولية الأنترنيت على الرابط www.acrseg.org/٤٠٥٩٤

16. منى شاكر العسبلي، تأثير الجريمة الالكترونية على النواحي الاقتصادية، مقالة منشورة على شبكة المعلومات الدولية الانترنيت على الرابط التالي: http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/٣٢٠٩٢٠

المصادر الاجنبية

1- Josef S.Nye,Cyber Power(Cambridge:Harvard School.Belfer center for Kenndy scinnce Interntional and Affairs), 2010. P.4.

2- Josef S.Nye,Cyber Power: p13-1.2.

3- what is a computer virus".؟ https://us.norton.com/internetsecurity-malware-what-is-a-computer-virus.html

4- what is a computer worms} .؟ https://us.norton.com/internetsecurity-malware-what-is-a-computer-worm.html

5- what is Trojan hourse". https://www.kaspersky.com/resource-center/threats/trojans

6- what is Logic bombs?.1 /https://antivirus.comodo.com/blog/comodo-news/logic-bomb

7- what is Backdoors?. https://study.com/academy/lesson/what-is-a-backdoor-virus- definition-removal-example.html

8- Herf gun more than dinner. Mick Nathan,Hackday, 21March A2011 /herf-gun-zaps-more-than-/./.https://hackaday.com/

:http/your-dinner

انعكاسات مشكلة الهجرة في العراق بعد عام 2003 على النظام السياسي دراسة تاريخية سياسية

م.م. فاطمة فرحان زغير الطليباوي
جامعة بغداد كلية العلوم السياسية

المقدمة

تعد ظاهرة الهجرة من الظواهر التي تمثل تحديا كبيرا من جملة التحديات الرئيسية التي تواجه الحكومات اليوم في مختلف دول العالم المتقدمة والفقيرة على حد سواء، وعلى الرغم من أنها ظاهرة قديمة قدم الإنسان وبفضلها تكونت الحضارات ونشأت المجتمعات، إلا أنها وفي العصر الراهن ومع الزيادة المطردة في المد السكاني على مستوى العالم، وتردي الظروف الاقتصادية في دول وتكاملها في دول أخرى، ومع ثورة الاتصالات والمواصلات التي ساهمت في تسهيل انتقال الأفراد بين الدول، برزت ظاهرة الهجرة كتحدي كبير يهدد اقتصادات الدول وأمنها وسيادتها.

وليس ثمة مبالغة القول بان دراسة ظاهرة الهجرة وحيثياتها، لا يقل - من حيث الأهمية -عن دراسة ظواهر التطرف والإرهاب وغيرها من الظواهر والموضوعات التي تبرز اليوم على مسرح الاهتمام السياسي العالمي، وتنال قسطا كبيرا من المناقشات والمؤتمرات والدراسات والمعالجات. من هنا تناولنا في بحثنا هذا ظاهرة الهجرة وإشكالياتها إنطلاقاً من المفهوم العام والأطر النظرية العامة ووصولا للهجرة وإشكالياتها في العراق بعد عام ٢٠٠٣ وارتداداتها على النظام السياسي العراقي.

اهمية البحث: تتحدد أهمية البحث من خلال القاء الضوء على الجانبين : الديموغرافي والتنموي في معالجة الكثير من الأزمات والتحديات والمشكلات، وفي مقدمتها مشكلة الهجرة، ومعرفة مديات التغذية الراجعة بين زيادة السكان والتنمية وإيجاد فرص العمل وبين ظاهرة الهجرة.

هدف البحث: بيان معرفة تأثير ظاهرة الهجرة على المستويين الداخلي (الدول الأصل) والخارجي (الدول المستضيفة)، وكذلك الوقوف على مشكلة الإندماج التي برزت كشكل من اشكال الصعوبات التي تواجه المجتمعات المستقبلة والأفراد المهاجرين.

اشكاليات البحث :انطوى البحث على دراسة ومعالجة مجموعة من الاشكاليات الداخلية والخارجية، فعلى صعيد الاشكاليات الداخلية، أبرز البحث الإشكاليات الآتية :

1-انعدام الاستقرار السياسي ومدى تأثيره على ظاهرة الهجرة وبواعث عدم الاستقرار الداخلي سياسيا واقتصاديا ودينيا.

2- اشكاليات غياب الرؤية التنموية والاستراتيجية لدى النظم السياسية، وانعكاساتها على الوضع الداخلي العام، وعلى ظاهرة الهجرة بشكل خاص.

3- التباين الطائفي والقومي، وتغييب ثقافة المواطنة في الخطاب السياسي، مما يجعل المواطنين الأقل عددًا الأقليات) تشعر بالتهميش ومصادرة الحقوق.

أما بخصوص الإشكاليات الخارجية فتتمثل بالأتي :

1- الإرهاب العابر للحدود، وغياب الأمن والسيطرة على الحدود، في ظل التنافس الدولي على الدول التي تشهد تحولات سياسية وأمنية.

2- اشكاليات عوامل الجذب الفكري والثقافي والاقتصادي والسياسي والديموغرافي

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية اساسية مفادها أن الهجرة تتناسب عكسياً مع عوامل الاستقرار السياسي ومعدلات النمو الاقتصادي، فكلما ازدادت الاضطرابات السياسية وفقدان الأمن، وغابت ثقافة المواطنة، كلما ازدادت هجرة المواطنين من بلدان الشرق الاوسط بشكل عام، والعراق تحديدا، تجاه البلدان الأكثر امنا وازدهارا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

اسئلة البحث: يهدف البحث للإجابة على بعض الاسئلة ومنها ما يلي :

1- **ما الهجرة؟ وما اسبابها؟**

2- هل هناك علاقة بين التنمية بكافة أشكالها وأنماطها وبين ظاهرة الهجرة؟

3-هل أن فقدان الامن وبروز ظاهرة الإرهاب سببًا في ازدياد ظاهرة الهجرة؟ خاصة بعد سيطرة المجموعات الارهابية على أجزاء من دول عربية ومنها العراق.

4- ما الهدف من تسهيل أو سماح الدول الغربية بفتح باب الهجرة لمواطني بعض الدول العربية والعراق؟ وما مدى تأثير ذلك على الجانب الثقافي والسكاني للدول الغربية؟

منهجية البحث :استعملنا في بحثنا هذا عدة مناهج علمية متعددة، منها :

1- المنهج التاريخي : وذلك عند التعقيب في المراحل الأولى والمتأخرة لتدفقات الهجرة.

2- المنهج الوصفي : عند تشخيص ظاهرة الهجرة في مراحل زمنية مختلفة.

3-المنهج التحليلي : لما يتطلبه البحث من تحليل وتفسير اسباب الهجرة وأبعادها وتداعياتها في الدول الأصل (الأم) وفي البلدان المستضيفة.

4- المهنج الاستشرافي : تم استعماله في المبحث الثالث من البحث، حيث قمنا بوضع سيناريوهات واحتمالات من المفترض أن شير الظاهرة باتجاهها من حيث التزايد والتراجع.

هيكلية البحث : يتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث، **المبحث الأول** ينقسم الى مطلبين تناول المطلب الأول الهجرة في إطارها العام، من حيث المفهوم والدلالات التاريخية والثقافية والدينية والقانونية مرورا بالهجرة وأقسامها والمفاهيم المرتبطة بها، ووصولا إلى أسبابها وبواعثها في المطلب الثاني .اما**المبحث الثاني** فينقسم ينقسم بدوره الى مطلبين كذلك، تناولنا فيه في المطلب الأول ارتدادات التحول السياسي الذي حدث عام ٢٠٠٣ وما تلاها من آثار وانعكاسات على المستوى البنيوي والمؤسساتي، بينما ناقشنا في المطلب الثاني الإشكاليات الداخلية والخارجية التي عززت من ظاهرة الهجرة في العراق، قبل ٢٠٠٣ وبعدها، وحاولنا عرض الإشكاليات وفق تسلسلات زمنية منطقية ومهنجة بحيث يصبح معها بالإمكان الربط بين تلك الإشكاليات وبين ظاهرة الهجرة نفسها. في حين يتكون **المبحث الثالث** هو الآخر من مطلبين، فخصصناه الدراسة مستقبل ظاهرة الهجرة في العراق وخصوصا

بعد اعلان تحرير الأراضي العراقية من سيطرة تنظيمات داعش الإرهابية، ناقش المطلب الأول منه احتمالية تزايد ظاهرة الهجرة، في حين ناقش المطلب الثاني احتمالية تراجعها، وفق تقارير ودراسات و مسوحات قامت بها المنظمة الدولية للهجرة في العراق.

المبحث الأول

التعريف بالهجرة ودلالاتها وأسبابها وآثارها في إطار نظري

يتناول المبحث الأول من هذا البحث، التعريف بظاهرة الهجرة وبيان أسبابها وآثارها في إطار نظري، والإحاطة بها والوقوف على حيثيات الظاهرة ودراستها بشكل عام، تمهيدا لدراسة الظاهرة في العراق بشكل خاص.

المطلب الأول/مدخل مفاهيمي

يستلزم البحث في موضوعة الهجرة، بيان مضامينها ودلالاتها في سياقات اللغة والإصطلاح، واستعمالاتها في الحقول المعرفية المختلفة، للوقوف على أبعادها بشكل واف ولكي يكون البحث منهجيًا ومتسلسلاً وتكون الأفكار فيه مرتبة ترتيبا منطقيا، وسنستعرض ابتداء مفهوم الهجرة لغة واصطلاحًا، ثم بيان مدلولاتها في إطار التاريخ والموروث الثقافي الإنساني، وكذلك في الأيديولوجيا الدينية، وبدلالة القانون الدولي، ومن ثم استعراض المفاهيم المرتبطة بالهجرة وصولا الى الهجرة وأقسامها.

أولاً: مفهوم الهجرة :لمفهوم الهجرة مدلولات واسعة واستعمالات متعددة، تستدعي دقة البحث الوقوف على جملة من هذه المدلولات والاستعمالات بشكل موجز ومختصر، يساعدنا معها على الإلمام والإحاطة بالظاهرة في إطارها النظري.

1- الهجرة في اللغة: للهجرة في اللغة العربية معان ومدلولات واسعة قد تدل تارة على السفر، وتارة على المباعدة وأخرى على الانقطاع، ومن هنا نجد أن مقتضى البحث يستدعي الرجوع الى المعاجم العربية للوقوف على المعنى الدقيق لمفردة الهجرة وبيان الأمثلة القرآنية وغيرها مما جاء في الأثر بخصوصها.

والهجر في اللغة ضد الوصل ، هَجَرَهُ يهجُرُهُ هجراً وهجراناً، والإسم الهجرة، والمهاجرة من ارض الى ارض، ترك الأولى للثانية. والتهاجر التقاطع[1].وقوله تعالى : (فالذِينَ هَاجَرُواْ وَأَخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا لِأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سيئاتهم)[2].

والظاهر أن المراد بالمهاجرة ما يشمل المهاجرة عن الشرك والعشيرة والوطن وذلك لإطلاق اللفظ، ولمقابلته قوله : (واخرجوا من ديارهم) وهو هجرة خاصة[3]. وكذلك قوله تعالى (واهجروهن في المضاجع)[4]. أي قاطعوهن واعتزلوهن في الفراش[5].

وفي كلِّ الأحوال، فإنَّ ما يفهم من مفردة الهجرة بنحوٍ عام، هو ما يشير اليه المعنى من حيث المغادرة والانتقال من أرض الى أخرى، والسفر الى اجلٍ غير قريب او غير معلوم، مهما كانت أسبابه وبواعثه وكيفياته.

---

[1] مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح الكويت دار الرسالة، ١٩٨٢م، ص ٦٩٠.

[2] ال عمران / الاية 195.

[3] مُحَمَّد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القران ، ج4 ، بغداد ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، ص77.

[4] النساء / الاية 34 .

[5] مُحَمَّد هويدي ، التفسير المعين ، بغداد ، دار السجاد ، ط1 ، ص84 .

2- الهجـرة في الاصـطلاح : للهجـرة في الإصـطلاح مضـامين ومـدلولات مختلفـة باخـتلاف العلـوم والاختصاصات التي تتناولها، كما إنه لا يوجد تعريف نظري معين يخص الهجرة الدولية أو إطار مفاهيمي واحد تحصل على الإجماع، ويرجع ذلك إلى عدم بلورة ما يسميه الاقتصاديون وعلماء الديموغرافيا والاجتماع بـ الأبعاد النظرية للهجرة [1].

فالهجرة في نطاق النظرية الاقتصادية هي علاقة تاريخية للتبعيـة الاقتصـادية المتبـادلة بـين مجتمعـات المركـز ومجتمعات الأطراف [2].

ويلاحظ من هذا التعريف تفسيره للعلاقة بين طرفي خط سير الهجرة تفسيرا رأسيا يسير في اتجاه واحد، في حين أن الأنماط الحركية للهجرة قد تسير في اتجاه واحد من الدول المتأخرة إلى الدول المتقدمة وقد تسير في اتجاهين بحركة تبادلية بين الدول المتقدمة. والهجرة في علم السكان (الديموغرافيا) هي عملية انتقال للأفراد والجماعات من مكانهم الأصلي الذي يعيشون فيه الى منطقة أخرى، واجتياز اما حدودا ادارية أو دولية بين المنطقتين والإقامة في المكان الجديد لفترة زمنية معينة[3].

ويلاحظ أيضا من هذا التعريف إغفاله لأسباب وبواعث وقوع الهجرة ووصفه لهذه الظاهرة - ظاهرة الهجـرة - كـما هي عليـه دون التعـرض الى تحليلهـا واستقراء الآثار والنتائج المترتبة عليها.

وعند دراسة الاتجاهات السوسيولوجية التي عالجت موضوع الهجرة يتضح لنا ثلاثة اتجاهات رئيسية وهي:

الاتجاه الوضعي : إن الأفراد في هذا التصور يستجيبون لمتطلبات مجتمعهم، ويرى عالم الاجتماع الفرنسي- (دور كايم) إن الظواهر الاجتماعية لها من السلطة ما يجعلها قاهرة وملزمة للأفراد وأن هناك قوة دافعة للأفراد هي التي تفرض الهجرة.

الاتجاه المادي التاريخي : ينطلق هذا الموقف في تفسير عملية الهجرة من خلال مقاربة التوزيع غير المتكافئ لعوامل الإنتاج، بحيث أن هناك مناطق تعتبر أكثر غنى من مناطق اخرى، ولذلك تنطلق اليد العاملة تطلعا للحصول على أجر أفضل. وهذا الاتجاه يتبناه الفكر الماركسي في تفسيره للبنى الاجتماعية للنظام الرأسمالي:

الاتجاه الفردي : يقول الكاتبان (كوبات ونوفمان نوتني) و إن الهجرة هي عرض من أعراض تلاشي أو ضعف الضغط الاجتماعي الذي يمارسه المجتمع على أعضائه . أيضا هي عملية مقاومة لجميع أنواع الضبط الاجتماعي لأنها تهم فئات اجتماعية من خصائصها المقاومة والمغامرة ألا وهي فئـة الشـباب الأصحـاء ومحـبي المغـامرة والاستطلاع[4] .

---

[1] إدريس بو سكين، أوربا والهجرة: الإسلام في أوربا، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2013، ط1، ص15.

[2] عبد القادر حماد وآخرون، دراسات في الجغرافيا البشرية، عمان، دار فضاءات، ص115.

[3] خالد الوحيشي، الهجرة والأسرة: حالة البلدان العربية المرسلة للعمالة، الاسكوا، 1998، ص9.

[4] (1 مدونة علم الاجتماع المغربي، سوسيولوجيا الهجرة، مقال منشور على شبكة الانترنت، بواسطةProfpress Act ، بتاريخ ١٤ / سبتمبر /2014

https://sociologiemeknes.blogspot.com/2014/09/sociologieimmigration.html :انظر

ورغم عدم وجود تعريف متفق عليه قانونا فقد عرفت الأمم المتحدة المهاجر على أنه" شخص أقام في دولة أجنبية لأكثر من سنة بغض النظر عن الأسباب سواء كانت طوعية أو كرهية، وبغض النظر عن الوسيلة المستخدمة للهجرة سواء كانت نظامية أو غير نظامية"[1].

ثانيا : الهجرة بدلالة الإطار التاريخي: يمكن تقسيم الإطار التاريخي للهجرة البشرية الى ثلاثة أطوار دلالية تختلف وتتمايز فيما بينها بحسب كل طور ومعطياته وسماته وخصائصه، ويمكن إيجاز هذه الأطوار الثلاثة كالأتي:

الطور الأول (هجرات ما قبل التاريخ): يعود تاريخ الهجرة الى العصور القديمة وفترة ما قبل التاريخ، حيث بدأت تحركات الجماعات البشرية منذ حوالي مليون سنة مضت، وذلك مع انتقال الإنسان المنتصب Erectus) Hemo de H خارج افريقيا متجها نحو آسيا ثم أوروبا ليغزو العالم.

وتظهر تنقلات اسلافنا منذ بداية الخطوات الأولى للبشرية في وسط افريقيا وفي مناطق آسيا حيث بدأت الرحلة الأولى للإنسان على الشاطئ الهندي، ومنذ نحو ١٤٠ الف سنة مضت بدأ التوسع عبر آسيا، حيث عبرت الجماعات البشرية سهول إيران واجتازت الطرق الجبلية في آسيا الوسطى والجنوبية، ثم عبرت جنوب شرق آسيا للوصول الى استراليا[2].

أما الهجرة من جنوب شبه الجزيرة العربية نحو الشمال، فقد بدأت منذ حوالي ٨٠ الف سنة مضت، لكن الحواجز والطبيعة المناخية القاسية أخرت حركة البشر للوصول نحو أوروبا الى فترة تتراوح بين ٢٠ الف و ٥٠ الف سنة مضت، وذلك بحسب ما بينته شجرة الأسلاف الجينية الآسيوية الأم، حيث تم انتظار تغير المناخ الجاف والبارد الى حار ورطب حيث بدأت مرحلة الاخضرار في مناطق الصحراء السعودية وصحراء النقب، وهي كانت كافية لفتح أبواب منطقة الهلال الخصيب أمام عبور البشر الأوائل نحو الشمال الغربي، وكذلك نحو بلغاريا وجنوب أوروبا، بينما سار أبناء عمومتهم على طريق الشاطئ نحو الهند واستراليا كما مر ذكره.وبالتزامن مع هذه التدفقات، فقد تحركت مجموعة ثانية من المهاجرين من جنوب آسيا عبر نهر الهندوس وجبال كشمير وسارت عند أطراف آسيا الوسطى باتجاه الشمال الغربي، وذلك منذ نحو ٤٠ الف سنة مضت، وقد ضمّت هذه التحركات مجموعة من الصيادين المهرة الذينتمرسوا في صيد حيوان الماموث، وساروا عبر اراضي جمهورية التشيك الى المانيا لينتشروا في أوربا[3].

ثم وصل البشر إلى الأمريكيتين قبل عشرين الف سنة، قادمين من آسيا، وعبروا على الأقدام بما يسمى اليوم بمضيق بيرنغ (BERING) كان ذلك خلال العصر الجليدي الأخير حيث كان مستوى البحر ادنى، وعندما ارتفع مستوى البحر انعزل هؤلاء البشر عن بقية البشرية التي لن تلتحق بهم في قارتهم إلا في بداية

[1] انظر : الموقع الرسمي للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين. https://refugeesmigrants.un.org/ar/definitions

[2] علي فاعور ، الهجرات الدولية : الهجرات البشرية منذ فجر التاريخ ، بيروت ، منشورات الجامعة اللبنانية/ قسم الدراسات الجغرافية، 2016، ط1، ص26-28.

[3] المصدر السابق نفسه، ص65-66.

القرن السادس عشر من عصرنا، وفي الفترة ذاتها جاء السكان الأصليون الاستراليون من القارة سيرًا على الأقدام، قبل أن ينعزلوا هم بدورهم.[1]

وفي كافة المراحل السابقة كان الدافع الوحيد الذي أرغم البشر الأوائل على التحرك وفتح الآفاق في هذا الطور من الهجرة هو كسب العيش والزراعة والصيد، عندما كانت الحياة البشرية عفوية وغير منتظمة، ولم يكن هناك بعد أي هاجس بشري سوى محاولة البقاء على قيد الحياة، وقد أنت هذه الهجرات الفوضوية الى كوارث بيئية وانقراضات لأنواع حيوانية متعددة، وذلك بسبب طرق الصيد البدائية التي اعتمدها البشر الأوائل.

الطور الثاني (الهجرة في التاريخ القديم): بعد تعاقب الأجيال البشرية السابقة وتراكم الخبرات والثقافات واتساع الرصيد المعرفي في الممارسة البشرية ظهرت الحضارة الإنسانية الأولى، وعبر الإنسان عن نفسه بأسلوب جديد ومنظم في تكوين اجتماعي يدير شؤونه الخاصة والعامة، فظهرت أولى معالم الدول والممالك. ففي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد ولدت اربع حضارات : ما بين النهرين ووادي النيل والهند والصين[2]، وقد جمعت كل منها عشرات الملايين من السكان، وهي على اتصال ببعضها البعض، وبين هذه المراكز الأربعة جرت عمليات هجرة فردية وجماعية لأغراض متعددة، منها ما يخص التجارة والقوافل وتبادل المبعوثين منها ما يخص الغزو والحرب والتوسع بين تلك الممالك والدول.

حتى أن شعوب ما بين النهرين أوصلتهم الحاجة الملحة للتنقل والترحال الى اختراع البوصلة، وكانوا يستخدمونها أثناء تنقلهم لمعرفة اتجاه الشمال وحساب مدة أسفارهم، وكانت هذه الحضارات الأربع النواة الأولى لتشكل الحضارات اللاحقة كالحضارة الرومانية واليونانية والفينيقية شمال البحر المتوسط، والإمبراطورية الفارسية شرق الفرات قبل حوالي ٨٠٠ سنة قبل الميلاد.

وهكذا فقد انفتحت البحار الساحلية أمام الإنسان في تلك الفترة، لأسفار طويلة بعد افريقيا والهند والبلطيق، ويعود تاريخ أولى الخرائط البحرية الى تلك الحضارات اللاحقة، وبينما كان التجار الإغريق والفينيقيون يقطعون البحار لغرض التجارة، كانت الإمبراطوريات الرومانية والفارسية تخوض الحروب والمعارك وتغزو المستعمرات وتتقدم الجيوش من منطقة إلى أخرى لتترك وراءها أثرا إنسانيا ودلالة تحدث التاريخ بقصة انتقال الإنسان من ارض الى ارض.

والملاحظ في هذا الطور من الهجرة هو ظهور القوارب والسفن الشراعية كوسيلة أساسية للتنقل والملاحة بين الدول والإمبراطوريات واستخدامها كذلك كأداة للحرب.

الطور الثالث (الهجرة في التاريخ الحديث):

بينما كان كريستوف كولومبس يحاول إثبات كروية الأرض من خلال الإبحار نحو الغرب عبر المحيط

---

[1] جان كلود بارو وغيوم بيغو، التاريخ الكامل للعالم: منذ ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا، ترجمة: لحسن عيساني، بيروت، دار الفارابي، 2008، ط1، ص20.

[2] المصدر السابق نفسه، ص30.

الأطلسي، منع مراكبه الثلاثة ذات الأربع صواري حاجز مفاجئ ألا وهو أميركا، وقد وطئتها قدما كولومبس يوم ١٢ أكتوبر ١٤٩٢م.ولم يكن يدرك للتو أنه في قارة جديدة، حيث تخيل نفسه في الهند، ومن هنا جاءت تسمية السكان الأصليين "هنوداً، ولا يجب الخلط بين الهنود الأمريكيين وبين سكان الهند، ولكن جغرافياً المانياً هو الذي فهم الأمر واعطاها اسم بحار بندقي في الخدمة الإسبانية (Amerigo) ألا وهو أميريغيو فيسبوتشيو[1].

ومع انتشار الثورة الصناعية في أوروبا، والتقدم السريع في تكنولوجيا النقل، بدأت الهجرات الجماعية في العالم مع بداية القرن التاسع عشر، وغمرت تدفقات الهجرة مختلف المناطق في القارة الامريكية (أمريكا اللاتينية)، وحتى الأماكن البعيدة بين شمال القارة وجنوبها، وذلك للبحث عن أسواق جديدة، ونقل العمال للعمل في المصانع لدى الشركات الكبرى، وفي منتصف القرن التاسع عشر، بدأت مرحلة الهجرات الطوعية للجماعات والافراد الى اميركا، فقد غادر اوروبا بين ١٨٤٦م و ١٨٩٠م حوالي ١٧ مليون شخص اتجهوا الى العالم الجديد[2]. وتميزت خلال هذه الهجرة الكبرى الى الولايات المتحدة مرحلتان متباينتان من حيث العدد والقوام ومن حيث تنوع أشكال الإستيطان : معدل سنوي لا يتجاوز ٤٠٠ الف مهاجر في الفترة من ١٨٢٠م و ١٨٨٩م، استولت على الحدود واستوطنت الأراضي، ومعدل سنوي قارب المليون مهاجر في الفترة ١٨٩٠م و ١٩١٤م سادت فيها أعمال البناء والمناجم والصناعة[3].

لكن أعلى موجات الهجرة من أوروبا حدثت خلال الفترة الممتدة بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ١٨٩١ (١٩٢٠)، حيث أن حوالي ٢٧ مليون شخص غادروا اوروبا وبخاصة من دول جنوبي أوروبا واوروبا الشرقية، وقد مثل هذا العدد نسبة كبيرة من سكان

هذه البلدان التي خسرت الكثير من الأفراد العاملين في الزراعة[4].

لقد مثلت فترة الحرب العالمية الأولى مرحلة نهاية الهجرات الجماعية الكبيرة، نتيجة التدابير والقوانين الجديدة المتعلقة بالحد من الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وبشكل عام، وخلال الفترة الممتدة بين ١٨٤٦ - ١٩٣٩م غادر حوالي ١٥ مليون شخص مختلف بلدان اوروبا، وقد اتجهت موجات الهجرة نحو الولايات المتحدة (٣٨) مليون) كندا (٧) مليون) الأرجنتين (٧) مليون)، البرازيل (٤,٦) (مليون)، ثم استراليا ونيوزيلندا، وجنوبي افريقيا (٢,٥) مليون[5].

لقد كانت أميركا خلال تلك الفترة بمثابة المكان الأفضل وفردوس الحرية بالنسبة للمزارعين والعمال والأقليات الدينية والفئات المضطهدة، وقد أحدثت هذه الهجرات الجماعية تحولاً عميقا وواسعا في توزيع السكان والنشاط الاقتصادي العالمي.

---

[1] جان كلود بارو وغيوم بيغو، مصدر سابق، ص123.

[2] علي فاعور، مصدر سابق، ص154-155.

[3] باولا كورتي، تاريخ الهجرات الدولية، ترجمة: عدنان علي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2011، ص62.

[4] علي فاعور، مصدر سابق، ص157.

[5] المصدر السابق نفسه، ص158.

ومع هيمنة الحركة عبر المحيط خلال الهجرات الجماعية الأولى، لم تكن الهجرة داخل اوروبا أقل شأنا، ولاسيما في بعض البلدان، ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت تمثل مصادر الهجرة بالمناطق الأكثر تخلفا من الناحية الاقتصادية، إذ توجه المهاجرون من هذه المناطق نحو البلدان الأكثر نموا، وكانت إيطاليا البلد الذي قدم منه العدد الأكبر من المهاجرين داخل البلدان الأوروبية، انطلاقا من العقد الأخير من القرن التاسع عشر، فقد زودت إيطاليا أوروبا بما يقرب من مليون مهاجر في الفترة من ١٨٩١م والى ١٩١٣ فقط، وقد استهدف المهاجرون الإيطاليون بصورة خاصة فرنسا وسويسرا، وكانت هذه الأخيرة في الفترة من ١٨٦٠ و ١٩٣٠ البلد الأوروبي الأكثر احتضانا للأجانب، إذ كان ما يزيد عن ١٤% من مواطنيها في العام ١٩١٠ من أصول أجنبية في حين لم يكن المعدل الاوروبي من حيث حضور الأجانب يتجاوز ٢%% في الفترة ذاتها[1].

وشملت تدابير الإخلاء والطرد أثناء الحرب العالمية الثانية مختلف عمليات الترحيل الإجباري والإجلاء الجماعي، وتشريد الناس، وذلك نتيجة اعمال العنف الجارية بين قوات الحلفاء والمحور، ثم عمليات تغيير الحدود ورسم حدود جديدة للدول الى ظهور نوع معين من الهجرة يُعرف باسم (الهجرة القسرية [2]، أدت الى تغيرات بارزة وهجرات واسعة في اوروبا. ويمكننا القول بأن السمة البارزة في هذا الطور من أطوار الهجرة البشرية هي سمة الهروب من المجاعات والأمراض التي ضربت القارة العجوز أثناء الحروب والنزاعات وبداية هجرة اليد العاملة .

المطلب الثاني/ اسباب وآثار الهجرة

اولاً: اسباب الهجرة

1- الأسباب السياسية والأمنية :يأتي الاضطهاد السياسي الذي تمارسه الأنظمة التعسفية في مقدمة الأسباب السياسية التي تدفع بالأفراد للهجرة خارج بلدانهم، وحيث أن هذه الأنظمة لا تسمح بحرية التعبير والصحافة، ولا تؤمن بالتعددية وتكوين الأحزاب السياسية، ولا تفسح المجال أمام المواطنين للإنخراط في العمل السياسي وضمان حقوقهم في المشاركة السياسية، فإن الأفراد في مثل هذه الأنظمة يتراجع لديهم الشعور بالمواطنة والفاعلية والقدرة على التأثير في صنع القرار السياسي، مما يدفع بهم شعورهم بالاغتراب والتهميش السياسي الى الهجرة الى الدول الأكثر ديموقراطية.

كما تؤدي الحروب والصراعات السياسية وانعدام الاستقرار السياسي، والتحولات السياسية العنيفة، وغيرها من الاسباب الكثيرة الى خلق بيئة سياسية واجتماعية طاردة للأفراد ومعززة صفات تكاد تكون ملازمة لدول العالم الثالث، حيث تدفع كل هذه الظواهر الأفراد للهجرة، وهي الى مغادرة بلدانهم والتوجه الى بلدان أكثر تقدما واستقرارا.

---

[1] باولا كورتي، مصدر سابق، ص66-67.

[2] : ممارسة تنفذها حكومات أو قوى شبة عسكرية أو مجموعات متعصبة تجاه مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية بهدف إخلاء مجاميع سكانية أخرى بدلا عنها. F0RCED MIGRATION) الهجرة القسرية (

2- الأسباب الإنسانية :تشكل موضوعة احترام حقوق الإنسان فارقًا أساسيًا بين الدول المتقدمة والدول المتأخرة، بحيث أنه لا يمكن وصف دولة ما بأنها "متقدمة مالم تكن ترعى الحقوق الإنسانية بالدرجة الأساس، وتسعى الى تنميتها وتعزيزها وترسيخها ثقافيًا ومؤسسيًا، وبالمقابل فإنه ليس من المتوقع في الدول ذات الأنظمة التعسفية والدكتاتورية أن تقيم وزنا لهذه المسألة، وحيث أن من مظاهر هذه الأنظمة هي العبودية والاضطهاد والتعذيب واللامساواة وانتهاك حقوق الإنسان وانتشار الحروب والمجاعات والأوبئة والتعدي على الكرامة الإنسانية.لذلك فإن كل هذه الأسباب وغيرها تشكل دافعا إنسانيا للأفراد للهجرة من بلدانهم الى الخارج من اجل الحفاظ على حقوقهم الإنسانية وصيانة كرامتهم وحقهم في حياة تليق بإنسانيتهم ووجودهم الأدمي.

3-الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية:تعد البطالة، وانخفاض مستوى الأجور من أهم الأسباب الاقتصادية التي تدفع باتجاه الهجرة من البلدان الفقيرة إلى البلدان المزدهرة، فحين تعجز الحكومات عن توفير فرص العمل للعاطلين وحين تنخفض مستويات الدخل الى حدود متدنية، يصبح من الصعوبة بمكان الاستمرار في نفس النمط المعيشي ـ الذي تفرضه الظروف الاقتصادية، مما يضطر المواطنين الى الهجرة أملا في ظروف معاشية أكثر رفاهية، وفرص عمل افضل.

وبشكل عام، يمثل الفقر وانتشار البطالة، الدافع الرئيسي في تنقلات الهجرة للبحث عن الرزق، ففي الهند مثلا/ يعيش نحو ٩٠٠ مليون نسمة، في أفقر الولايات والمقاطعات، على أقل من ٢ دولار في اليوم، كما يعتبر الفقر في عدة بلدان بمثابة المحرك لتحسين مستوى المعيشة، معا يشجع السكان على الهجرة، كما يحدث في باكستان ومصر ـ والعراق والكونغو الديموقراطية[1].وترتبط الهجرة بعوامل التنمية ارتباطاً وثيقا، حيث أن التنمية بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية، تؤثر في تشكيل الهجرة، ومن العوامل المؤثرة في حركة الهجرة، يبرز دور نظم الرعاية الاجتماعية، وهذا ما يحدث بالنسبة لتدفقات الهجرة الداخلية في اوروبا، ذلك أن نظم الرعاية في أوروبا الوسطى والشرقية، تبدو نسبيًا غير كافية للحد من حركة المهاجرين الشباب[2]. واضافة الى موضوعة التنمية، هناك موضوعة اخرى لا تقل تأثيرا في تشكيل موجات الهجرة، الا وهي موضوعة العولمة.

وتعتبر العولمة من أكثر العناوين والمصطلحات استخدامًا في عصرنا الحاضر، بل أكثر قضايا العصر ـ المثارة على نطاق العالم الواسع، ورغم كثرة ما كُتب فيها لم يتفق الباحثون والمفكرون على تعريف واحد لها وتعددت مناهج الباحثين في تعريفها، فتناول البعض ابعادها، في حين حاول البعض أن يعرفها بتعريفات تنسجم مع توجهاته ومنطلقاته الفكرية، أحد وموقفه منها من حيث الرفض والقبول.

4- الأسباب الدينية والأيديولوجية :قد ينتقل اتون الصراع من مسرح الأفكار والأيديولوجيات والتنظير الى مسرح الواقع فيترجمها الأفراد والجماعات الى حروب

---

[1] علي فاعور، السكان والهجرات الدولية/ شيخوخة السكان وتوسع آفاق الهجرة، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية/ قسم الدراسات الجغرافية، 2016، ط1، ص363.

[2] المصدر السابق نفسه، ص365.

ونزاعات مسلحة، أو الى شكل من أشكال الاضطهاد الديني والعرقي والإثني الممنهج، يُمارس على مجموعات أو أقليات معينة، يؤدي إلى قرار هذه الأقليات وهروبها من أتون هذا الإضطهاد الى البلدان التي توفر لها حرية التفكير والعقيدة وتحترم حقها في الحياة والعبادة.وقد شهدت القارة الأوروبية على سبيل المثال موجات هجرة واسعة أبان فترة الحرب العالمية الثانية، منها ترحيل اليهود من بولندا على أسس دينية وعرقية، وكذلك ترحيل البولنديين والألمان وغيرهم.

ففي عام ١٩٣٩ تم نقل ١٠٠ الف يهودي من اراضي بولندا، وتم ترحيل أكثر من ٥٠ من الجاليات اليهودية بشكل كامل أو جزئي الى الخارج، وفي أواخر عام ١٩٤٠ طردت السلطات الألمانية حوالي ٣٢٥ الف شخص دون سابق إنذار، وصودرت ممتلكاتهم [1].

كان هناك اكثر من ٤٠ مليون شخص من المشردين في اوروبا فقط وفقا للتقديرات في آيار/ مايو ١٩٤٥ [2].كما شهد القرن العشرين ايضا زيادة في تدفقات الهجرة في العديد من الدول الفقيرة والنامية وبخاصة في افريقيا وآسيا، منها حركة انتقال المسلمين من البلقان الى تركيا، ثم هجرة المسيحيين اثناء انهيار الامبراطورية العثمانية، كما أدى تقسيم فلسطين إلى هجرة نحو ٤٠٠ الف يهودي، معظمهم جاء من اوروبا الى فلسطين، كما أدت الحرب الأهلية الروسية الى هجرة حوالي ملايين من الروس والبولنديين والألمان من الاتحاد السوفيتي [3].

ثانيا : آثار الهجرة

1-اثر الهجرة على الدول الأصل (الأم) :يمكن أن تؤدي الهجرة الى خسارة بعض البلدان الفقيرة، الجزء الأكبر من مواردها البشرية النادرة والأكثر قيمة بحيث أن الكلفة الباهظة التي تنفق على تعليم الطبيب أو المهندس، أو غيرهم من اصحاب الكفاءات العالية تعتبر نتيجة الهجرة، خسارة كبيرة عندما تصرف مهاراتهم في الخارج.وهذا النوع من الهجرة والذي يسمى بـ (هجرة الأدمغة) يكون أثره سلبيًا على الدول المرسلة وإيجابيًا للدول المضيفة، فهي ستستفيد من هذه الخبرات والكفاءات بشكل كبير وبكلف وجهود قليلة.

وتتزايد هجرة الأدمغة نتيجة رغبة المتعلمين من السكان الذين يريدون كسب المزيد من الثروات وتوسيع خبراتهم، وهي تعتبر بشكل آخر استجابة للمغريات التي تقدمها الدول الغنية لتجنيد الخبرات المهنية، وفي بعض الأحيان تحقق الدول هذا الهدف من خلال جذب الطلاب الاجانب وتجنيدهم للإقامة بشكل دائم.

كما أن الهجرة قد تتسبب بوقوع ثغرات اجتماعية بين طبقات وشرائح المجتمع في الدول المرسلة، كون أن اغلب المهاجرين هم من فئة الشباب ممن يرغبون في ايجاد فرص عمل افضل في الدول المضيفة، مما يؤدي الى وجود ما يسمى بشيخوخة المجتمع، أي هيمنة الفئات العمرية الكبيرة عدديًا على الفئات الشبابية الصغيرة، وهو ما يؤدي بدوره الى تراجع النشاط الانتاجي للمجتمع بسبب قلة الطاقات الشبابية المنتجة فيه.

والى جانب هذه الآثار، هناك العديد من الآثار الأخرى المرتبطة بالتماسك الاجتماعي والوطني، وضعف الروابط الأسرية وغيرها.وهناك أثر ايجابي فيما يخص الهجرة

---

[1] علي فاعور، الهجرات البشرية منذ فجر التاريخ، ص226.

[2] المصدر السابق نفسه، ص227.

[3] المصدر السابق نفسه، ص234.

بالنسبة للدول المرسلة يتعلق بما يعرف بالتحويلات المصرفية. إن الميزة الرئيسية للهجرة بالنسبة للبلدان المرسلة هي أن الكثير من المهاجرين يرسلون الجزء الاكبر من مدخولهم الى بلدانهم الأصلية على شكل تحويلات، مما يساعد على تأمين العملات الاجنبية، التي تشتد الحاجة اليها في الداخل، مما يخفف من حدة البطالة.

٢- اثر الهجرة على الدول المضيفة: تعد الآثار السياسية في مقدمة الآثار التي أصبحت تمثل هاجساً يدعو للقلق بالنسبة للدول المضيفة، فالأخطار التي تكمن وراء تدفق مئات الآلاف من الأفراد بطريقة تتسم بالغموض وخارج الأطر القانونية، وخارج المنافذ المحددة لعبور الأشخاص، تؤثر على العلاقات السياسية المتبادلة بين الدول، وتشكل أداة خطيرة للعبث بالأمن الوطني ووسيلة لتهديد الاستقرار الداخلي لهذه الدول.

وتمثل الاخطار التي تحدث جراء التدفقات البشرية الكبيرة المتمثلة بالهجرة غير الشرعية عبئاً ثقيلاً على دول المصدر وعلى دول العبور وعلى دول الوصول، وما تحمله هذه التدفقات التي تختلف في طبيعة شخصيتها وثقافاتها ومقاصدها من تهديدات على الأمن السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وعلى التركيبات الديموغرافية للبلدان المضيفة، ومع وضع الدول الكبرى القيود على الهجرة يضطر الحالمون للهجرة غير المشروعة [1].

على أنه ينبغي أن نشير الى أن الأمر لا يخلو من آثار سلبية، متمثلة في تفاقم مشكلة البطالة في هذه الدول لعدم توفر فرص عمل لأبناء البلد نفسه، أما لتزايد اعمال المهاجرين، أو لتميزهم وتفوقهم في كثير من الأعمال والحرف وتمسكهم بالفرص التي تتاح لهم [2].

3- مشكلة الاندماج : يعاني المهاجرون بشكل عام والقادمون من الثقافة العربية والإسلامية بشكل خاص من الخوف من تمزق الهوية والضياع في البلدان الغربية التي يعيشون فيها، وهذا ما يسمى بمشكلة الإندماج.

وهناك أشكال متعددة لمشكلة الاندماج منها الاندماج الاجتماعي والاندماج الثقافي والأيديولوجي وغيرها من أشكال الانخراط والذوبان في التركيبة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المضيفة [3].ولا تزال مشكلة الاندماج واحدة من أكثر المشاكل تعقيدًا في عالم اليوم، بسبب التراكمات الثقافية والأيديولوجية للمجتمعات المضيفة ولاسيما في أوروبا.

ففي أوائل التسعينيات، كان الزعماء السياسيون الأوروبيون ينافسون بعضهم البعض في الاستجابة للشعور المعادي للهجرة، في فرنسا أعلن "جاك شيراك" في سنة ١٩٩٠ أن الهجرة يجب أن تتوقف تمامًا"، وطالب وكيل وزير الداخلية "شارل باسكوا" في سنة ١٩٩٣ بنسبة هجرة صفر".وفي المانيا، عبر المستشار "هيلموت "كول وغيره من الزعماء السياسيين عن قلقهم بخصوص الهجرة، ومع تخفيض قيود الحركة داخل

---

[1] حمدي شعبان ، الهجرة غير المشروعة الضرورة والحاجة ، بحث مقدم الى مركز الإعلام الأمني في أكاديمية الشرطة ، جمهورية مصر العربية .

[2] حمدي شعبان، المصدر السابق .

[3] علاء ناجي ، النازحون بين الاندماج الاجتماعي والاستبعاد الاجتماعي ، مقال منشور على شبكة النبأ المعلوماتية ، السبت 30 تموز 2017 انظر :
HTTPS://ANNABAA.ORG/ARABIC/STUDIES/1
1958

الاتحاد الأوروبي، أصبحت المخاوف البريطانية مركزة الى حد كبير على هجرة غير الأوروبيين من القارة[1].وهذه المخاوف هي في جوهرها تجسيد جوهري لتباينات ثقافية وفكرية وأيديولوجية وعرقية بين المجتمعات المختلفة ، يعبر عنها دلاليا بـ "مشكلة الإندماج. ومن كل ما تقدّم، يتضح لنا أن للهجرة مع اختلاف اسبابها وبواعثها، جملة من الآثار والنتائج التي تكون في جوانب منها سلبية تؤثر في التركيبة الديموغرافية والبنية الاجتماعية والاقتصادية للدول والمجتمعات وجوانب أخرى ايجابية لما لها من فوائد اقتصادية وفكرية تعود على الأفراد المهاجرون أنفسهم، وللدول الأصل والمستضيفة لما يحدثه المهاجرون من تحريك للسوق الاقتصادي والمالي، ومن تلاقح فكري ومعرفي وملعوماتي.

المبحث الثاني
ارتدادات التحول السياسي على الوضع العراقي بعد عام ٢٠٠٣

هناك جانب اخر مهم من فواعل الهجرة تتمثل بالارتدادات والتغيرات التي حدثت في المنطقة العربية بدءاً من التحول السياسي في العراق بعد عام ٢٠٠٣ بالرغم من ان فواعل الهجرة بدأت في العراق قبل هذه التاريخ بكثير، من هنا نحاول في هذا المبحث دراسة ارتدادات التحول السياسي على الوضع العراق وذلك عبر المطالب الاتية :

المطلب الأول/ الفراغ البنيوي - المؤسساتي

لقد أدى دخول القوات الأمريكية الى الأراضي العراقية عام ٢٠٠٣ وإسقاط النظام في بغداد الى إسقاط كل البنى والمؤسسات والإدارات المرتبطة بهذا النظام بشكل فوري وكامل، وهو الأمر الذي كان بمثابة الهفوة الكبرى في الاستراتيجية الأمريكية في العراق بعد ٩/٤/٢٠٠٣.وهو ما تؤكده الخبيرة البريطانية في شؤون الشرق الأوسط (إيما سكاي) في كتابها "الإنهيار" حيث تقول في معرض وصفها للرؤية الأمريكية في العراق بعد إسقاط نظام صدام حسين : لا شيء مما حدث في العراق بعد إزاحة صدام حسين عام ٢٠٠٣ يمكن وصفه بأنه خضع للإعداد والتخطيط المسبق، ولم يكن هناك أي شيء حتمي أجبر الأحداث كي تمضي بما صارت اليه في ارض الواقع "[2].

إن هذا الفراغ الكامل في البنى والمؤسسات العراقية الذي أحدثه القرار السياسي - العسكري الأمريكي، أدى الى خلق فجوة كبيرة في المشهد العراقي، سعى الى شغلها كثير من الجهات والاتجاهات بما يصب في مصالحها، وكان لهذا الأثر الكبير الذي اضطراب الأوضاع وعدم استقرارها فوجد الكثير من ابناء البلد أنفسهم أمام خيار البقاء والاستسلام للمصير المجهول، أو الهجرة الى خارج العراق وإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

---

[1] صموئيل هنتغتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعت الشايب ، دار سطور ، 1999،ط2،ص324.

[2] إيما سكاي ، الانهيار الامال الكبيرة والفرص الضائعة في العراق ، ترجمة : قيس قاسم العجرش ، ط1 ، دار الرافدين ، لبنان / كندا ، 2016 ، ص17.

ومن هنا نجد من الضرورة بمكان الإشارة الى مجموعة من الآثار والإنعكاسات التي خلفها دخول القوات الأمريكية وما تسببت به من فراغ سياسي وأمني وكذلك اقتصادي واجتماعي وثقافي.

اولا: الفراغ السياسي: لم يكن ما حدث في العراق بعد عام ٢٠٠٣ تحولاً سياسيًا بالمعنى التقليدي للكلمة، وهو ذهاب نظام سياسي ومجيء نظام آخر ليحل محله، مهما اختلفت الكيفية التي ذهب بها ذلك النظام وأتى بها هذا، سواء كان سلميًا، من خلال التداول السلمي للسلطة عن طريق الانتخابات أو عنيفا، من خلال الثورات أو الانقلابات أو ما شابه.

لقد تم تصميم ذلك التحوّل خارجيًا في غرف صناعة القرار الأمريكية، ولعل هذا الأمر كان يستلزم دراسة أكثر عمقا وشمولية للوضع العراقي الداخلي اقتصاديا واجتماعيا وفكريا، ومما زاد من صعوبة الأمر أنه تم إسناد هذا التحول الكبير الى جهات وإدارات عسكرية بعيدة عن أجواء السياسة والتفاوض ووضع البدائل السياسية.ولقد خلق هذا الأسلوب العسكري في التنفيذ إرباكا في عملية إدارة الدولة بمختلف قطاعاتها، وقلص من فرص إيجاد البدائل المناسبة لملء الفراغ السياسي في كافة مفاصل الدولة وسلطاتها، وقد كان تولي الحاكم العسكري (بول بريمر) الذي لم يسبق له زيارة العراق، والذي لا يعرف حتى التكلم باللغة العربية، وليست لديه الخبرة في العمل في مثل هذه الظروف، بمثابة تأكيد على هذا الإرباك والتخبط في الإدارة الأمريكية للعراق.

"كانت المشكلة المبدئية التي تواجه الأمريكيين هي عملية إيجاد أشخاص شرعيين لتولي مسؤولية النواحي العامة، وخلال عقود وجيلاً بعد آخر، خسر العراق الطبقة الوسطى في مجتمعه عبر الحروب المتتالية والتوترات والعقوبات التي استمرت طويلا. الكثيرون منهم قتلوا من قبل النظام، بينما فضل الآخرون اللجوء الى المنافي على البقاء مطاردين داخل بلدانهم، أما القادمون من الأحزاب السياسية المعارضة فمشكلتهم أنهم بلا خبرة، وكانوا مجهولين من قبل افراد الشعب العراقي ولا يعرفهم احد تقريبا. لقد اختارت سلطة الائتلاف أن تحكم العراق بطريقة مباشرة وعبر تعيين إداريين يباشرون القضايا بأنفسهم"[1].

هكذا كانت تجري الأمور بحسب ما أوردته السيدة (سكاي) التي كانت تعاصر الأحداث أولا بأول كمستشارة سياسية للجيش الأمريكي من جانب، وكمراقبة للوضع العام من جانب آخر، ومن هنا فقد خلف هذا التشوه الملحوظ في ادارة الدولة من قبل الأمريكيين، فراغا داخليا كبيرًا، حيث وجد آلاف الموظفين والمعلمين والأطباء انفسهم بلا وظيفة، وتوقفت عجلة البلاد بشكل شبه كامل، مما دفع بالعديد من العراقيين الى الهجرة خارج العراق هربا من المجهول. كما إن التجربة السياسية الحديثة للمعارضة العراقية، وصراع المصالح الحزبية، وسباق فرض الإرادات الإقليمية والدولية، أفضى الى شبه استمرار في ظاهرة عدم الاستقرار السياسي، تستتبعها ظاهرة عدم اندماج عمودي بين السلطة والمجتمع، أدى بالضرورة الى حالة من الإحباط والإغتراب السياسي لدى العراقيين

[1] إيما سكاي ، المصدر السابق نفسه ، ص103 .

في الداخل، وفي المحصلة تفكيرهم بترك البلاد والهجرة الى خارجها.

ثانيا : الفراغ الأمني: استتبع الفراغ السياسي الذي أحدثه الخلل الاستراتيجي الأمريكي في ادارة الدولة بعد الحرب، فراغا أمنيًا كاملًا بالضرورة، وفي كافة مفاصل الدولة الأمنية والعسكرية.

ففي ١٥ آيار من عام ،٢٠٠٣ ، أصدر بريمر القرار رقم (1) لسلطة التحالف المؤقتة، الذي منع بموجبه الأشخاص في المراتب الأربع العليا في حزب البعث من شغل أي وظائف حكومية، الآن وفي المستقبل، ثم في ٢٣ آيار وقع بريمر القرار رقم (٢) الذي قضى- بحل الجيش العراقي، وقواته الجوية والبحرية والشرطة والأجهزة الإستخبارية والحرس الجمهوري، ووزارة الدفاع[1].

لقد كان لهذين القرارين الأثر الأكبر فيما سيحدث بعد ذلك من انفلات أمني كبير، وانتشار واسع للعنف والفوضى وغياب القانون، فقد أوجد هذان القراران، والقرار الثاني على وجه الخصوص، البيئة الخصبة لردة فعل عنيفة في الاتجاه المضاد، حيث ساهم هذا القرار بتسريح الآلاف من الجنود والضباط والمراتب الذين يمتلكون الخبرة والسلاح وتصنيفهم على أنهم بشكل عام - يمثلون خطرًا كبيرًا على بناء الدولة الجديدة، وحيث أنه لم يكن من المتوقع أن يقبل الكثير من هؤلاء بمثل هذا القرار دون أن يكون لهم موقفهم من كل ذلك، فتسريح الآلاف من الموظفين العسكريين قرار خطير لا يقل خطورة عن قرار خوض الحرب نفسه..

ومنذ عام ٢٠١٤، وبحسب تقارير واحصائيات أممية ومحلية، فقد هاجر حوالي ٥٥٥ الف عراقي، وفقد أكثر من ٢٧٤ شخصاً أرواحهم غرقًا في البحر المتوسط، وسجلت الأعوام من ٢٠١٨-٢٠١٥ أعلى معدلات للهجرة، لتصل ذروتها في عام ٢٠١٦ لتعود بعدها بالنزول تدريجيا بعد نهاية عام ٢٠١٧ وصل الى اوروبا في عام ٢٠١٨ فقط ٧٣٣٣ لاجئ عراقي[2]

ثالثا : الفراغ الاقتصادي ومشاكل الاندماج الاجتماعي: تشهد المجتمعات التي تتعرض الى تحولات كبرى اهتزازات بنيوية كبرى كذلك، ولم يكن المجتمع العراقي استثناء في هذا الأمر، ولعلّ جذور هذا الامر ترجع إلى ما قبل ٢٠٠٣، وأثناء سنوات الحصار الإقتصادي تحديدًا.

لقد أفرز الحصار الإقتصادي المفروض على العراق بعد عام ١٩٩١ فراغا اقتصاديًا كبيرا في المنظومة الاقتصادية العراقية، بعد اضطرار الكثير من العلماء والمهندسين والكفاءات. العراقية الى الهجرة الى الخارج للحصول على فرص معيشية أفضل، الأمر الذي أدى الى انحسار كبير في الطبقة الاجتماعية الوسطى واتساع هوة الفارق بين طبقة الأثرياء التي أخذت تضيق وطبقة الفقراء التي أخذت تتسع.

وحيث انهمك معظم العراقيين ممن بقوا داخل العراق في تلك الفترة في محاولة توفير سبل العيش ومتطلبات

---

[1] بيتر و . غالبريث ، نهاية العراق ، ترجمة اياد احمد ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 2007 .ص137-138 .

[2] العالم بالأرقام ..2015 عام الهجرة ، 2016 عام العودة ، تقرير منشور في شبكة النبأ المعلوماتية ، بتاريخ 30/أيار / 2016 انظر :
HTTPS://ANNABAA.ORG/ARABIC/REPORTS/6546

الحياة، لم يعد بإمكان الطبقات الاجتماعية المتعلمة أن تلعب دورها كمحرك رئيسي- في المجتمع، فقد وجدت هذه الطبقات نفسها تصارع الوقت من أجل البقاء ولم يعد يعنيها أي شيء آخر غير ذلك.

وبالإضافة الى العوامل الاقتصادية، فقد كان للعامل الاجتماعي الأثر الكبير في ازدياد تدفق المهاجرين العراقيين الخارج، وكان للأقليات الدينية والعرقية الحصة الأكبر في ذلك. فقد تركت الحرب والعمليات الإرهابية آثارها على الإندماج الأفقي بين أفراد المجتمع العراقي، فغياب الإنسجام وبروز العنف والتطرف دفع بهذه الأقليات الى مغادرة البلاد والهروب من أتون العنف الدائر على الأرض

المطلب الثاني/الإشكاليات المعززة للهجرة خارج العراق بعد ٢٠٠٣

لا يزال هاجس الهجرة خيارًا قائمًا لدى الكثيرين طالما ان الظروف والاعتبارات التي تعزز من بقائها على السطح قائمة وقبل الشروع في الحديث عن المعالجات الخاصة بظاهرة الهجرة ينبغي الوقوف على الإشكاليات المستمرة لهذه الظاهرة، والتحديات التي تستدعي تجاوزها للإفادة من أبناء البلد وعدم التفريط بالكفاءات والأيدي العاملة الى خارج الحدود.ويمكن القول بأن هناك نوعان من الإشكاليات المعززة للهجرة، الأولى إشكاليات داخلية ينبغي معالجتها بنيويا واستراتيجيا، والثانية إشكاليات خارجية تتطلب المهارة والخبرة الدبلوماسية في عملية صنع القرار وتنفيذ السياسية الخارجية للبلاد بشكل يمنع تسرب هذه الإشكاليات الى الداخل.

اولا: الإشكاليات الداخلية:

١ - انعدام الاستقرار السياسي: تشكل ظاهرة عدم الاستقرار السياسي السمة البارزة في شكل الدولة العراقية بعد عام ٢٠٠٣، ولهذه الظاهرة يعود السبب الرئيس لمعظم حالات التصعيد والعنف والاقتتال، الأمر الذي يؤدي الى شعور الأفراد بالاغتراب السياسي والعزلة وعدم الإنتماء للأرض.

ويرتبط ما يعرف بـ (الاستقرار السياسي) أشد الارتباط بما اصطلح على تسميته بـ (التنمية السياسية) الإيجابية المستمرة، والتي تعني عملية رفع مستوى الوعي السياسي لشعب دولة ما، وتدعيم انصهاره الوطني، وزيادة مشاركته السياسية، ووضع وتدعيم القوانين الأساسية والضرورية، وإنشاء المؤسسات السياسية التي تستوعب القوى السياسية والاجتماعية المختلفة في المجتمع، في إطار دستوري وقانوني منظم، وذلك لأقصى حد ممكن[1].

ومن مظاهر وصور انعدام الاستقرار السياسي هي ظاهرة العنف السياسي، ويمكن تعريف العنف السياسي بأنه: كافة الممارسات التي تتضمن استخداما فعليًا للقوة او تهديدًا باستخدامهالتحقيق اهداف سياسية تتعلق بشكل نظام الحكم وتوجهاته الأيديولوجية وبسياساته الاقتصادية والاجتماعية[2].

وبعبارة أوضح وأشمل، فإن العنف السياسي يمثل اللجوء الى القوة لجوءا كبيرا أو مدمرا ضد الأفراد أو الأشياء،

---

[1] صدقة بن يحيى ، (الاستقرار السياسي في الدول النامية) ، مجلة اراء حول الخليج ، العدد 136 ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ابريل 2019 .

[2] حسنين توفيق إبراهيم ، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، مركز دراسات

لإحداث تغيير في الظاهرة السياسية، أو في نظام الحكم أو في اشخاصه.وإن العنف السياسي الذي يحدث بدافع إختلال هيكل النظام كله، يسمى بالعنف الهيكلي لتصحيح أوضاع مختلفة بطريقة التغيير الشاملة، ولا يقتصر العنف الهيكلي على المجتمعات المحلية، بل يحدث في الإطار العالمي، ويأخذ شكل استغلال هيكلي كامل من قبل الدول الغنية والقوية للدول الفقيرة والضعيفة، وهذا النوع من العنف يسميه البعض بـ (العنف الخفي)[1].

وعودًا على التجربة السياسية العراقية الحديثة، فإن عدم وضوح الأرضية الوطنية التي تقف عليها القوى السياسية واختلاف مذاهبهم السياسية والأيديولوجية والانخراط في المحاصصة السياسية عمق من ظاهرة عدم الاستقرار السياسي، وانتقل به من أروقة السلطة الى أحاديث الناس في الشوارع والمقاهي والمجالس.وسبب هذا الانتشار الى حدوث إرباك في التماسك والاندماج الاجتماعي بين شرائح المجتمع العراقي، وكان أن انعكس على السلوك السياسي بشكل عام، لدرجة معها اصبح التخندق السياسي والطائفي والأيديولوجي والفئوي سمة بارزة في المجتمع، وليس من المبالغة القول أنه وفي مثل هذا المناخ السياسي العام يصبح قرار البقاء قرارًا محفوفا بالمصاعب والتحديات.لذلك، كان (الاستقرار السياسي) ولايزال مطلباً ملحاً وضرورياً لقيام ونمو المجتمعات، بشكل طبيعي، وسليم، ومن هنا تتضح الأهمية الحاسمة لـ (التنمية السياسية) (الإيجابية والمستدامة)، فإهمالها أو تجاهلها يؤديان إلى نمو سيادة (عدم الاستقرار السياسي) أي أن إهمالها سيعني البؤس والدمار، عاجلاً أو آجلاً.

٢- غياب الرؤية الاستراتيجية والتنموية :ينطلق أي نظام سياسي ناجح من مجموعة من الرؤى والاستراتيجيات والأهداف التي يحاول من خلالها معالجة المشكلات القائمة في النظام وتحسين الأوضاع العامة للبلاد، وتطوير مستوى الأداء الحكومي وإدارة الدولة والنهوض بالواقع المعاشي للأفراد والمواطنين. وإن مشكلة غياب الرؤية الاستراتيجية والتنموية في أي نظام سياسي يجعل العمل الحكومي عملا فوضويا ومرتبكا، ولا يستند إلى نقاط مرجعية تقتضيها الأولويات والمصالح، ولا يتحدد بالأهداف القريبة والمتوسطة والبعيدة المدى وإن مثل هذه المشكلة كفيلة بجمود حركة الدولة ضمن إطار العالم الخارجي والعلاقات الدولية المبنية على اساس التنظيم والمصالح المتبادلة.

كما أفرز التحدي الأمني الذي واجه الدولة العراقية بعد ٢٠٠٣ خللا بنيويا واستراتيجيا كبيرا، وهو أن معظم الوظائف التي تم إطلاقها على مدار السنوات كانت وظائف عسكرية لما تقتضيه الحاجة الأمنية لمواجهة خطر الإرهاب والإقتتال الطائفي، وهذا يعني تراجع الوظائف الأكاديمية والعلمية الضرورية لاندماج اصحاب المؤهلات العلمية والتكنولوجية في الدولة بدلا من تفكيرهم في الهجرة والحصول على وظائف تتناسب ومؤهلاتهم الدراسية.

يضاف الى كل هذا هو طبيعة الممارسة السياسية نفسها التي تمسكت بها الأحزاب واسلوب المحاصصة

---

[1] حسن بحر العلوم ، مجتمع اللاعنف : دراسة في واقع الأمة الإسلامية ، دار الزهراء ، قم، ط1 ، ص58 .

الحزبية والطائفية الذي ينطلق من منظور نفعي ضيق، مما تسبب بإهمال المصلحة الجماعية العامة وإدارة الدولة طبقا لمصالحها، والحفاظ على هذه المصالح وصيانتها والعمل على توسيعها وتطويرها كل هذا ادى الى تراجع الدولة وبروز جيل سياسي غير قادر على إدارتها، فالدولة برجالها والأمة بأحادها كما يشير الى ذلك افلاطون في جمهوريته.ويمكن إيعاز هذا الخلل البنيوي في النظام السياسي العراقي الجديد الى جملة من الأسباب يمكن إيجازها بالآتي :

. الاقتصاد أحادي الجانب (الريعي) الذي يعتمد بجمله على النفط كمصدر للناتج القومي، وعدم تنويع موارد الدخل.

. المحاصصة السياسية التي أفضت الى عدم الأخذ بالأسلوب التكنوقراطي في وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

الإرهاب والتحديات الأمنية والصراع الطائفي.

. تراكمات النظام السياسي السابق تدني مستوى التعليم، الفقر، البطالة وغيرها)

. الحدود، و سياسة الإغراق الاقتصادية التي اتبعتها دول الإقليم لتقويض مساعي النهوض بالواقع الصناعي والاقتصادي العراقي.

وغير ذلك من المشاكل التي تسببت في تعميق الخلل الاستراتيجي وغياب الخطط والمشاريع التنموية، وكل ذلك كان مؤشرًا كبيرًا في تراجع أداء الدولة بشكل عام وعدم الإفادة من الموارد البشرية واضطرارها بكل أشكالها (يد عاملة كفاءات رجال أعمال وغيرهم) الى استثمار إمكانياتهم ومؤهلاتهم وموارهم في الخارج.

3- إشكالية الهوية : (التباين القومي والطائفي) :"لم تكن الدولة العراقية بحد ذاتها بؤرة للولاء السياسي العاطفي أو الحصري، فالولاء الحصري يندرج في نوعين : يتمثل النوع الأول في الولاء الذي لم يزل قائمًا للعشيرة، وفي بعض الحالات للطائفة الدينية، والولاء الطائفي ما انفك قائمًا في التراث العثماني بوصف الطائفة وحدة سياسية أو أمة صغيرة، أما الشكل الثاني للولاء العاطفي، وهو الشكل الأكثر قدرة على التعبير السياسي، يتجمد في قوميتين منفصلتين : العربية والكردية، وهما لا تتوجهان نحو الدولة الموجودة، أو نحو آية أمة تبلور ضمن الحدود السياسية، فالقومية الكردية تسعى الى تقسيم الدولة الموجودة في حين تسعى القومية العربية الى دمج الدولة بوحدة أكبر من حيث النطاق الجغرافي[1].

كانت هذه التباينات في السابق لا تشكل تحديا ظاهرًا الى العيان لكون أن المجتمعات كانت تدير نفسها بنفسها دون الرجوع الى سلطة مركزية ونظام إداري موحد من خلال نظام الأسرة والعشيرة والطائفة والمذهب، والدين، كما انها كانت تتجمع على شكل تكتلات متجانسة مذهبيًا وعرقيا. ولكن بعد ظهور الدول القومية الحديثة في العالم الثالث وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، أخذت هذه التباينات تطفوا على السطح، وتشكل تحديا جوهريا للوحدة الوطنية والإندماج الاجتماعي، ومما زاد من حدة هذا التباين هو الممارسات السياسية الخاطئة الممتدة الى عشرات السنين التي

[1] ستيفن همسلي وفرانك ستوكس ، العراق منذ فجر التاريخ وحتى ثورة تموز 1958 ، ترجمة مصطفى نعمان ، دار المرتضى ، بغداد ،2009 ، ص225-226 .

كانت تنطلق من خلفيات تعزز من عدم الإندماج هذا وتزيد من اتساع الفوارق القومية والطائفية والعرقية.

تطور المجتمع العراقي، منذ الحرب العالمية الثانية تطورًا سريعا، لكن في بعض ميزاته الرئيسة لم يتغير كثيرا عن زمن الحكم العثماني، فهو لما يزل فسيضاء من العناصر غير المترابطة، حيث مال بعضها الى التماسك بفعل ميزات مشتركة، والبعض الآخر احتواه الإطار الخارجي للدولة على نحو غير فعال، وكان للسنوات التي تلت الحرب تأثير مضاعف أولا : أنها أدخلت أطيافا جديدة الى الأنموذج وغيرت حجم الأطياف الموجودة أصلا وأهميتها، وثانيا : أنها أضعفت حدودها وأربكتها، ولما يزل من السابق لأوانه التحدث عن مجتمع عراقي موحد، فعوامل الإنقسام ما زالت متعددة، وتشمل الإقليمية، والدين بصورة رئيسة بين الطوائف الإسلامية والمسيحية المختلفة واليهود واللغة سيما بين العربية والكردية، مع ما يصاحبها من تباعد في التقاليد التاريخية والثقافية، فضلا عن الوظيفية الاقتصادية، والعرف الاجتماعي، والتعليم، وهذه الانقسامات، سيما الانقسامات الثلاثة الأخيرة، تتطابق أحيانًا، إلا أنها غالبا ما تتقاطع، لتشكل مجاميع أصغر تكون لها هويتها المستقلة[1].ولم تعمد الأنظمة السياسية المتعاقبة قبل ٢٠٠٣ الى إيجاد المعالجات والحلول العملية الناجعة لإدخال المجتمع العراقي بما يحمله من تعددية في عملية اندماج وطنية كبرى، بل انها سعت في كثير من الأوقات الى توسيع هذه التباينات والتفريق بين العراقيين على أساس انتماءاتهم الدينية والقومية.

يقول الباحث في الشأن العراقي حسن العلوي في هذا الصدد: ترتفع مناسيب الموت في العراق وتنخفض تبعا لارتفاع مناسيب الحماس وانخفاضه عند رجل السلطة الأول واتباعه، فما بين عامي ١٩٣٥ ١٩٣٦ وهي الفترة المتوهجة التي اشغل الهاشمي فيها رئاسة الوزراء ودخلت التاريخ القومي مدخل البطولة تورطت السلطة القومية بمذابح الفرات الأوسط، وإعدام مجموعات من الفلاحين في سوق الشيوخ، واستباحت مدينة الرميثة، ومذابح الأكراد في أكثر من منطقة، ومذابح الآثوريين[2]. و بعد ١٧ عاما نفذ الضباط القوميون مذبحة العائلة القومية الهاشمية، في قصر الرحاب فجر الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، لكن مذابح القوميين الملكيين لم تعد مثير للاستفزاز بعد أن اكتسحت مذابح القوميين الجمهوريين الأرقام المتواضعة للقتلى في المذابح الأولى[3].ووصل التمييز والتحريض القومي والعنصري الى أوجه عند وصول حزب البعث العربي الاشتراكي الى سدة الحكم خلال فترات الرؤساء القوميين الثلاثة : عبد السلام عارف أحمد حسن البكر، وصدام حسين شملت ذلك عمليات الإبادة الجماعية والتطهير العرقي والتهجير القسري. "وبالعودة الى تاريخ الهجرات القسرية من العراق وأشكالها الفردية والجماعية، يمكن القول أنها بدأت تأخذ أبعادها الواضحة منذ العقد الأول لتأسيس الدولة العراقية في عشرينيات القرن المنصرم، واستمرت بالتصاعد حتى بلغت ذروتها في الخمسينيات منها وقد طالت يهود العراق اولا،

[1] ستيفن همسلي وفرانك ستوكس Kالمصدر السابق، ص195 .

[2] حسن العلوي ، دولة الاستعارة القومية ، دار الزوراء ، لندن ، 1993 ، ص177.

[3] المصدر السابق نفسه ، ص178.

حيث كان لنشاط الحركة الصهيونية وتواطؤ الحكومات العراقية مع الإحتلال البريطاني آنذاك، أثره الفاعل في هجرة ما يقرب من (١١٨٠٠٠) من يهود العراق في عملية "عزرا ونحميا" الشهيرة[1].

"أما موجة الهجرة الجماعية الثانية في العراق الحديث والأولى من حيث الحجم، فهي تلك التي شهدتها الأعوام ٩٩ - ٧٠ ٧١ حيث طالت ما يزيد عن مائتين وخمسين ألف نسمة جميعهم من الشيعة هجروا باتجاه إيران بدعوى أنهم من التابعية الإيرانية، ثم حدثت موجة كبرى أخرى بعد أن استلم صدام حسين مقاليد السلطة، وصلت الى حدود النصف مليون مهاجر يشير المركز الوثائقي لحقوق الانسان في العراق، أن عدد المهجرين منذ النصف الأول من عام ١٩٨٠ وحتى نهاية عام ١٩٨٨ ، بلغ ما نسبته من ٣٥٠ الف الى ٥٠٠ الف مهجر، وكان أغلبهم من مؤيد الحركات الإسلامية الشيعية، أما أكبر موجات الهجرة من العراق حجما وأكثرها أهمية، فهي التي حدثت على موجات متواصلة ابتداءًا من عام ١٩٩١ وما زالت قائمة، وقد طالت جميع مكونات الشعب العراقي جنوبًا ووسطا بوجه عام، فيما خفت نسبتها من بعض مناطق الشمال الكردية لتمتعها بالحماية والحكم الذاتي[2].

ثانيا : الإشكاليات الخارجية

١ - الإرهاب :يشكل الإرهاب اليوم، في كل دولة من دول العالم تحديا عابرا للحدود والسيادة، وغالبا ما ترتبط أسبابه وعوامل تكوينه بأسباب خارجية، أي أنه وبعبارة أخرى تتم صناعته خارج الحدود. ويستند الارهاب في نشأته الى ظروف خارجية تفرضها ارادات ومصالح قوى اقليمية ودولية كبرى، وهناك من يعرف الإرهاب بذات الصدد فيقول: " إن الإرهاب هو استخدام قصدي للقوة ضد المدنيين، لتحقيق اهداف سياسية، ويهدف الى اضعاف الدول أو التشكيك في قوتها[3].

وليس من المبالغة القول بأن العراق بعد عام ٢٠٠٣ كان مركز الجذب الإرهابي وتصفية الحسابات والحروب بالإنابة بين دول الإقليم والدول والقوى الكبرى، فقد مر العراق بأنماط مختلفة من الأعمال الإرهابية ابتداءً من الاعمال الإرهابية المتمثلة بالتفجيرات والسيارات المفخخة والعبوات والناسفة ومرورًا بالتوتر الطائفي والحرب الأهلية ووصولاً إلى احتلال اجزاء واسعة من الأراضي العراقية من قبل تنظيم داعش الإرهابي وممارسة اعمال عنف واسعة النطاق على المدنيين في تلك المناطق.

ويمكن القول بأن أغلب تلك الأنماط كان منشأها من خارج الحدود بمعنى أنها لا تنتمي إلى الثقافة الاجتماعية العراقية واغلب تلك العمليات كان يؤسس لها بقصد التأثير على مركز صناعة القرار العراقي وخصوصا مع وجود أرضية هشة تستند اليها العملية السياسية العراقية الضعيفة بعد عام ٢٠٠٣.وتتعدد أهداف الإرهاب المنظم، ومن أهمها:

أولا: زرع الذعر والرعب بين الناس سواء المواطنين أو الزوار للبلد فعلى سبيل المثال، كانت سوريا من أكبر

---

[1] علي السعدي ، حزام النار : الجعفري والعراق الجديد ، العارف للمطبوعات ، بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص50 .

[2] علي السعدي ، حزام النار المصدر السابق ، ص52 .

[3] توبي جونز وآخرون، بوش في أور، ترجمة امير دوشي، مركز أور للدراسات، بغداد، 2007، ص62.

الدول العربية التي تستقطب زوارها من جميع أنحاء العالم، واليوم حتى الطيور المهاجرة تذعر وتغير اتجاهها.
ثانيا: خلق اضطراب في التوازنات الداخلية والخارجية، وهذا ربما يكون من أهم أهداف الإرهاب نظرا لأهمية هذه التوازنات هذا الفعل الإجرامي ربما يقوم به بعض المنظمات العالمية السرية والتي تكون تابعة إما لأشخاص أو لبعض الدول، من أجل السيطرة على دول بعينها معروفة بخيراتها وثرواتها، تمهيدا لغزوها والسيطرة على هذه الثروات ونهبها، كما وقع في العراق مثلا.
ثالثا: الضغط على الحكومات من طرف هذه المنظمات الإرهابية، لإرغامها على إلغاء قراراتها ومشاريعها التنموية، وذلك بقيامها بتفخيخ المدارس والمستشفيات والأماكن العمومية، وغالبا ما تسجل هذه الجرائم ضد مجهول[1].

ومن هنا تتأتى ضرورة العمل الدولي المشترك لمكافحة الإرهاب والتعاون السياسي والأمني والاستخباراتي المستمر لما يمثله هذا النوع من التحديات الأمنية من خطر حقيقي على السلم والأمن الدوليين، وعلى اندماج الشعوب والمجتمعات، وعلى الاستقرار السياسي والاجتماعي وبالتالي تخفيف حدة عمليات الهجرة والنزوح الجماعي التي يسببها العنف المتولد من الإرهاب.

- **عوامل الجذب:** تتمثل عوامل الجذب بجملة من المقومات والعناصر التي تتوافر عليها الدول الغربية المتقدمة، كعوامل الجذب الفكري والثقافي، ونماذج الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي وغير ذلك من العوامل، وترتبط عوامل الجذب لدى الدول الجاذبة بصورة عامة بعوامل الدفع لدى الدول الدافعة، فعملية الهجرة في مثل هذه الحالات تكون بمثابة استجابة لسد الخلل المعيشي- الذي يبتغي معالجته الأفراد في هجرتهم من بلدانهم.ومثلما تحمل عوامل الدفع (الطرد) الأفراد والجماعات على المغادرة من منطقهم الأهلية، كذلك تحمل عوامل الجذب في مناطق الاستقبال على استقطاب الأفراد والجماعات للهجرة.

ان عوامل الطرد لا تمثل في مجموعها الأسباب الكلية للتحركات البشرية، ولكن لابد أن تكون هناك عوامل جذب تشجع السكان على الهجرة والعوامل الجاذبة ترتبط بالمنطقة والمجتمع المهاجر اليه، وكذلك تشير عوامل الجذب الى كل الظروف التي تجذب المهاجرين بحثا عن الأفضل ومنها مثلا ما يلي:

*التقدم الحضاري والثقافي، حيث تكون فرص التعليم في جميع المستويات ومختلف الميادين متوفرة.

*توافر فرص العمل في مجالات الصناعة والتجارة والخدمات، حيث يزدهر الوضع الاقتصادي في اي بلد تتوفر فيه الموارد الطبيعية التي تساعد على نشوء المصانع وتطورها.

*التضاريس الطبيعية، وذلك أن اعتدال المناخ ووجود البيئة الطبيعية والسياحية الجاذبة، غالبًا ما يدفع بالناس للهجرة طلبا للراحة والاستجمام ولأسباب صحية وسياحية[2].

[1] سلطان حميد الجسمي، الإرهاب المجهول في العالم، مقال منشور في موقع صحيفة البيان الالكتروني، بتاريخ 7/ مايو/ 2013. انظر: https: // www. Albayan . ae/ opinions / articles/ 2013-05-07-1.1877555.

[2] عادل الطليحي، الشباب وظاهرة الهجرة غير الشرعية إلى أوربا، مؤتمر الشباب والهجرة، ليبيا، المنظمة الليبية الشبابية لحقوق الانسان / 2013، ص10-11.

تتجلى المشكلة بوضوح في دولة مثل العراق، بأنها تتقدم الدول المصدرة للكفاءات، ولو تبصرنا بالإحصاءات عبر العقود الستة الماضية لعرفنا الكم الكبير والثروة المفقودة من الأدمغة والعقول، فالعراق شهد عدة موجات هجرة طاردة للكفاءات. ففي بلد مثل العراق عانى ما عانى من سائر اشكال الحروب والعنف وعوامل الطرد السكاني، تحديدًا بعد عام ٢٠٠٣ ، فإن عوامل الجذب الموجودة لدى الدول الأخرى على اختلاف تصنيفاتها، فإنها تمثل للعراقيين فرصة للبدء من جديد والبحث عما هو افضل من الوضع القائم، وحيث أن عوامل الجذب تستهدف هجرة الأدمغة والكفاءات العلمية والاقتصادية وهجرة الأيدي العاملة والمهنية، فإن مثل هذا الاستقطاب من شأنه أن يتسبب بالكثير من الخسائر المادية متمثلة برأس المال واستنزاف الطاقات البشرية المدربة والمؤهلة والمنتجة وذهابها بعيدا، وتدني الدخل القومي نتيجة لانخفاض مستوى الإنتاج، وعرقلة انجاز الخطط التنموية، وتغيرات في التركيبة السكانية من حيث النوع والعمر، والخسائر الاجتماعية والخدمية والثقافية والحضارية، في الوقت الذي يحتاج فيه العراق لتظافر كافة الجهود والطاقات والإمكانيات المادية والبشرية للنهوض بواقع البلد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحضاري.لذا لا تزال عوامل الجذب مغرية ومؤثرة على قرار الإنسان العراقي طالما لا زالت عوامل الدفع أو الطرد على الجهة المقابلة قائمة كذلك.

خلاصة القول ان ارتدادات التحول السياسي الذي حصل في العراق عام ٢٠٠٣ وما تلاها بعد ذلك، والفراغ البنيوي والمؤسساتي الذي تمخض عنه القرار العسكري الأمريكي، كان قد عمق من الإشكاليات المعززة للهجرة والموجودة اصلا ضمن التوجه العام للحكومات العراقية المتعاقبة منذ عقود.

المبحث الثالث

مستقبل ظاهرة الهجرة في العراق بعد عام ٢٠٠٣

انتهى بنا البحث عند الاسباب والإشكاليات التي تعزز من ظاهرة الهجرة في العراق بعد التحول السياسي الذي شهده العراق عام ٢٠٠٣، ومن الضرورة وفقًا لما هو موجود على الساحة العراقية من أحداث ومعطيات الوقوف على مستقبل هذه الظاهرة واستقراء الأوضاع التي تؤثر فيها من حيث الازدياد أو التراجع.

المطلب الأول: تزايد معدلات الهجرة في العراق:

يعتمد القول بتزايد ظاهرة الهجرة في العراق على مجموعة من المشكلات التي يطرحها الواقع السياسي والاجتماعي العراقي، كمشكلة النمو السكاني غير المنتظم، والتباين الاقتصادي بين فئتين داخل المجتمع العراقي، فئة الأغنياء وفئة الفقراء، وكذلك هاجس الإرهاب والحروب الذي ما انفك يلازم وجدان الإنسان العراقي ويؤثر على أفكاره وقراراته.

إن مشكلة النمو السكاني غير المنتظم وغير الخاضع لما يعرف بالهندسة الإجتماعية من قبل الدولة، قد يسبب في بعض الأحيان في ازدياد ضغط الوحدة الاجتماعية على الأفراد وبالتالي تعمد الى ازاحتهم الى خارج البلاد بفعل الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتمثلة بازدياد المنافسة وقلة الفرص وشحتها.وفي مسح للمهاجرين والمهاجرين المحتملين قامت به منظمة الهجرة الدولية في مجموعة من المحافظات العراقية، من أجل فهم أفضل المواقف والتصورات من الشباب نحو الهجرة أوردت

المنظمة ما يلي: و بالرغم من أن تركيز هذه الدراسة لم يكن لمعرفة كيف أن الهجرة جذابة، أنها فقط تعطي لمحة شعبية عن الهجرة في جميع أنحاء المحافظات المختارة، ونظرا لطبيعة الدراسة في الاستهداف والشباب والعاطلين عن العمل والذكور المشتغلين، فإن النتائج يمكن أن تكون مؤشرا من هذه المجموعة المستهدفة محددة. ومع ذلك فهي تظهر رغبة واسعة النطاق جدا للهجرة في الجنوب قال ما يقرب من جميع المجيبين أنهم قد نظروا بجدية للهجرة، وفي كردستان الأغلبية أيضا قد نظرت بجدية للهجرة.

في بغداد والبصرة أفاد أكثر من 99% ممن شملهم الاستطلاع انهم قد نظروا بجدية للهجرة، في الشمال، انخفضت الأرقام إلى 92% في دهوك ٧٧% ، في اربيل ٤٩% وعلى طول الطريق وصولا الى السليمانية في الواقع كانت السليمانية المحافظة الوحيدة التي قال عدد أقل من المشاركين في الاستطلاع أنهم نظروا بجدية في الهجرة من المشاركين الذين لم يفعلوا ذلك[1].وبحسب السؤال المسحي الذي قامت به المنظمة، والذي كان نصه ما يلي :**لماذا تريد أن تهاجر من العراق؟:**

كان المهاجرين المحتملين يريدون أن يكونوا، آمنين، عاملين، وتكون لديهم حرية اجتماعية، هذه الأسئلة أبرزت العديد من الإحباطات السائدة في الشباب العراقي وراء فرص العمل كان هناك شعور أوسع من الظلم والاستياء ضد السلطات سواء كانوا قادة المحافظين والمجتمعات المحلية، وكبار السن والمسؤولين الفاسدين أو الشرطة أو الحكومة ككل. الكثير من الحرمان واليأس الذي اعربوا عنه بالنسبة لهم، كان عدم قدرتهم على التأثير أو التحكم فيها أو المساهمة في الطريقة التي تحكمها، وهذا يشكل قوة دافعة حقيقية لمغادرتهم من البلاد.وكان الموضوع المتكرر عبر مناقشات مجموعة التركيز جميع المحافظات، ان الوظائف ليست مجرد نقص في المعروض، بل أن ممارسات التوظيف ليست عادلة.

وبالعودة على خط سير الأحداث والمعطيات السياسية واستقراءها فإن احتمالية تزايد ظاهرة الهجرة أو بقاءها في أفضل الأحوال على ذات المستوى، يبقى احتمالا قائمًا، وإن كان احتمالا ضعيفًا وغير مرجح، ولكن ينبغي أن لا يغيب عن ذهن صانعي القرار السياسي العراقي كما ينبغي التعامل مع الحالة على أنها في تزايد حتى ولو تكن كذلك.. ويتوقف تزايد أعداد المهاجرين من العراق باتجاه البلدان القريبة ايضا كسيناريو يطرح نفسه بقوة لأسباب متعددة منها:

١- لا تزال تركيا الجار الشمالي للعراق فاتحة حدودها للعراقيين، ولكل الراغبين بالهجرة بطرق غير رسمية، وهذا بالتأكيد يرجع الى ان تركيا ترغب بإيصال رسالة الى دول الاتحاد الأوروبي من ان تركيا قادرة على التأثير سلبًا أو إيجابا على السياسة الأوروبية.

٢- ان احتمالية التزايد قد ترجع الى اسباب جيو سياسية وجغرافية بالرغم من أن العراق تمكن من دحر تنظيم داعش الارهابي، ووجود تصاعد ملحوظ في تحقيق الأمن في أغلب المدن العراقية، لكن الاضطرابات الاقليمية تنعكس في الأعم الأغلب سلبًا على العراق، ومن هنا قد يؤثر الصراع الأمريكي الإيراني اذا ما وصل الى مرحلة اللاعودة، الى تفاقم الهجرة،

[1] منظمة الهجرة الدولية، وجهات نظر حول الهجرة من العراق، مسح المهاجرين المحتملين في العراق والمملكة المتحدة، 2013، ص10-12.

خصوصا وأن العراق سيتأثر سلبًا على أي صراع اقليمي محتمل.

3- ومن الأسباب الأخرى التي قد تؤدي الى تزايد ظاهرة الهجرة هي غياب فرص العمل وفقدان دولة الرفاهية وتردي الحالة الخدمية، كل هذه الأمور وغيرها من شأنها التأثير تصاعد موجة الهجرة، كما إن صعود الحالة المادية لدى بعض الشرائح قد يدفع بهم الى الهجرة والبحث عن الأفضل وفق المقاييس الاجتماعية.

المطلب الثاني: تراجع معدلات الهجرة في العراق

ان كل ظاهرة انسانية، سياسية كانت ام اجتماعية لا يمكن اخضاعها للتجربة والقياس العلمي والمختبري، ذلك أنها قد تشهد فترات تصاعد وازدياد وتراجع وانحسار، تبعا لطبيعة الظاهرة نفسها، والظروف التي أوجدتها وتتحكم في صيرورتها واستمرارها. ويتتبع ظاهرة الهجرة تاريخيًا، نلاحظ وجود فترات تكون فيها التدفقات البشرية بمستوى بحيث يصعب معه السيطرة عليها، وكذلك وجود فترات تتراجع فيها وتندثر بحيث يمكن وصفها بأنها هجرات فردية لا تشكل خطرًا كبيرًا على الدول.

وكذلك الحال بالنسبة للعراق، فبالرغم من الإزاحات السكانية الكبيرة وموجات الهجرة العالية التي شهدها على اختلاف حكوماته وأنظمته السياسية، الا أنه لا يمكن الحكم على ظاهرة الهجرة في العراق على أنها حتمية علمية مطلقة. فبنهاية عام ٢٠١٧ وبداية عام ٢٠١٨، ومع اعلان الحكومة العراقية الانتصار على تنظيم داعش الإرهابي، وانتهاء العمليات العسكرية في شمال العراق، انخفضت معدلات الهجرة والنزوح خارج العراق بشكل يدعو معه للتفاؤل والقول بأن احتمالية استمرار تراجع وانخفاض مستويات الهجرة هي الأكثر ترجيحا في ظل استقرار الوضع الأمني بصورة نسبية وسيطرة الحكومة العراقية والجيش العراقي وفرض النظام على الاراضي التي كان يحتلها تنظيم داعش قبل عام ٢٠١٧.

وعند ملاحظة التسلسل الزمني لحركة النازحين في العراق منذ تموز يوليو ٢٠١٤، وحتى تموز يوليو ٢٠١٨ ، نجد أن منحنى الهجرة الذي وصل ذروته في منصف ٢٠١٦، بدأ بالانخفاض مع بداية النصف الثاني من عام ٢٠١٨ ، ومن بين النازحين المتبقين البالغ عددهم ١٠٩ مليون، ٦٠% هم في الأصل من محافظة نينوى، تليهم محافظة صلاح الدين ١٣، ومحافظة الأنبار ١٢، تكمل كركوك وديالي، وبدرجة أقل، بغداد وبابل قائمة المحافظات التي انتقل منها الناس بالقوة خلال أزمة التهجير[1].

هذا فيما يخص النازحين في الداخل، أما فيما يخص المهاجرين إلى الخارج فليس ثمة المغالطة القول بأن ما يدفع النازح للنزوح، ينسحب في اغلب حالاته على حالة المهاجر، وقد تمت الاستعانة بهذا التسلسلات الزمنية بقرينة أن النازح والمهاجر تدفعهما عوامل الدفع ذاتها، وبالتالي فإن التدابير والمعالجات التي يتم اتخاذها في مشكلة النزوح، ممكن أن تجني ثمارها اذا ما تم استخدامها في مشكلة الهجرة، مع الأخذ بنظر الاعتبار بعض الفوارق ذات الطابع الذاتي والشخصي في موضوع الهجرة.

[1] منظمة الهجرة الدولية، منشور حول تصنيف الهجرة المطولة في العراق، تشرين الثاني 2018، ص6.

وبقراءة معكوسة لمنحنى التسلسلات الزمنية اعلاه، أي منذ تموز يوليو ٢٠١٨ ورجوعا الى تموز يوليو ٢٠١٤ ، يمكننا أن نتلمس وبشكل ملحوظ التحسن التدريجي للأوضاع واستعادة زمام المبادرة من قبل السلطة في التوجه نحو المسار الصحيح للإصلاح والتنمية السياسية والاقتصادية وإحداث الإندماج المجتمعي، وبالرغم من وجود التحفظات على الاداء الحكومي ووجود شبهات فساد في أركان النظام السياسي، إلا أنه لا تزال البيئة العراقية تتوافر على جملة من الخصائص والمميزات وعوامل الجذب التي تحتاج الى إبرازها وصيانتها والعمال على تطويرها وتوسيع قاعدتها الشعبية.

إن هذا الزخم من الخبرة والممارسة والمراقبة والملاحظة والتحليل بالمجمل العام، يمنح الأمل بوجود ضوء في نهاية النفق، وأن الأمل بغد أفضل لا يزال مشروعا، وأن معالجة ازمات البلد ومشكلاته ومن ضمنها مشكلة الهجرة، ستكون رهين الوقت والإرادة والعمل، طالما وجدت الأرضية المناسبة لكل ذلك، وهو ما يتوافر عليه العراق اليوم بحمد الله، وتفتقده الكثير من دول العالم الثالث، والدول العربية على وجه الخصوص.

الخاتمة: تعرض العراق عبر مراحل مختلفة الى اشكال مختلفة من التحديات والأزمات، كان من اهمها بروز ظاهرة الهجرة كتحدي خطير يهدد أمن العراق وسيادته وكاد أن يفتك بنسيجه الاجتماعي ووحدته الوطنية.

وتزامن ذلك كله مع وجود مجموعة من الخصائص في المجتمع العراقي التي عمقت من هذه الظاهرة وساهمت على انتشارها وتمددها مع الوقت، وعززت من اغتراب الفرد العراقي وشعوره باليأس جملة من الإشكاليات الداخلية والخارجية قمنا باستعراضها في هذا البحث، وبيان مدى تأثيرها على البنية السياسية والاجتماعية للعراق كدولة وكشعب.

اولاً: الاستنتاجات توصلنا من خلال البحث الى مجموعة من الاستنتاجات فيما يخص هذه الظاهرة، تبعا للإشكاليات التي طرحناها وللخصوصية التي يتميز بها المجتمع العراقي عن اغلب المجتمعات العربية والاسلامية، ويمكن حصر هذه الاستنتاجات في مجموعة من النقاط اهمها:

١- يتكون المجتمع العراقي من طيف متعدد من الديانات والقوميات والمذاهب، والتي لم تتخذ السياسات الداخلية للحكومات العراقية المتعاقبة أي دور في دمج هذه الكيانات في إطار (دولة المواطنة).

2- لم تكن الإشكاليات المعززة للهجرة القادمة من وراء الحدود بأقل اهمية عن تلك الموجودة اصلا في التركيبة السوسيولوجية للشعب العراقي، فغياب السيادة والتعرض المستمر لموجات الإرهاب والحروب كان من شأنه أن يدق مسمار الفرقة بين أبناء الشعب الواحد.

٣- يمكن القول بأن ثقافة الإرهاب هي ثقافة دخيلة على المجتمع العراقي، فلم يكن العراق يوما من الأيام - حتى في أوج فترات عسكرة المجتمع - دولة مصدرة للإرهاب، ولا بؤرة للفكر الإرهابي والتكفيري المتطرف، وعليه فلا يمكن استمرار النشاطات الإرهابية مهما تزايدت، ولا يمكن تأصيل هذا الفكر الإرهابي التكفيري المتطرف.

4- كان التحول في النظام السياسي العراقي بعد عام ٢٠٠٣، تحولا غير مكتمل الأركان، حيث كان ينقصه

الوجه الدبلوماسي المرن، كما كانت تنقصه عملية تفاوضية واسعة مع الداخل العراقي، كما غابت عنه آلية وضع البدائل السياسية.

5- بقي العراق دولة واحدة، رغم كل ما تعرض له ورغم ما شهده من عمليات تطهير وتهجير على اسس طائفية وعرقية وقومية، وهذا يعني أن العناصر التي اشتملت عليها هذه التباينات في المجتمع العراقي، هي ذاتها يمكن ان تلعب دورا حيويا في الحفاظ على وحدته وتماسكه، على أن هذا يعود بالدرجة الأساس الى كيفية توظيف كل تلك العناصر وتذويبها في بوتقة الهوية الوطنية، لهذا الوطن العريق الذي تنتمي له كل هذه الأطياف المتعددة من شمال العراق الى جنوبه.

٦- إن الإستبداد السياسي سابقا، والإرهاب حاليا، كانا من أهم بواعث الهجرة لدى العديد من المجتمعات العربية ومنها العراق إضافة الى اسباب شخصية تتعلق بالرغبة في تطوير الذات وحب التنقل في أجواء مختلفة.

ثانياً: التوصيات والمعالجات: ومن خلال استشراف ظاهرة الهجرة ومستقبلها، تبعا للمعطيات والوقائع والأحداث توصلنا من خلال المبحث الثالث الى وضع جملة من التوصيات من أجل القضاء على ظاهرة الهجرة في مضمونها السلبي، أو تخفيف حدتها على اقل تقدير والسيطرة عليها، وهذه التوصيات يمكن إيجازها بالنقاط الآتية:

١- ترسيخ روح المواطنة وتذويب الفوارق الدينية والطائفية والقومية، والتعامل على أساس الإنتماء الوطني، وتعزيز الهوية الوطنية.

٢- القيام بعملية تنمية واسعة وشاملة لكل اركان ومفاصل الدولة الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

3- تنويع مصادر الدخل القومي، وتطوير قطاعات الدولة الصناعية والزراعية والتجارية والسياحية بشكل تتغير معه ملامح اقتصاد الدولة من اقتصاد ريعي إلى اقتصاد متعدد ومتنوع ومرن.

٤- تغليب المصلحة الجماعية العامة في الخطاب السياسي للأحزاب السياسية في تنافسها على السلطة والابتعاد عن الشحن الطائفي.

5- رسم استراتيجيات وخطط وبرامج متوسطة وبعيدة المدى لمواجهة التحديات الخارجية والتعامل معها دون حدوث اختلالات في الداخل.

٦- ترسيخ ثقافة التعايش والحياة المدنية عبر معالجات قانونية وتنظيمية لظواهر سلبية سادت بين ابناء المجتمع العراقي خاصة والعربي بشكل عام، ومنها عسكرة المجتمع والتكفير ورفض الآخر، والتناحر السياسي وخلفياته العرقية والطائفية.

٧- تأمين الحدود، وصيانة السيادة، وعدم السماح بسياسة الإغراق الاقتصادي للسوق العراقية، ودعم المنتج العراقي وتقديم المنح والتسهيلات والقروض لأصحاب المشاريع الصغيرة والمستثمرين.

8- تبني خطاب سياسي منفتح على كل دول العالم وثقافاتها المختلفة، للحد من تأثير الأزمات السياسية المتراكمة من النظم السياسية السابقة.

٩ - تدوير سوق العرض والطلب، بشكل يتلاقى فيه ما يتم تأهيله من خبرات وكفاءات وخريجين وفنيين

وأيدي عاملة، ما تحتاجه الدول وطبيعة المرحلة والاستراتيجية مع المتبعة في عملية التنمية.

10- التعاون الإقليمي والدولي لمعالجة ظاهرة الهجرة غير الشرعية، وعقد المؤتمرات والاتفاقيات والمعاهدات بين دول الجوار للتكامل الاقتصادي، والتعاون السياسي والعسكري، وضبط الحدود، وكل ما يمكنه أن يخفف من حدة المشكلات التي تؤدي الى تعزيز مشكلة الهجرة.

11- إنشاء مراكز وغرف بحثية لتشخيص ومعالجة أسباب وبواعث الهجرة وأبعادها سياسيا واجتماعيا واقتصاديًا.

المصادر:

اولاً: الكتب المقدسة

1- القرآن الكريم

2- التوراة

3- الزبور / مزامير داوود

٤- كتاب الحياة

ثانياً: الكتب العربية والمترجمة

1- ادريس بو سكين، أوروبا والهجرة: الإسلام في أوروبا، دار ومكتبة الحامد، عمان، ٢٠١٣م.

2- ايما سكاي، الانهيار: الآمال الكبيرة والفرص الضائعة في العراق، ترجمة : قيس العجرش، دار الرافدين لبنان كندا، ط ١، ٢٠١٦م.

3- باولا كورتي، تاريخ الهجرات الدولية، ترجمة: عدنان علي هيأة ابو ظبي للثقافة والتراث، طاء ٢٠١١م.

4- بيتر و غالبريث نهاية العراق، ترجمة أياد احمد الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧م.

5- توبي جون، وآخرون، بوش في أور، ترجمة: امير دوشي، مركز أور للدراسات، بغداد،٢٠٠٧م.

6- جان كلود وغيوم بيغو، التاريخ الكامل للعالم : منذ ما قبل للتاريخ الى يومنا هذا، ترجمة : لحسن عيساني، دار الفارابي، ط١، ٢٠٠٨م.

7- جمال الدين مُحَمَّد بن منظور، لسان العرب دار صادر، بيروت، ط1، ١٤١٤هـ.

8- حسن العلوي، دولة الإستعارة القومية، دار الزوراء، لندن، ١٩٩٣م.

9- حسن بحر العلوم، مجتمع اللاعنف : دراسة في واقع الأمة الإسلامية، دار الزهراء، قم، ط1.

١٠ - حسنين توفيق ابراهيم ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية مركز دراسات الوحدةالعربية، بيروت،
١١ - خالد الوحيشي، الهجرة والإسرة : حالة البلدان العربية المرسلة للعمالة الاسكوا، ١٩٩٨م.
١٢ - روجيه غارودي حوار الحضارات تعريب : عادل العواء عويدات للنشر والطباعة، ط٦، 2007م.
١٣- ستيفن همسلي وفرانك ستوكس، العراق منذ فجر التاريخ وحتى ثورة تموز ١٩٥٨، ، ترجمة مصطفى نعمان، دار المرتضى، بغداد، ٢٠٠٩م.
١٤- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات:إعادة صنع النظام العالمي،ترجمة : طلعت الشايب،دارسطور، ط٢، ١٩٩٩م.بغداد.
١٥- عبد القادر حماد وآخرون، دراسات في الجغرافيا البشرية دار فضاءات عمان.
١٦ -عدنان داوود عبد الشمري، الحماية الدولية لحقوق العمال المهاجرين وأفراد أسرهم، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ط ١، ٢٠١٥م.
١٧- علي السعدي، حزام النار : الجعفري والعراق الجديد العارف للمطبوعات، بيروت، ط1، ٢٠٠٩م.
١٨- علي فاعور، السكان والهجرات الدولية : شيخوخة السكان وتوسع أفاق الهجرة، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ط ١، ٢٠١٦م
١٩ على فاعور، الهجرات الدولية : تاريخ الهجرات البشرية منذ فجر التاريخ، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ط ١، ٢٠١٦م.
٢٠- غوستاف لوبون، روح السياسة، ترجمة عادل زعيتر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ٢٠١٦م.
٢١ -فرهاد ابراهيم الطائفية والسياسة، مكتبة مدبولي، ط ١، ١٩٩٦م.
٢٢ - قاموس أوكسفورد الحديث.
٢٣- مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح الكويت دار الرسالة، ١٩٨٢م.
٢٤- مُحَمَّد حسنين هيكل، الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، دار الشروق، بغداد.
٢٥ -مُحَمَّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب العربي ، ط1.
٢٦ -مُحَمَّد هويدي، التفسير المعين دار السجاد بغداد، ط1.
٢٧ -هوستن سميث أديان العالم تعريب : سعد ،رستم دار الجسور الثقافية، حلب، ط3، ٢٠٠٧م.
٢٨- هوغ ،لاغرانج نكران الثقافات ترجمة سليمان ،رياش المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، ٢٠١٦م.

ثالثا: الصحف والمجلات

١- مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد١٨، ٢٠١٣م.
٢- مجلة آراء حول الخليج العدد ١٣٦ ، جدة، المملكة العربية السعودية ابريل ٢٠١٩م.

رابعا: التقارير والدراسات والمسوح والمؤتمرات

1- الارهاب المجهول في العالم، بتاريخ ٧/مايو /٢٠١٣.
2- الشباب وظاهرة الهجرة غير الشرعية الى أوروبا، مؤتمر الشباب والهجرة، ليبيا، المنظمة الليبية لحقوق الانسان.

3- العالم بالأرقام ٢٠١٥ عام الهجرة .. ٢٠١٦ عام العودة، بتاريخ ٣٠/ آيار/ ٢٠١٦.
4- اللاجئون " و " المهاجرون" أسئلة شائعة، منشورات المفوضية السامية للأمم المتحدة للشؤون الدولية، بتاريخ: 15/ مارس/ 2016.
5- النازحون بين الاندماج الاجتماعي والاستبعاد الاجتماعي، بتاريخ: 30/ تموز/ 2017.
6- الهجرة غير المشروعة الضرورة والحاجة، مركز الإعلام الأمني في أكاديمية الشرطة، جمهورية مصر العربية.
7- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية 2009.
8- سوسيولوجيا الهجرة، مدونة علم الاجتماع المغربي، بتاريخ: 14/ سبتمبر/ 2014.
9- منظمة الهجرة الدولية، تصنيف الهجرة المطولة في العراق، تشرين الثاني/ ٢٠١٨.
١٠- منظمة الهجرة الدولية، وجهات نظر حول الهجرة من العراق مسح المهاجرين المحتملين في العراق والمملكة المتحدة، 2013.
11- موقف القانون الدولي من الهجرة، كلية القانون – جامعة كربلاء.

خامساً: المواقع الألكترونية

١- الموقع الرسمي للبنك الدولي: /https://www.albankaldawli.org
2-الموقع الرسمي لجامعة كربلاء / كلية القانون : /http://law.uokerbala.edu.iq/wp
3- الموقع الرسمي للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين : /https://www.unhcr.org/ar
4-الموقع الرسمي للمنظمة الدولية للهجرة / بعثة العراق : /https://iraq.iom.int
5-شبكة النبأ المعلوماتية : /https://annabaa.org
٦ - موقع صحيفة البيان الألكتروني : /https://www.albayan.ae

سادساً: المصادر باللغة الإنكليزية

.1. Wilfred Cantwell Smith, Theology of World's Religious History, in Toward A Universal Theology of Religion, ed. Leonard Swidler (New York: Orbis Books, 1987, 59).